مختصر تاريخ الدولة العثمانية

لأبي مصعب السوري





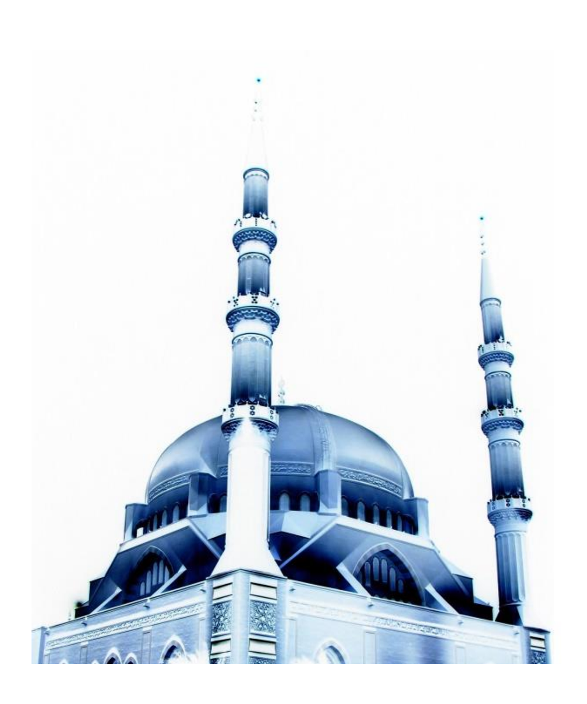
1440 هـ 2019 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

مختصر تاريخ الدولة العثمانية

لأبي مصعب السوري



بيت المقدس

مقدمة الناشر

لأنها تمثل حقبة بالغة الأهمية في تاريخ الأمة الإسلامية، ولأنها شكلت آخر دولة إسلامية جمعت المسلمين في شتى الأمصار والبلدان تحت سقف حكم واحد، ولأن تاريخها مليء بالعبر والدروس وأسباب سقوطها وتقسيم العالم الإسلامي على موائد الغرب اللئام جدير بالمراجعة والتذاكر، كان لابد أن نعتني عناية خاصة بهذه المرحلة الحرجة من تاريخ الأمة، وذلك بإبرازها وتداولها بشكل يرسّخ الحقائق الماضية والحاضرة في أذهان كل مسلمة ومسلمة.

إننا نتحدث عن الدولة العثمانية وتاريخها الذي أدرجه الشيخ أبي مصعب السوري – رضي الله عنه حيا أو ميتا – في كتابه الموسوعة، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، تحت عنوان "مختصر تاريخ الدولة العثمانية" ليقدم دليلًا مفيدًا لمن أراد التعرف على تفاصيل هذه الحقبة وأسباب سقوط الدولة العثمانية وما لحقها من تشتت وتمزق للأمة الإسلامية، وليدرك أبناء هذه الأمة كيف بدأت بعدها مرحلة التيه والحرب على الإسلام والضيق، وليميّزوا أعدائهم ويفهموا طبيعة الصراع معهم، حيث قال الكاتب الباحث: "ولا شك أن أهم المعلومات اللازمة لنا بعد معرفتنا بأنفسنا وتاريخنا ومحطات نصرنا وهزائمنا وأسباب ذلك، أن نعرف ما يمكن من مثل ذلك عن عدونا. لنعرف نقاط ضعفه وقوته وندرس تاريخ صراعنا معه، ومعطيات وأسباب النصر عليه بإذن الله".

ولا شك أن الشيخ أبي مصعب قدم زبدة القول وخلاصة الفهم المتسلسل السليم لواقع مرير مرت به أمتنا المسلمة ولا تزال تعاني من تداعياته.

يقول كاتبنا عن هذا الجزء من التاريخ: "اختصرت فيه مئات الصفحات من مصادرها، لأنه يمثل المراحل الأولى للصراع الحديث بين المسلمين والدول الأوربية. كما يشكل بدايات لنشوء النظام الدولي الحديث القائم على نظام صراع المصالح والأحلاف الدولية. حيث سيرى القارئ أن ما نعيشه اليوم من حبائل الدول الرومية الحديثة المتعددة: (أوربا وروسيا

وأمريكا) ما هو إلا تكرارًا لما جرى خلال القرنين الماضيين، حيث يزخر ذكر ذلك التاريخ – الذي يعيد نفسه الآن – بدروس كثيرة بالغة الأهمية للطليعة القيادية التي ستقود جهادنا الحالي والقادم بعون الله".

فنرجو أن يكون هذا العرض المختصر لتاريخ الدولة العثمانية سبب يقظة الغافلين وإرشاد الباحثين لسبل النهضة الواعدة. وجزا الله الشيخ الباحث خير الجزاء فقد كانت جهوده في البحث والتلخيص ذات فوائد جمة، وإضافاته للمكتبة الإسلامية والجهادية لا تقدر بثمن.

بيت المقدس

تمهيد: تعليقات وملاحظات سريعة على مسار التاريخ الإسلامي منذ بني أمية وإلى قيام الدولة العثمانية

إن المتتبع لمسار تاريخ الدول والممالك الإسلامية وقد قدمنا نبذة مختصرة عنها في كتاب "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية"[1]، يخرج بنتيجة واضحة، وهي أن مثل هذا المسار، ومثل هذا المسلك، من الحكام أولًا، ومن علمائهم ثانيًا، ومن الرعية ثالثًا .. ما كان له بموجب السنن الشرعية والقدرية، وكذلك العقلية والمنطقية وبحكم سنن السياسة، وصراع البقاء بين القوى ..، إلا أن يسفر ذلك الحال عن النتيجة التي أسفر عنها ..

ولكن، يخشى على من يقرأ التاريخ ولاسيما الملخصات الموجزة له. وخاصة تلك المعاصرة التي كتبت بأيدي العلمانيين المعاصرين، وتلاميذ المستشرقين. يخشى على القارئ أن يخرج بصورة شوهاء عن تاريخنا الإسلامي المجيد. فيظن أن كل ملوك وأمراء المسلمين، كانوا ظلمة طاغين لا خير فيهم، فساقًا عابثين، لاهين بالقيان والجواري، منصرفين إلى المجون، وإلى اللهو ما أحل الله منه وما حرم ..!

وأن كل أو جل علماء المسلمين كانوا مقصرين في أداء أمانتهم، قاعدين عن الأمر والنهي والجهاد، مصطفين على أبواب الأمراء ينتظرون المنح والعطايا ..!

ويظن أن معظم الرعايا كانوا منغمسين في التيه والانحلال .. فسقة على دين ملوكهم .. لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا ولا يدافعون في سبيل الله ..

ومثل هذا الاستنتاج مغاير لحقيقة تفاصيل الواقع، وإن كان ما روينا ملخصًا عن كتب التاريخ صحيح في مجمله، وأكبر شاهد على صحة ذلك، النتيجة السوداء التي آلت إليها أحوال الأمة في نهاية ذلك الانحلال .. وهي الجذور التاريخية لما نعاني منه اليوم من بلايا مخزية.

ومما يجب أن ينتبه إليه من يقرأ التاريخ الإسلامي في الكتب المعاصرة، أو في كتب المناهج الدراسية المعتمدة في معظم أو كافة بلاد المسلمين. أن معظم هذه الكتابات قد

[1] هذا المقتطف من كتاب دعوة المقاومة الإسلامية وتمت الإشارة لمصدره في مقدمة الناشر.

خطتها أقلام علمانية من تلاميذ المستشرقين أو الذين تربوا ودرسوا على أيديهم. وقد نهجت هذه الكتب نهجًا يعتمد التزوير والدس من أجل النيل من تاريخنا المجيد ولإضعاف صلتنا بتراثنا. ولتشويه تاريخ جهاد أجدادنا العظام ومن مختلف مكونات النسيج العرقي لأمم الإسلام عربا وغير عرب. وللإلقاء بذور الفتنة بين تلك المكونات.

وأذكر مما درسنا في المراحل الدراسية المختلفة مما كتبه الكتاب القوميون العرب، كميات هائلة من ذلك الدس والتزوير، مما يضيق المجال هنا عن نقل شواهده. كما أذكر على سبيل المثال على ذلك. أنني عندما درست في (كلية قسم التاريخ في جامعة بيروت العربية) درسنا في مناهجنا غرائب كثيرة، منها أن الذين وضعوا المناهج قد قسموا تاريخنا الإسلامي إلى ما أسموه (الدولة العربية – وتشمل الدولة النبوية ودولة بني أمية –) ثم (الدولة الفارسية – وتشمل صدر العصر العباسي –) ثم (الدولة التركية — وتشمل باقي العصر العباسي –) ثم تاريخ بعض الممالك المستقلة. كما صنفوا الدولة العثمانية على أنها (الاحتلال العثماني للبلاد العربية). كما عرضوا الفتح الإسلامي منذ الدولة النبوية وما تلاها على أنه استدراج سياسي وليس كما حقيقته منهج دين وتكليف شرعي لنشر الدين العالمي وآخر الرسالات للعالمين. كما درسنا من تاريخ أوربا مثل أو أكثر مما درسونا عن تاريخنا .. ، هذا ناهيك عن إبراز تاريخ الزنادقة والمارقين من الملوك والثوار والفلاسفة والعلماء الضالين ومشاهير شعراء المجون والخمر والانحلال وإشهارهم كالقرامطة والزنج ورجالهم، ومن الأعلام أمثال الفارابي وابن سينا وأبو العلاء المعري وبشار وأبو نواس (قبل توبته) .. والأصفهاني الزنديق واضع كتاب الأغاني المليء بالأكاذيب والدس على سير الخلفاء وما حوى من قصص المجون الموضوعة .. وغير ذلك كثير. وأما التزوير المتعمد بسبب الهوية القومية للجامعة وعلمانيتها .. فحدث ولا حرج عن العبث الرخص بتاريخ المسلمين وحضارتهم وتقييم مناهجهم ورجالهم .في مخطط مدروس للغزو الفكري ليس هنا مجل تناوله.

وأما اليوم وفي ظلال حرب الأفكار التي تشنها علينا الحملات الصليبية الأمريكية بقيادة (بوش ، و رامسفيلد ، وكونديليسا رايس ..) وتنفيذ (منظمة اليونسكو والأمم المتحدة) فقد ذهبت الطامة في إعادة تزوير المزور من تاريخ المسلمين إلى مجالات تهدف إلى إخراج المسلمين من دينهم كليًا وسلخهم من تاريخهم كليًا.. ولذلك يجب الانتباه إلى مصادر التاريخ والتمحيص في هوية كاتبيها ومن وراءهم.

ولكن وحتى تكون الصورة متكاملة وصحيحة وشاملة فيما لخصت آنفًا من تاريخنا الإسلامي، يجب أن نذكر أيضا الوجوه المشرقة للحضارة والتاريخ الإسلامي الذي تركت خيراته بصماتها على جبين البشرية.

وبذلك نفهم منطق السنن المختصر في قواعد وسنن ثابتة، تفسر لنا أسباب القوة والانتصارات الكثيرة، وأسباب الضعف وتسلط الأعداء والهزائم المنكرة التي مرت وما تزال علينا. من قبيل ما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(محمد:7). وكما قال عز من قائل: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران:165) .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ (طه: 124-126).

وغير ذلك في كتاب الله من السنن والقوانين الربانية الكثيرة .. المبينة المفصلة في سنة رسول الله ﷺ ، ومن ذلك قوله ﷺ: (**يا معشر المهاجرين: خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن :**

- **ما ظهرت الفاحشة في قوم قط حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا.**
- **وما نقص قوم المكيال إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان.**

- **وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا.**
- **ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم.**
- **وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل بأسهم بينهم شديدا).**

وليس هنا مجال استقصاء تلك الشواهد وما تزخر به من القواعد والسنن في فهم مسار التاريخ وقيام الممالك وزوالها.

فعلينا حتى نفهم هذه السنن من أن أجل أن نحترمها ونعمل بأحسنها. ونتحرك على بصيرة من هدي ربنا.

وفي النهاية على كل من نكص عن شريعة الله واتخذ أوامره ظهريا، أن يفهم قوله تعالى لبني إسرائيل لما عصوا الله ورسله وأدركتهم العقوبة:

﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾ (الإسراء:8) . فليس بين الله وأحد من خلقه نسب ولا صهر ، وصدق الله العظيم ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ (الشورى: 40).

وأهم الملاحظات التي يجب أن نذكر بها ونأخذها بعين الاعتبار ونحن ندرس تاريخنا المجيد النقاط التالية:

أولا: أن شريعة الله تبارك وتعالى، كانت هي المرجع المحترم من كل طبقات الحاكمين والمحكومين. في كل تلك الممالك والمجتمعات. وكانت هي الحاكم عليهم جميعًا. وكانت هي دستور الدولة الأعلى. ومصدر جميع قوانينه التفصيلية. فإذا ما حاد عنها حاكم أو محكوم، فمن باب الفسوق والعصيان والزلل والتقصير، الذي كان أصحابه – حكامًا ومحكومين – يعرفون أنهم مقصرون آثمون. ولم يدخل التبديل والتغيير على شرع الله على وجه التشريع والحكم بغير ما أنزل الله، زهدًا بشريعة الله أو تفضيلًا لغيرها عليها، أوجودًا لأحكامها، أو

للشعور بإمكانية المفاضلة بينها وبين غيرها، إلا متأخرًا، في الربع الأخير من الدولة العثمانية كما سنرى في استعراض تاريخها. أو ما حصل من بعض الممالك المستقلة التي قامت أصلًا على المروق عن دين الله كما كان من الدولة العبيدية الفاطمية التي قامت في المغرب ومصر ثم الشام، وتأسست أساسًا على الزندقة والسحر والفلسفة والشعوذة والمذاهب الباطلة، وقد حكم علماؤنا من أئمة عصرها بكفرها ومروقها من الدين. وكذلك ما حصل من بعض ملوك التتار الذين ادعوا الإسلام، وتحاكموا لشريعة رئيسهم جنكيزخان التي تركها لهم مدونة في ما عرف بـ (الياسا) أو (الياسق)، وقد مر التعريف بهمثا تيمور لنك وأحفاده [2].. فهي ليست شاهدا على ما نحن بصدده من الممالك التي اعتورها الإنحراف، ولكنها لم تخرج عن أصل الإحتكام لشرع الله، فلم يجاوز الإنحراف الظلم والفسق، إلى المروق والكفر كما حصل لاحقًا. وإن كانت تلك الممالك والدول- بحكامها ومحكوميها - قد نالت عقابها القدري المحتوم بحكم السنن، بقدر ظلمها وفسوقها وعصيانها.

ثانيا: أن الغالبية العظمى لأولئك الملوك والأمراء المنحرفين، وحتى أشدهم فسادًا، وفسوقًا وصراعًا على الملك ..، كانوا مجاهدين لأعداء الإسلام من الكفار دفعًا وطلبًا. وخاصة في الدفع عن أراضي المسلمين وأنفسهم وحرماتهم، وقد مر معنا في الاستعراض شواهد عديدة .. وقد رأينا هذا من الطغاة الفاسدين من بني أمية، وكذلك من بني العباس، وصولا إلى ملوك الممالك المستقلة. فالحمدانيون - رغم كونهم من الشيعة-، ورغم ما ابتلوا به من البدع والمظالم، كانوا ممن جاهد الروم وأبلوا بلاءً حسنا ..، والسلاجقة الأتراك رغم ظلمهم وبطشهم وعدوانهم على الخلفاء وعلى الرعية، وقفوا سدًا منيعًا في وجه الروم، وكان لهم المشاهد العظيمة، والأتابكة الزنكيون وملكهم الصالح نور الدين رحمه الله .. ثم الأيوبيون ومؤسس دولتهم المجاهد الناصر صلاح الدين كذلك .. وغيرهم، وحتى بيبرس المملوكي الذي قتل أمير المسلمين إثر النصر الأكبر في (عين جالوت) من أجل الملك والإمارة. وكان بعد ذلك ظلومًا غشومًا جبارًا ..، إلا أنه لم ينزل عن صهوة جواده

[2] في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

سبعا وعشرين عامًا، جاهد فيها الروم والتتار وهم بنو عمه، وجاهد الصليبيين حتى أجلاهم من أكثر البلاد. ثم تولى المماليك ممن خلفه المهمة حتى أنجزوها ..، وقل مثل ذلك عن باقي الممالك من الغزنويين وملكهم الصالح محمود سبكتكين .. والسلاجقة وسلطانهم المجاهد (ألب أرسلان) .. والغوريين والمغول المسلمين في آسيا والهند ..، وعن ممالك شمال إفريقيا من الأغالبة الفاتحين المجاهدين في تونس، إلى المرابطين والموحدين في المغرب ... إلى حيث قامت للإسلام مملكة ...

ولم يخرج إلى خندق القعود والخيانة، والعمالة للعدو إلا أفراد من المتأخرين من تلك الممالك، كما كان من الملك الطالح (الصالح إسماعيل الأيوبي) الذي حالف الصليبيين، وبعض (ملوك الطوائف في الأندلس).. وغيرهم، ممن سجل التاريخ لعناته عليهم .. وأكثرهم خلع من قبل أسرته أو ممن جاوره من الممالك. وعدت فعلتهم منكرة من الحكام والعلماء والرعايا في ذلك الزمان ..

ثالثا : أن معظم علماء المسلمين المرموقين المشاهير، كانوا إما من أهل العزائم، فاحتسبوا على الملوك والأمراء، وأمروهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر ..، وقد سجل التاريخ قصصًا رائعة تكتب بماء الذهب، وأحرف النور، منذ ظهر الملك في بني أمية، وحتى زمن قريب .. وقائمة أسماء هؤلاء السلف الصالح طويلة تزخر بالمآثر. وإما لم يكونوا من أهل العزائم، فاعتزلوا القصور ومن فيها، واعتزلوا مسائل الحكام وتفرغوا للعلم والزهد .. ولم يتمرغوا في أوحال النفاق للسلاطين ..، ولم يشذ عن ذلك من العلماء المرموقين، إلا أوشاب من المتساقطين في أوحال الدنيا، أو أوباش من المنسوبين لعالم العلم والعلماء ..، ولم نبتلى بفساد العلماء عامة إلا قليلًا جدًا ممن عصم الله، كما في زماننا هذا إلا في أوقات متأخرة من تاريخنا الطويل. كما كان العلماء قدوة في الجهاد، ولاسيما في الأزمات والنوازل الكبرى، فكانوا يخرجون للغزو دفعًا وطلبًا مع أئمة المسلمين برهم وفاجرهم ضد أعداء المسلمين من الكفار. وذلك قبل أن يظلنا زمان الدشوش، وتتدلى الكروش، وتسعى كرام العمائم واللحى خلف القروش والحشوش ..

رابعـا : أن غالبيـة فسـاق الأمـراء وطغـاتهم وحـتى الجبـارين مـنهم، ممـن عرفـوا بالبـأس والقسوة ..، كانوا إذا وُعظوا من قبل العلماء وأهل الحسبة، والآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ..، اتعظوا وخشعوا، وربما تأثروا وبكوا، ورجعوا عن مظلمة أو زلة، حتى وإن عـادوا إلى قبيح أعمالهم. فقد كان للدين على أنفسهم سلطانا. وللعلماء الصادقين – حتى ممن وقفـوا لهـم بالمرصـاد – احترامًـا وهيبـةً. وقـد جمعـوا إلى هـذه المزيـة الخـيرة، رغـم طغيـانهم وفسـوقهم، وصـراعهم علـى الملـك، ومظـالمهم ..، جمعـوا لـذلك حـب الخـير، والصـدقات والإحسان، ومختلف وجوه البر والخير .. ليكفروا عن غيهم، و لأصالة في معدنهم ..، فبنوا المسـاجد، والتكـايا، وأوقفـوا الأوقـاف في مختلـف وجـوه الخـير ... إضـافة إلى جهـادهم، وحكمهم أساسًا بشريعة الله.

خامسا: أن غالبية الرعـايا من المسلمين كـانوا على أصـل الصـلاح واحـترام الـدين ..، وكانوا تبعًا للعلماء الصالحين. مآزرين لهم في مواقفهم. مما شجع العلماء على النهوض في كثير من الأحيان. وكانوا يخرجون للجهاد والنفير وثغور الرباط ..، وقد اختلط الخير والشر في تلك العصور كثيرًا ..، ولكن لم تكن تصل الأمور إلى ما فشا في الأزمنة المتأخرة من وجوه مجاهرة العوام بألوان الكفر والفسوق والعصيان ..، ونسأل الله السلامة.

سادسا : أن الخير لم يكن ينقطع عبر تاريخنا ذاك، وأن راية الإسلام والصلاح والعزة، لم تزل تتنقل بين الأيادي المختلفة، والمكونات المتعددة لنسيج الأمة من عرب وعجم وترك وفرس وبربر ومغول وأفارقة وغير ذلك ..إلخ. وأنه كلما ضعف الإسلام في مكان، كان ينهض في آخر .. وكان آخر الشواهد قيام الدولة العثمانية التي حفظت رمزية الخلافة الجامعة للمسلمين ..، بعد أن تولى من سبقهم، فاستبدلهم الله بغيرهم.

سـابعا : أن معجزة الرسول الخالدة في إخباره ﷺ، أن طائفة مجاهدة في سبيل الله لم تزل ولن تزال قائمة: فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ، أنه قال:

(لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة)، رواه مسلم. وعن معاوية يرفعه أيضا: **(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين و لا تزال**

عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة)، رواه مسلم.

وفي رواية عنه أيضا : (**لا تقوم الساعة إلا وطائفة من أمتي ظاهرون على الناس، لا يبالون من خذلهم و لا من نصرهم**) رواه ابن ماجة.

وهكذا بقيت وما زالت الطائفة المنصورة، طائفة الجهاد والدفع هذه قائمة تجاهد على مر العصور. وحتى إلى يومنا هذا ولله الحمد والمنة.

وشواهد ما أسلفت من الملاحظات في كتب التاريخ كثيرة جدًا، لعل الله يوفقنا لذكر طرف منها في كتاب منفصل عن تاريخنا المجيد ونوادره الرائعة، وكنت أود أن أنقل أطرافًا من ذلك هنا مما جمعته، ثم عدلت عن ذلك خشية أن يطول بنا المقام عن المقصد من هذه النبذة التاريخية في سياق هذا الكتاب.

وبالخلاصة :

فقد أدت (**مورثات الصلاح الكامنة في الأمة**) في الحكام والعلماء والمحكومين على مر تلك العصور.. إلى استمرار الخير ينازع وجوه الشر والفساد في الأمة ..، مما مد في عمر حضارتها لأكثر من ثلاثة عشر قرنًا .. ، ولقد تحطمت على صخور دول الإسلام الصامدة كل الهجمات العاتية التي تكسرت موجاتها عليها .. وبقي الإسلام شامخًا، وبقي المسلمون أعزاء ..، وكانت كل دولة ومملكة وأمة تلاقي مصيرها بموجب السنن القدرية بقدر مالديها من صلاح وفساد ..

إلى أن استهلت العقود الأخيرة منذ القرن العشرين ، وبدأت الغالبية من جموع الأمة حكامًا ومحكومين..تنسلخ عن شريعة ربها .. ونجحت مؤامرات العدو في سلخهم عن دينهم، اعتقادًا وتطبيقًا إلا في الأقلية ممن رحم الله .. فبدأ يحل بنا ما نشاهد اليوم من

الانهيار الذي لم يشهد له تاريخنا مثيلًا، حيث أصبح الغزاة يقاتلون الأمة بأبنائها والمنتسبين (إسما) إليها ..

البداية مع آل عثمان

في بدايات القرن العاشر الهجري، ومطلع السادس عشر الميلادي. كان (آل عثمان) أحفاد السلاجقة في هضبة الأناضول، قد نهضوا وأسسوا مملكة، اتسعت من غرب الأناضول شيئا فشيئا، وتحولت إلى سلطنة قوية، وتمكنت من فتح القسطنطينية عاصمة الروم البيزنطيين سنة (1453 ميلادية)، مما أحدث نقلة تاريخية عالمية، حيث عدت تلك الواقعة عند المؤرخين الغربيين نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة.

وبعد أن فتح العثمانيون القسطنطينية تحركوا شمالًا وغربًا في أوربًا، وفتحوا بلاد القرم ومحيط البحر السود وبلاد القفقاس وأوربا الشرقية وبلاد البلقان، ووصلوا إلى وسط النمسا وشمال إيطاليا.! كما تحركوا جنوبًا، وبسطوا سيطرتهم على بلاد الشام والعراق ومصر، والحجاز واليمن، ثم وسط شمال إفريقيا.. وأكثر جزر البحر المتوسط .. وبعد فتحهم مصر، نقلوا إليهم الخلافة، وتسلموها من آخر الخلفاء الرمزيين لبني العباس الذين كانوا في القاهرة في كنف دولة المماليك سنة (922هـ). ومنذ ذلك الوقت قامت الخلافة العثمانية التي أعادت جمع شتات المسلمين تحت رايتها وسلطانها، وحملت راية الجهاد دفعا وطلبا في مواجهة دول وممالك أوربا الذين ورثوا راية الروم بعد سقوط القسطنطينية. ومهما كان من آراء المؤرخين في تلك الخلافة والدولة العثمانية، إلا أن مما لا شك فيه أنها كانت امتدادًا لدولة الإسلام ورايته وحضارته. وامتدادًا لمسمى الخلافة الإسلامية التي غابت عن الوجود بغياب دولة العثمانيين وسقوطها على أيدي الدول الأوربية سنة 1924م.

الدولة الإسلامية في عهد الخلافة العثمانية
مختصر تاريخ الدولة العثمانية[3]
(1300- 1924 م)

مؤسس هذه الدولة هو أرطغرل بن سليمان شاه التركماني قائد إحدى قبائل الترك النازحين من سهول آسيا الغربية إلى بلاد آسيا الصغرى.

فقد قام أرطغرل أواسط القرن السبع الهجري بنصرة الملك علاء الدين سلطان على خصومه في قونية، وهي إحدى الإمارات السلجوقية التي تأسست عقب انحلال دولة آل سلجوق بموت السلطان ملك شاه في 15 شوال سنة 485هـ / 1092م.

فكافأه الملك علاء الدين على مساعدته له بإقطاعه عدة أقاليم ومدن. ثم لقب قبيلته بمقدمة السلطان لوجودها دائما في مقدمة الجيوش.

- **(1) – السلطان عثمان مؤسس الدولة العثمانية (1300– 1317م):**

ولما توفي أرطغرل سنة 687 هـ الموافقة سنة 1288 م، عين الملك علاء الدين أكبر أولاده مكانه وهو عثمان مؤسس الدولة العثمانية.

وفي سنة 1300م تقريبا الموافقة سنة 699 هـ، أغارت جموع التتار على بلاد آسيا الصغرى وفيها كانت وفاة علاء الدين آخر السلجوقيين بقونية وانفتح المجال لعثمان فاستأثر بالأراضي المقطعة له ولقب نفسه باد شاه آل ثم أخذ في توسيع دائرة أملاكه.

[3] اعتمدت في كتابة مختصر تاريخ الدولة العثمانية على كتاب (تاريخ الدولة العثمانية) - باختصار وتصرف وإضافات – لكاتبه (فريد بك المحامي). وهو فيما يبدو مصري من أصل تركي كتب كتابه سنة 1910. ويتضح فيه نفسه الماسوني وحقده على السلطان عبد الحميد رحمه الله ، ونفسه الشعوبي التركي، وتأييده لجمعية الاتحاد والترقي اليهودية الماسونية. وكتابه منشور في برنامج الألفية المعروف. ولم يؤثر نفس الكاتب على موضوعيته كثيرا إلا في تأريخه لمرحلة السلطان عبد الحميد وصراعه مع الماسون. وتأريخه للمراحل الأخيرة منذ بدأ نشاط الماسون. وأما ما سبق من مراحل فنفس الكاتب فيها موضوعي نسبيا ومقبول وغزير المعلومات في تاريخ العثمانيين الذي أبدى الكاتب ولاء كبيرا لدولتهم.

وآسف لأني لم أجد الوقت لإصلاح اللكنة الأعجمية في أسلوب كتابة الكاتب المنقولة من القرص المدمج – إلا قليلا - ولعلي أفعل ذلك في نسخة تالية إن شاء الله.

ثم أرسل إلى جميع أمراء الروم ببلاد آسيا الصغرى يخيرهم بين ثلاثة أمور الإسلام أو الجزية أو الحرب فأسلم بعضهم وانضم إليه وقبل البعض دفع الخراج واستعان الباقون على السلطان عثمان بالتتار. وبعد أن انتصر على التتار عاد مسرعًا لمحاصرة مدينة بورصة سنة 717 هـ الموافقة سنة 1317م. حيث أسلم حاكمها أفرينوس وأعطى له لقب بك وصار من مشاهير قواد العثمانيين. وعقب ذلك بقليل مات عثمان بعد أن أوصى للملك بعده لأورخان ثاني أولاده.

- (2) – السلطان الغازي أورخان الأول (**1317– 1360م**):

كان أول عمل أجراه هو نقل مقر الحكومة إلى مدينة بورصة.

أرسل إليه ملك الروم بالقسطنطينية سنة 1355م وفدًا يطلب منه أن يمده بالمساعدة لصد غارات دوشان ملك الصرب ولما نزل العثمانيون بساحل أوروبا تحققوا ضعف مملكة الروم وما آلت إليه من الانحلال فأخذ السلطان أورخان في تجهيز الكتائب سرًا لاجتياز البحر واحتلال بعض نقط على الشاطئ الأوروبي تكون مركزًا لأعمال العثمانيين في أوروبا. وساعدتهم المقادير بسقوط جزء من أسوار جاليبولي عقب زلزال شديد فدخلها العثمانيون بدون كبير عناء واحتلوا عدة مدائن أخرى منها ابسالا و رودس وغيرهما.

تأسيس الجيش العثماني المحترف (الإنكشارية):

وقد عاون أورخان أخوه علاء الدين في الإدارة الداخلية، وكان من أهم أعمال علاء الدين أن أمر بضرب العملة من الفضة والذهب ووضع نظامًا للجيوش المظفرة وجعلها دائمة إذ كانت قبل ذلك لا تجمع إلا وقت الحرب وتصرف بعده ثم خشي من تحزب كل فريق من الجند إلى القبيلة التابع إليها وانفصام عرى الوحدة العثمانية التي كان كل سعيهم في إيجادها فأشار عليه أحد فحول ذلك الوقت واسمه قرة خليل وهو الذي صار فيما بعد وزيرًا أولًا باسم خير الدين باشا بأخذ الشبان من أسرى الحرب وفصلهم عن كل ما يذكرهم

بجنسهم وأصلهم وتربيتهم تربية إسلامية عثمانية بحيث لا يعرفون أبًا إلا السلطان ولا حرفة إلا الجهاد في سبيل الله. ولعدم وجود أقارب لهم بين الأهالي لا يخشى من تحزبهم معهم فأعجب السلطان أورخان هذا الرأي وأمر بنفاذه ولما صار عنده منهم عدد ليس بقليل سار بهم إلى الحاج بكطاش شيخ طريقة البكطاشية بأماسية ليدعو لهم بخير فدعا لهم هذا الشيخ بالنصر على الأعداء وقال فليكن اسمهم (يني تشاري) ويرسم بالتركية هكذا (يكيجاري) أي (الجيش الجديد) ثم حرف في العربية فصار (إنكشاري). ثم ارتقى هذا الجيش في النظام وزاد عدده حتى صار لا يعول إلا عليه في الحروب وكان هو من أكبر وأهم عوامل امتداد سلطة الدولة العثمانية كما أنهم خرجوا فيما بعد عن حدودهم وتعدوا واستبدوا بما جعلهم سببًا في اضطرابات الدولة إلى أن ألغى السلطان محمود الثاني الإنكشارية بعد أن قتل أغلبهم في 1241م لمقاومتهم إجراءات السلاطين وعصيانهم عليهم وتعديهم على حقوقهم.

وفي سنة 761 هـ سنة 1360م توفي السلطان أورخان الغازي وسنه 81 سنة ومدة حكمه 35 سنة بعد أن أيد الدولة بفتوحاته الجديدة وتنظيماته العديدة ودفن في مدينة بورصة.

- **(3) – السلطان الغازي مراد خان الأول (1360–1389م) :**

ومدة حكمه 35 سنة. وكانت فاتحة أعماله احتلال مدينة أنقرة مقر سلطنة القرمان. أما في أوروبا ففتح مدينة أدرنه في سنة 1361م واستمرت عاصمة للعثمانيين إلى أن فتحت مدينة القسطنطينية سنة 1453م. وفتح أيضا مدينة فيلبه عاصمة الرومللي الشرقية وفتح أفرينوس بك مدينتي وردار وكلجمينا باسم سلطان العثمانيين وبذلك صارت مدينة القسطنطينية محاطة من جهة أوروبا بأملاك آل عثمان وفصلت عن باقي الإمارات المسيحية الصغيرة التي كانت شبه جزيرة البلقان مجزأة بينها وصارت الدولة العلية متاخمة لإمارات الصرب والبلغار وألبانيا.

فاستغاث الروم بالبابا فلبى استغاثتهم وكتب لجميع الملوك بالتأهب لمحاربة المسلمين وحرضهم على محاربتهم محاربة دينية حفظا للدين المسيحي من الفتوحات الإسلامية.

لم ينتظر أوروك الخامس الذي عين عظيم فرسان المجر وسار بهم لمهاجمة مدينة أدرنة عاصمة الممالك ولم يلبثوا إلا قليلا حتى ولوا الأدبار وكان ذلك في سنة 866 هـ سنة 1363م.

ولما عظم شأن الدولة خشيها مجاوروها خصوصًا الضعفاء منهم فأرسلت جمهورية راجوزه في سنة 1365م إلى السلطان مراد رسلا أمضوا معه معاهدة ودية وتجارية تعهدوا فيها بدفع جزية سنوية قدرها 500 دوكا ذهب وهذه أول معاهدة أمضيت بين العثمانيين والدول المسيحية.

وفي سنة 1379م اتحد لازارجر بلينانوفتش الذي تربع على مملكة الصرب. مع سيسمان أمير البلغار على مقاتلة العثمانيين ثم تحققا عجزهما فأبرما الصلح مع السلطان على أن يتزوج السلطان بنت أمير البلغار وعلى أن يدفع له الأميران خراجًا سنويًا معينًا. وفي ابتداء سنة 1381م ابتدأت الفتوحات ثانيًا وأخذت سيرها الأول فألزم السلطان أمير إقليم الحميد بالتنازل له عن بلاده وفتح مدائن موناستر وبرلبه واستيب ووقعت مدينة صوفيا في قبضة العثمانيين بعد محاصرة استمرت ثلاث سنوات من سنة 1381م إلى سنة 1383م وعقب ذلك فتح الصدر الأعظم خير الدين باشا مدينة سلانيك الشهيرة. سنة 1389م وانتشب القتال بين الصرب والعثمانيين وبهذه الواقعة المهمة كانت الغلبة للعثمانيين وزال استقلال الصرب كما فقدت البلغار والروملي والأناضول استقلالها من قبل. وبينما كان السلطان مراد يمر من بين القتلى إذ قام من بينهم جندي صربي وطعن السلطان بخنجر طعنة كانت هي القاضية.

- **(4) – السلطان الغازي بايزيد خان الأول (1389– 1402م) :**

اتفق أركان الدولة على توليته وكان له أخ أصغر منه بقليل يدعى يعقوب متصفا بالشجاعة والإقدام وعلو الهمة فخيف على المملكة منه من أن يدعي الملك ولذلك قتل باتفاق أمراء الدولة وقواد جيوشها. وادعى مؤرخو الإفرنج أن قتله كان بناء على فتوى شرعية أفتى بها علماء ذلك الزمان منعا لحصول الفتنة بناء على قوله تعالى: (والفتنة أشد من القتل !!). وكانت هذه الفعلة الشنيعة، أول السنة التي سنها سلاطين العثمانيين لأنفسهم بقتل إخوة السلطان عند توليته، درءًا للفتن بحسب عقولهم السقيمة. – بحسب المؤرخين إن صح الزعم المتواتر عنهم –.

وابتدأ السلطان بايزيد الأول أعماله بأن ولى الأمير اسطفن بن لازار ملك الصرب حاكما عليها وتزوج أخته (اوليفيرا) وأجازه بأن يحكم بلاده على حسب قوانينهم بشرط دفع جزية معينة وتقديم عدد معين من الجنود ينضمون إلى الجيوش الشاهانية وقت الحرب. ولما ساد الأمن في أوروبا قصد بلاد آسيا وفتح مدينة (آلا شهر) المعروفة عند الإفرنج باسم فيلادلفيا سنة 1391م وهي آخر مدينة بقيت للروم في آسيا. وهكذا صار شرق بحر مرمرة خالصا للعثمانيين.

فلما علم سجسمون ملك المجر خبر ما حل ببلاد البلغار خشي على مملكته إذ صار متاخمًا في عدة نقط للدولة العلية فاستنجد بأوروبا وساعده البابا وأعلن الحرب الدينية بين أقوام أوروبا الغربية فأجاب الدعوة (دوك بورغونيا) وأرسل ابنه الكونت (دي نيفر) ومعه ستة آلاف محارب أغلبهم من أشراف فرنسا وفيهم كثير من أقارب ملك فرنسا نفسه وانضم إليه حين مسيره إلى بلاد المجر أمراء (بافاريا، واستيريا، وشواليه) والقديس حنا الأورشليمي وكثير من الألمان ثم اجتاز هذا الجيش نهر الدانوب. فسار إليهم السلطان بايزيد ومعه مائتا ألف مقاتل بهم كثير من أهالي الصرب تحت قيادة أميرهم (اسطفن بن لازار) وغيرهم من الأمم المسيحية الخاضعة لسلطان العثمانيين وقاتلهم قتالًا عنيفًا. في يوم 23 ذي القعدة سنة 798 هـ ، 27 سبتمبر سنة 1396م كانت نتيجتها انتصار العثمانيين

على الجيوش المتألبة عليهم وأسر كثير من أشراف فرنسا منهم الكونت دي نيفر نفسه وقتل أغلبهم وأطلق سراح الباقي والكونت دي نيفر بعد دفع فداء اتفق على هذا.

وقد شدد الحصار بعد ذلك على مدينة القسطنطينية. ولولا إغارة المغول على بلاد آسيا الصغرى لربما كان تمكن من فتحها لكن الأمور مرهونة بأوقاتها. فاكتفى بإبرام الصلح مع ملكها هذه المرة بشرط دفع عشرة آلاف ذهب سنويًا من عملة وقتها. وأن يجيز للمسلمين أن يبنوا بها جامعًا لإقامة شعائر الدين الحنيف وأن تقام لهم محكمة شرعية للنظر في قضايا المستوطنين بها منهم.

- **إغارة تيمورلنك على آسيا الصغرى:**

أغار تيمور بجيوشه الجرارة على بلاد آسيا الصغرى وافتتح مدينة سيواس بأرمينيا ولذلك جمع السلطان بايزيد جيوشه وسار لمحاربة تيمور الأعرج فتقابل الجيشان في سهل أنقره. فسقط أسيرًا في أيدي المغول هو وابنه موسى وكان ذلك في 19 ذي الحجة سنة 804 هـ 20 يوليو سنة 1402م، ومات في الأسر.

وبعد موت السلطان بايزيد تجزأت الدولة إلى عدة إمارات صغيرة كما حصل بعد سقوط دولة آل سلجوق، لأن تيمورلنك أعاد إلى أمراء قسطموني وصاروخان وكرميان وآيدين ومنتشا وقرمان ما فقدوه من البلاد. واستقل في هذه الفترة كل من البلغار والصرب والفلاخ ولم يبق تابعًا للراية العثمانية إلا قليل من البلدان. ومما زاد الخطر على هذه الدولة عدم اتفاق أولاد بايزيد على تنصيب أحدهم بل كان كل منهم يدعي الأحقية لنفسه فتحالف بعضهم مع الروم، وبعضهم مع تيمورلنك. إلى أن آل الأمر لأحدهم ويدعى محمد، وبذلك انفرد بما بقي من بلاد آل.

- **(5) السلطان مُحَّد جلبي الغازي (1410–1421م) :**

هذا وقد كانت مدة حكم السلطان مُحَّد كلها حروبًا داخلية لإرجاع الإمارات التي استقلت في مدة الفوضى التي أعقبت موت السلطان بايزيد في الأسر. فحافظ على محالفة ملك الروم الذي لولا مساعدته له لخيف على عرى الدولة العلية من الانفصام. ومما يؤثر عن هذا السلطان أنه استعمل الحزم مع الحلم في معاملة من قهرهم. اشتغل بقمع الفتن وترتيب أمور الدولة إلى أن فاجأه الموت في سنة 824 هـ سنة 1421م في مدينة أدرنه فأسلم الروح وعمره 43 سنة بعد أن أوصى بالملك لابنه مراد. واشتهر السلطان مُحَّد بحبه للعلوم والفنون وهو أول ملك عثماني أرسل الهدية السنوية إلى أمير مكة التي يطلق عليها اسم الصرة. وهي عبارة عن قدر معين من النقود ترسل إلى الأمير لتوزيعه على فقراء مكة والمدينة.

- **(6)– السلطان مراد خان الثاني (1421 –1451م):**

تولى وعمره ثماني عشرة سنة وافتتح أعماله بإبرام الصلح مع أمير القرمان والاتفاق مع ملك المجر على هدنة خمس سنوات حتى يتفرغ لإرجاع من شق عصا الطاعة من ولايات آسيا لكن حدث ما شغله عن هذا بتحالف بعض أقربائه مع ملك الروم.

وفي سنة 1430م أعاد السلطان فتح مدينة سلانيك وبعد ذلك أراد السلطان مراد أن يفتح ما بقي من بلاد الصرب وبلاد ألبانيا الأرنؤود والفلاخ قبل أن يعيد الكرة على القسطنطينية حتى لا يكون لها من هذه الولايات نصير. وقد خاض السلطان مراد حروبًا كثيرة مع الصرب والبلغار والألبان. وتنازل عن السلطنة لابنه مُحَّد، ليتفرغ للعزلة. وتوفي في 7 فبراير سنة 1451م وسنه 49 سنة ومدة حكمه 30 سنة وتولى بعده ابنه السلطان أبو الفتح مُحَّد الثاني.

- **(7)– السلطان الغازي مُحَمَّد الثاني فاتح القسطنطينية (1451– 1481م) :**

وهو سابع السلاطين ولما تولى الملك بعد أبيه لم يكن بآسيا الصغرى خارجًا عن سلطانه إلا جزء من بلاد القرمان ومدينة سينوب ومملكة طرابزون الرومية وصارت مملكة الروم الشرقية قاصرة على مدينة القسطنطينية وضواحيها. وكان إقليم موره مجزأ بين البنادقة وعدة إمارات صغيرة يحكمها بعض أعيان الروم أو الإفرنج الذين تخلفوا عن إخوانهم بعد انتهاء الحروب الصليبية، وبلاد الأرنؤود (البوسنة)، وقد زعم المؤرخون أنه أمر بقتل أخ له رضيع اسمه أحمد، وبإرجاع الأميرة مارا الصربية — محظية أبيه – إلى والدها. ثم أخذ يستعد لتتميم فتح ما بقي من بلاد البلقان ومدينة القسطنطينية حتى تكون جميع أملاكه متصلة.

فتح القسطنطينية (857 هـ – 1453م) :

حاصر السلطان المدينة في أوائل أبريل سنة 1453م من جهة البر بجيش يبلغ المائتين وخمسين ألف جندي ومن جهة البحر بأسطول مؤلف من مئة وثمانين سفينة وأقام حول المدينة أربع عشرة بطارية طوبجية مدفعية وضع بها مدافع جسيمة صنعها له صانع مجرى شهير اسمه أوربان. وكانت تقذف كرات من الحجر زنة كل واحدة منها اثنا عشر قنطارا إلى مسافة ميل. وفي إثناء الحصار اكتشف قبر أبي أيوب الأنصاري الذي استشهد حين حصار القسطنطينية في سنة 52 هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﵁. وبعد الفتح بنى له مسجدًا جامعًا وجرت العادة بعد ذلك أن كل سلطان يتولى يتقلد سيف عثمان الغازي الأول بهذا المسجد.

ولما شاهد قسطنطين آخر ملوك الروم هذه الاستعدادات استنجد بأوروبا فلبى طلبه أهالي جنوه وأرسلوا له أسطولًا بحريا فأتى بمراكبه فعارضته السفن العثمانية وانتشرت بينهما حرب هائلة، انتهت بفوز أسطول جنوة ودخوله الميناء بعد أن رفع المحصورون السلاسل الحديدية التي وضعت لمنع المراكب العثمانية من الوصول إليها ثم أعيدت بعد مروره كما كانت، فلم تستطع سفن العثمانيين مطاردتها، فأوصلت المؤن للمدينة. وبعدها أخذ

السلطان يفكر في طريقة لدخول مراكبه إلى الميناء لإتمام الحصار برًا وبحرًا. فخطر بباله فكرة عبقرية. وهي أن ينقل المراكب على البر ليجتازوا السلاسل الموضوعة لمنعه وتم هذا الأمر المستغرب بأن مهّد طريقا على البر بمسافة فرسخان أي ستة أميال (10كم) ورصت فوقه ألواح من الخشب صبّ عليها الزيت والدهن لسهولة زلق المراكب عليها وبهذه الكيفية أمكن نقل نحو سبعين سفينة بأحمالها ومدافعها .. إلى الطرف الثاني من الخليج في ليلة واحدة !! حتى إذا أصبح النهار ونظرها المحصورون أيقنوا أن لا مناص من نصر العثمانيين عليهم. ثم أمر السلطان جيوشه بالاستعداد للهجوم في يوم 20 جماد أول سنة 857 هـ - 29 مايو سنة 1453م. وفي الليلة السابقة لليوم المحدد أشعلت الجنود العثمانية الأنوار أمام خيامها للاحتفال بالنصر المحقق لديهم وظلوا طول ليلهم يهللون ويكبرون حتى إذا لاح الفجر صدرت إليهم الأوامر بالهجوم فهجم مئة وخمسون ألف جندي وتسلقوا الأسوار حتى دخلوا المدينة من كل فج واعملوا السيف فيمن عارضهم ودخلوا كنيسة القديسة صوفيا حيث كان يصلي فيها البطريق وحوله عدد عظيم من الأهالي. ويعتقد الروم حتى الآن أن حائط الكنيسة انشق ودخل فيه البطريق والصور المقدسة، وفي اعتقادهم أن الحائط ينشق ثانية يوم يخرج الأتراك من القسطنطينية ويخرج البطريق منها ويتم صلاته التي قطعها عند دخول العثمانيين عليه عند الفتح !!.

وسميت المدينة **إسلام بول** أي **مدينة الإسلام** وجعلت عاصمة للدولة. ونذكر هنا أن المسلمين حاصروا القسطنطينية إحدى عشرة مرة قبل هذه المرة الأخيرة منها سبعة في القرنين الأولين للإسلام:

فقد حاصرها معاوية في خلافة سيدنا علي ﷺ سنة 34 هـ 654م.

وحاصرها يزيد بن معاوية سنة 47 هـ 667 م في خلافة سيدنا علي أيضا.

وحاصرها سفيان بن أوس في خلافة معاوية سنة 52 هـ 672م وفي 97 هـ 715م.

وحاصرها مسلمة بن عبد الملك في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز ﷺ.

وحوصرت أيضا في خلافة هشام بن عبد الملك سنة 121 هـ 739م.

وفي المرة السابعة حاصرها الخليفة هارون الرشيد سنة 182 هـ 798م.

هذا ثم دخل السلطان المدينة فوجد الجنود مشتغلين بالسلب والنهب .. فأصدر أوامره بمنع كل اعتداء، فساد الأمن حالًا ثم زار كنيسة أيا صوفيا وأمر بأن يؤذن فيها بالصلاة إعلانا بجعلها مسجدًا جامعا للمسلمين. وبعد تمام الفتح على هذه الصورة أعلن في كافة الجهات بأنه لا يعارض في إقامة شعائر ديانة المسيحيين بل أنه يضمن لهم حرية دينهم وحفظ أملاكهم فرجع من هاجر من المسيحيين. وفرض عليهم دفع الخراج مستثنيا من ذلك أئمة الدين فقط.

وبعد إتمام هذه الترتيبات وإعادة ما هدم من أسوار المدينة وتحصينها سافر بجيوشه لفتح بلاد جديدة:

فقصد بلاد موره لكن لم ينتظر أميراها دمتريوس وتوماس أخوا قسطنطين قدومه بل أرسلا إليه يخبرانه بقبولهما دفع جزية سنوية قدرها اثنا عشر ألف دوكا فقبل ذلك السلطان.

وغير وجهته قاصدًا بلاد الصرب فأبرم أمير الصرب الصلح مع السلطان محمد الثاني على أن يدفع له سنويا ثمانين ألف دوكا وذلك في سنة 1454م.

وفي السنة التالية وصل مدينة بلغراد الواقعة على نهر الدانوب وحاصرها من جهة البر والنهر ثم أرسل الصدر الأعظم محمود باشا لإتمام فتح بلاد الصرب فأتم فتحها من سنة 1458 إلى سنة 1460م.

وفي هذه الأثناء تم فتح بلاد موره ففي سنة 1458م فتح السلطان مدينة كورنته وما جاورها من بلاد اليونان حتى جرد توماس بالولوج أخا قسطنطين من جميع بلاده ولم يترك إقليم موره لأخيه دمتريوس إلا بشرط دفع الجزية.

وفي ذلك الوقت فتحت جزائر تاسوس والبروس وغيرها من جزائر بحر الروم.

ثم أغار السلطان فوصل في أقرب وقت إلى مدينة بوخارست.

وفي سنة 1462م حارب السلطان بلاد البوسنة لامتناع أميرها عن دفع الخراج وأسره بعد محاربة عنيفة هو وولده وأمر بقتلهما فدانت له جميع بلاد البشناق وأهالي البوسنة.

وفي سنة 1463م استولوا على مدينة أرجوس وغيرها. ثم بعد هدنة استمرت سنة واحدة عادت الحروب بين العثمانيين والبنادقة وكانت نتيجتها أن افتتح العثمانيون جزيرة نجربونت وتسمى في كتب الترك اجر يبوس مركز مستعمرات البنادقة في جزائر الروم وتم فتحها في سنة 1470م وبعد أن ساد الأمن في أنحاء أوروبا حول السلطان أنظاره إلى بلاد القرمان بآسيا الصغرى.

ثم فضل البنادقة أن يبرموا صلحًا جديدًا مع السلطان ويتنازلوا عن أشقودره في مقابلة بعض امتيازات تجارية وتم الصلح بين الفريقين على ذلك وأمضيت به بينهما معاهدة في يناير سنة 1479م. وكانت هذه أول خطوة خطتها الدولة العثمانية للتدخل في شؤون أوروبا إذ كانت جمهورية البنادقة حين ذاك أهم دول أوروبا في التجارة البحرية وما كان يعادلها في ذلك إلا جمهورية جنوا.

فتح جزائر اليونان ومدينة أوترانت:

وبعد أن تم الصلح مع البنادقة وجهت الجيوش إلى بلاد المجر. وفي سنة 1480م فتحت جزائر اليونان الواقعة بين بلاد اليونان وإيطاليا وبعدها سار القائد كدك أحمد باشا بمراكبه لفتح مدينة أوترانت بإيطاليا التي كان عزم السلطان على فتحها جميعها ويقال أنه أقسم بأن يربط حصانه في كنيسة القديس بطرس بمدينة روما مقر البابا. ففتحت مدينة أوترانت عنوة في أغسطس سنة 1480م.

وفي سنة 1481م توفي أبو الفتح السلطان مُحَّد الثاني الغازي عن ثلاث وخمسين سنة. ومدة حكم 31 سنة، تم في خلالها مقاصد أجداده ففتح القسطنطينية وزاد عليها فتح مملكة طرابزون الرومية والصرب والبشناق وألبانيا الأرنؤود وجميع أقاليم آسيا الصغرى ولم يبق في بلاد البلقان إلا مدينة بلغراد التابعة للمجر وبعض جزائر تابعة للبنادقة ودفن في المدفن المخصوص الذي أنشأه في أحد الجوامع التي أسسها في الآستانة. فرحمه الله وجزاه عن الإسلام خيرا.

ويروى أنه عمل تنظيمات إدارية كثيرة كان منها. وضع أول مبادئ القانون المدني وقانون العقوبات فأبدل العقوبات البدنية أي السن بالسن والعين بالعين وجعل عوضها الغرامات النقدية بكيفية واضحة أتمها السلطان سليمان القانوني الذي توسع في التشريعات الوضعية. وعليه – إن صح الخبر – يكون هذا أول السير على طريق الكفر والبوار وأسباب هزيمة هذه الأمة. فقبح الله – من غير شرائعه – قال تعالى:

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: 44) .

- **(8) – السلطان الغازي بايزيد خان الثاني(1481– 1512م):**

توفي السلطان أبو الفتح مُحَمَّد الثاني عن ولدين أكبرهما بايزيد وكان حاكما باماسيا، وثانيهما جم المشهور في كتب الإفرنج باسم البرنس زيزيم وكان حاكما في القرمان .. وحصلت شواشر كثيرة بين الأخوين تدخل فيها البابا وملوك النصارى، وانتهت بموت الأمير جم مسمومًا في كنف ملك فرنسا.

لم تحصل فتوحات ذات بال في عهد بايزيد الثاني، ولكن توسعت العلاقات في عهده بين السلطنة وروسيا وممالك أوربا.

وكان للسلطان ثلاثة أولاد استعجلوا النزاع على السلطنة واستطاع الإنكشارية فرض السلطان سليم في حياة أبيه وأتوا به إلى القسطنطينية باحتفال زائد وساروا به إلى سراي السلطان وطلبوا منه التنازل عن الملك لولده المذكور فقبل واستقال في يوم 8 صفر سنة 918م 25 أبريل سنة 1512م.. ولم تزد أملاك الدولة العلية في زمن السلطان بايزيد الثاني إلا قليلا لحبه السلم وحقن الدماء. فكانت حروبه الخارجية اضطرارية للمدافعة عن الحدود حتى لا يستخف بها أعداؤها وكان سلمي الطباع كارها للقتل.

- **(9) – السلطان سليم الأول الغازي (1512– 1520م) :**

عين سليم الأول الذي لقب بـ (ياوز) أي القاطع ابنه سليمان حاكمًا للقسطنطينية وسافر بجيوشه إلى بلاد آسيا لمحاربة إخوته وأولاد إخوته حتى لم يبق له منازع في الملك بعد أن قتل من عثر عليه من إخوته وأولادهم !

ثم عاد إلى مدينة أدرنه حيث كان بانتظار سفراء من قبل البندقية والمجر وموسكو وسلطنة مصر فأبرم مع جميعهم هدنة لمدد طويلة بما أن مطامعه كانت متجهة إلى بلاد الفرس التي كانت أخذت في النمو والارتقاء في عصر ملكها شاه إسماعيل الصفوي الشيعي، الذي بدأت دولته تنمو شرق السلطنة. فقد كان إسماعيل قد فتح ولاية شيروان وجعل عاصمته مدينة تبريز سنة 1501م. وبعدها فتح العراق وبلاد خراسان وديار بكر سنة 1508م. وأرسل أحد قواده فاحتل مدينة بغداد. وفي سنة 1510م ضم إلى أملاكه بلاد فارستان وأذربيجان وبذلك امتدت مملكته من الخليج الفارسي إلى بحر الخزر ومن منابع الفرات إلى ما وراء النهر. وهكذا تاخمت دولة الصفويين الدولة العثمانية وأراد السلطان سليم إبعادها عنه.

فوقع القتال بين الجيشين في أغسطس سنة 1514م فانتصرت الجيوش العثمانية نصرًا مبينًا لتفوقها في سلاح المدفعية. وفر الشاه بما بقي من جيوشه ووقع كثير من قواده في الأسر وأسرت أيضا إحدى زوجاته ولم يقبل السلطان أن يردها لزوجها، بل زوجها لأحد كتابه انتقامًا من الشاه! وفتحت المدينة أبوابها ودخلها السلطان منصورًا في يوم 4 سبتمبر سنة 1514م. واستولى على خزائن الشاه وأرسلها إلى القسطنطينية. ثم فتحت الجيوش العثمانية مدائن ماردين وأورفه والرقة والموصل وبذل تم فتح إقليم ديار بكر وأطاعت كافة قبائل الكرد بدون كثير عناء بشرط بقائهم تحت حكم رؤساء قبائلهم.

فتح مصر انتقال الخلافة إلى العثمانيين:

لم ينته السلطان سليم من محاربة الشيعة وفتح بلاد ديار بكر والموصل حتى أخذ في الاستعداد لفتح سلطنة مصر، بما أن سلطانها قانصوه الغوري كان قد تحالف مع الشاه إسماعيل لمحاربة الدولة العثمانية. وسار بجيشه إلى بلاد الشام فتقابل الجيشان بقرب مدينة حلب الشهباء (حرسها الله وردنا إليها منصورين). فالتقوا في واد يقال له مرج دابق وقتل الغوري في أثناء انهزام الجيش المملوكي. وكان ذلك في أغسطس سنة 1516م. وبعد هذه الموقعة دخل السلطان حلب، ويروى أنه قتل كل من كان فيها من الشيعة، وقيل أنهم ثلاثين ألفا! ثم احتل السلطان سليم بكل سهولة مدائن حماه وحمص ودمشق وعين بها ولاة من طرفه. وقابل من بها من العلماء فأحسن وفادتهم وفرق الإنعامات على المساجد وأمر بترميم الجامع الأموي بدمشق. ولما صلى السلطان الجمعة به أضاف الخطيب عندما دعا له صفة: (**خادم الحرمين الشريفين**) وبقيت نعتًا للخلفاء العثمانيين. (ثم اغتصبها في زماننا المنحوس خادم اليهود والنصارى والمجوس ، ملك آل سعود فهد بن عبد العزيز).

ثم احتل العثمانيون مدينة غزة ثم مدينة القاهرة رغما عن مقاومة المماليك الذين حاربوهم من شارع لآخر ومن منزل لآخر حتى قتل منهم ومن أهالي البلد ما يبلغ خمسين ألف نسمة ! أما طومان باي فلم يلبث أن وقع في أيدي العثمانيين بخيانة بعض من معه، وشنق بأمر السلطان سليم في أبريل سنة 1517م بباب زويلة.

ومما جعل لفتح وادي النيل أهمية تاريخية عظمى أن مُحَمَّد المتوكل على الله، آخر ذرية الدولة العباسية الذي حضر أجداده لمصر بعد سقوط مدينة بغداد مقر خلافة بني العباس في قبضة هولاكو خان التتري سنة 656هـ – 1091م وكانت له الخلافة بمصر اسما تنازل عن حقه في الخلافة الإسلامية إلى السلطان سليم العثماني. وصدق الله العظيم: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ﴾. وسلمه الآثار النبوية الشريفة: وهي

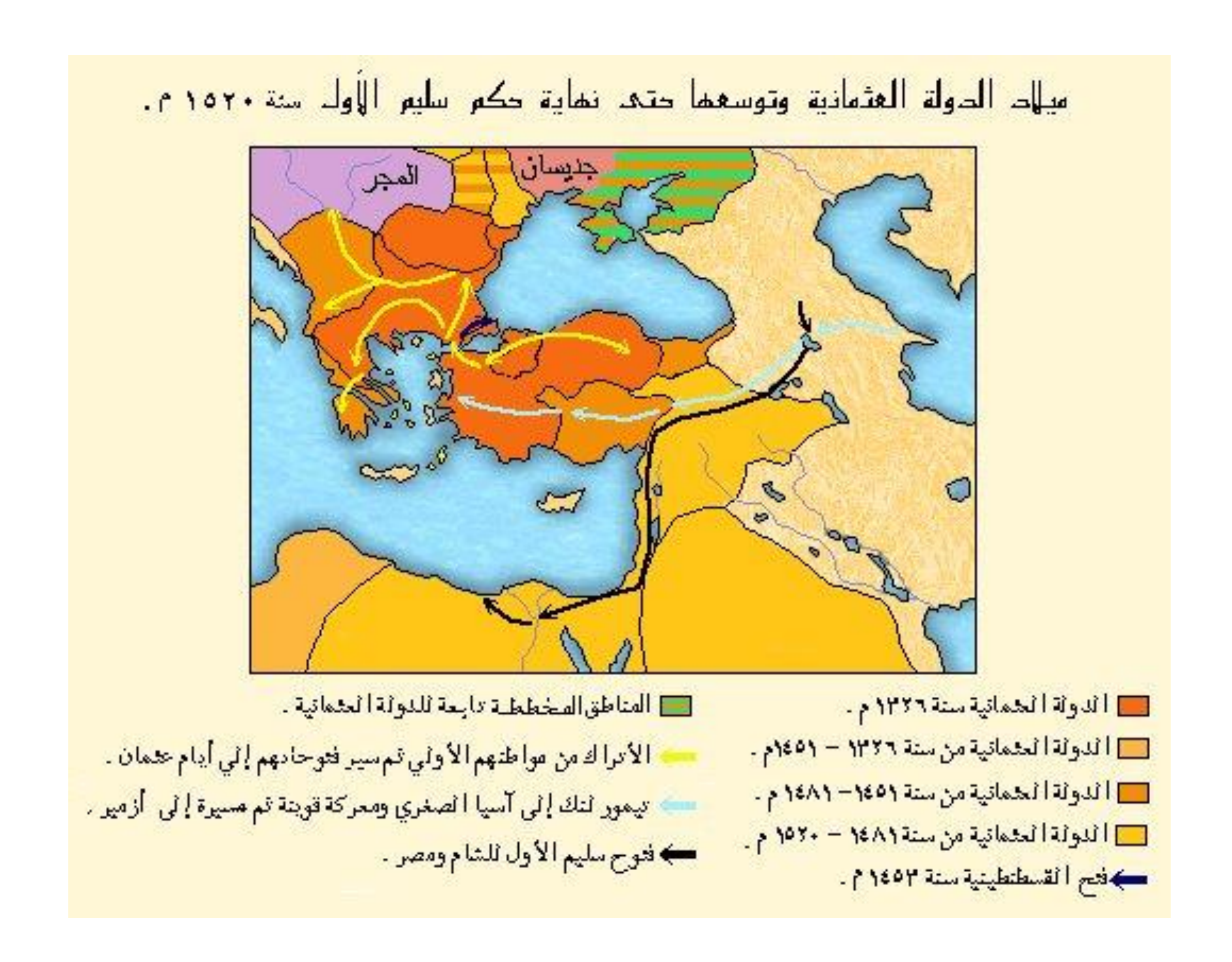
البيرق (العلم) والسيف والبردة، وسلمه أيضا مفاتيح الحرمين الشريفين. ومن ذلك التاريخ صار كل سلطان عثماني أميرًا للمؤمنين وخليفة للمسلمين.

وفي أوائل شهر سبتمبر سنة 1517م سافر السلطان سليم من القاهرة عائدا إلى القسطنطينية. وفي 20 رمضان سنة 923 هـ وصل السلطان إلى مدينة دمشق ومكث بها إلى 22 صفر سنة 924 هـ **وحضر الاحتفال بإقامة الصلاة أول مرة في الجامع الذي أقامه بدمشق على قبر محيي الدين بن العربي.** ثم سافر إلى مدينة حلب ومنها إلى أدرنه. وفي الطريق وصل إليه سفير من قبل مملكة أسبانيا ليخابره بشأن حرية زيارة المسيحيين للقدس الشريف الذي كان قبلًا تابعا لسلطنة مصر وتبعها في دخولها تحت ظل الدولة العثمانية. في مقابلة دفع المبلغ الذي كان يدفع سنويًا للمماليك فأحسن السلطان مقابلته وصرح بقبوله ذلك، وأبرم الإسبان معاهدة مع الباب العالي. وكذلك أتى إليه سفير من قبل جمهورية البندقية ليدفع له خراج سنتين متأخر الخراج المقرر عليها نظير بقائها في جزيرة قبرص.

وسبحان من يعز من يشاء ويذل من يشاء. حيث صارت الدولة العثمانية منذ عهد الفاتح دولة عظمى يحسب لها ملوك أوربا ألف حساب.

وكان السلطان سليم في هذه المدة مشتغلًا بتجهيز أسطول بحري لمعاودة الكرة على جزيرة رودس بحر. وكان يستعد أيضا لمحاربة شاه العجم ثانيًا ولكن لم يمهله المنون ريثما يتم مشروع فتح جزيرة رودس بل عاجله في رحلته من القسطنطينية إلى أدرنه فتوفي في سبتمبر سنة 1520م.

وكان حضرته – كما سجل المؤرخون – سفاكًا للدماء، ولوعًا بفك الرقاب. فقد قتل سبعة من وزرائه لأسباب واهية. وكان كل وزير مهددًا بالقتل لأقل هفوة. حتى صار يُدعى على من يرام موته بأن يصبح وزيرا له. وقد بنى السلطان سليم كثيرًا من الجوامع، وحول أجمل كنائس القسطنطينية إلى مساجد مع سبق الوعد من السلطان مُحَمَّد الثاني الفاتح لبطريق الروم بعدم مس نصف الكنائس الثاني الذي تركه لهم بعد فتح المدينة.



▪ (10) – السلطان الغازي سليمان خان الأول القانوني (1520–1566م):

وهو عاشر ملوك آل عثمان. وأوسعهم عزا ومجدا ، ويمثل عهده قمة بهاء دولتهم. وكان من عادته إرسال الخطابات إلى كافة الولاة وأشراف مكة والمدينة بخطابات مفعمة بالنصائح والآيات القرآنية المبينة، وذكر فضل العدل والقسط في الأحكام، ووخامة عاقبة الظلم. وكان يستهل خطاباته بالآية الشريفة: [إنه من سليمان وإنه بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ].

وكان من أهم أحداث عهده:

- فتح مدينة بلغراد في سنة 1521م : بعد أن ورد خبر قتل السفير الذي أرسله السلطان إلى ملك المجر يطلب منه دفع الجزية أو الحرب. فاستشاط السلطان غضبًا وسار هو بنفسه في مقدمة الجيش إلى بلغراد فدخلها وصلى الجمعة في إحدى كنائسها

التي حولت مسجدًا وصارت هذه المدينة التي كانت أمنع حصن للمجريين أكبر مساعد لها على فتح ما وراء نهر الدانوب من الأقاليم والبلدان.

- فتح جزيرة رودس سنة 1523م: وبعد ذلك أخذ السلطان في الاستعداد برًا وبحرًا لفتح جزيرة رودس التي لم يتمكن السلطان مُحَّد الفاتح من فتحها لتكون حلقة اتصال بين القسطنطينية ومصر من جهة البحر. ولكي لا يكون للمسيحيين مركز حصين في وسط بلاده تلجأ إليه أساطيل الدول المعادية للدولة وقت الحرب.
- فتح بلاد المجر وعاصمتها سنة 1526م: كانت الحرب غير منقطعة بين المجر وبين العثمانيين على التخوم. وبعد أن افتتح الجيش عدة قلاع ذات أهمية حربية على نهر الطونة وصل بجيشه إلى وادي موهاكس في أغسطس سنة 1526م فقتل هناك أغلب الفرسان المجرية وقتل ملكهم ولم يعثر على جثته. فكانت هذه الواقعة سبب فتح بلاد المجر بأسرها. ولذلك أرسل أهالي مدينة (بود) عاصمة المجر مفاتيح المدينة إلى السلطان فاستلمها مشددًا الأوامر على الجنود بعدم التعرض للأهالي والمحافظة على النظام لكن لم تجد تنبيهاته شيئًا.
- ابتداء الحروب مع النمسا وحصار عاصمتها (فيينا):

ثم قام السلطان بجيوشه قاصدًا مدينة (فيينا) ووصل السلطان سليمان بجيوشه أمام عاصمة بلاد النمسا ووضع الحصار حولها وسلط مدافعه على أسوارها فهدم جزءًا منها وفتح بها ثلما حتى صار يمكن الجيوش الهجوم منه ثم أمر الجنود بالهجوم، ولكنه لم يتمكن من الدخول في المدينة، ولما نفدت الذخيرة وأقبل الشتاء أصدر أوامره بالرجوع عن فيينا، تلك السنة وإعداد الجيوش لمعاودة الكرة فيما بعد. وفي 19 رمضان سنة 938 هـ 25 أبريل سنة 1532م سار السلطان سليمان قاصدًا مدينة فيينا ثانية لفتحها. ولما وصل إلى مدينة نيش ببلاد الصرب وجد في انتظاره سفراء من قبل أرشيدوق النمسا ووجد بمدينة بلغراد سفيرًا جديدًا من قبل ملك فرنسا وبعد المقابلة وتبادل عبارات السلام بين السفير الفرنساوي والخليفة عاد السفير لملكه حاملًا خطابًا يؤكد السلطان فيه اتحادهما على محاربة

شارلكان (وكان ملكا للنمسا وهولندا وأسبانيا وإمبراطورا لألمانيا ويدخل معظم جنوب إيطاليا وجنوة وجزيرة مينوركا، ووهران في ساحل الجزائر في ملكه) وبهذا كان يحيط بفرنسا من جميع الجهات. ووعد السلطان بإمداد فرنسا بالأسطول العثماني إذا مست الحاجة. ثم سار السلطان بجيوشه الذين كان يبلغ عددهم مائتي ألف مقاتل وانضم إليهم بعد مزاولتهم مدينة بلغراد خمسة عشر ألف فارس من تتر القرم وفي أثناء المسير نحو مدينة فيينا، فتح الجيش عدة قلاع وحصون بدون مقاومة تذكر. ولعدم وجود مدافع حصار معه ولاقتراب فصل الشتاء بزمهريره عاد عنها أيضا.

ولما وصل السلطان في إيابه إلى مدينة فيليبه عين صاحب كراي التتري خانا لبلاد القرم بدل أخيه مكافأة له على خدماته أثناء مرور الجيش بأراضي النمسا. وفي أثناء انتشاب هذه الحروب من جهة البر. أتت مجموعة من سفن شارلكان الحربية ومعها عدة من سفن البابا بقصد محاربة العثمانيين من جهة البحر، فاحتلت مينائي كورون وباتراس ببلاد موره بعد قتل من كان بها من الجنود الإنكشارية وتدمير القلعتين اللتين أقامهما السلطان بايزيد الثاني على ضفتي خليج ليبالت ببلاد اليونان. وفي أوائل سنة 1523م أرسل أرشيدوق النمسا سفيرًا من قبله إلى الآستانة يعرض طلب الصلح على جلالة السلطان، ولم يقبل السلطان الصلح بل قبل المهادنة مؤقتًا حتى تسلم إليه مفاتيح مدينة جران. وبعدها تحول الهدنة إلى صلح فأرسل السفير لعرض هذه الشروط على أكابر الدولة وأعيانها فقبلوها، وبعد ذلك تحررت بين الطرفين معاهدة الصلح في يونيو سنة 1533م. وأهم ما فيها أن يرد النمساويون مدينة كورون للدولة العثمانية ولا يردوا شيئا مما فتحوه من بلاد المجر. وأن ما تتفق عليه النمسا مع زابولي صاحب بلاد المجر لا ينفذ ما لم يعتمده جلالة السلطان العثماني وهي أول معاهدة صلح بين النمسا والباب العالي.

- **الامتيازات القنصلية:**

وفي أوائل شهر فبراير سنة 1536م تم الاتفاق بين سفير فرنسا والباب العالي وصدر به خط شريف يمنح بعض امتيازات لرعايا ملك فرنسا النازلين بأراضي الممالك الثمانية، ويدل نص المعاهدة على عظيم ما وصلت إليه الدولة العثمانية آنذاك من العز والقوة والمهابة .. وبذلك صارت فرنسا الدولة الأوروبية الوحيدة الحائزة امتيازات لرعاياها ولكن يؤخذ عليها فتح الباب للإمتيازات القنصلية التي أعطت الأجانب الحق في التدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية خصوصًا في القرن التاسع عشر والعشرين بحجة الأقليات النصرانية، والجاليات. كما سيجيء لاحقا.

- **خير الدين باشا البحري وفتح إقليمي الجزائر وتونس:**

اشتهر القبطان خير الدين في كتب الإفرنج باسم (باربا روسا) أي ذي اللحية الشقراء. واصل خير الدين باشا من جزيرة مدللي إحدى جزائر الروم، وكان هو وأخ له يدعى (اوروج) يشتغلان بالقراصنة في بحر الروم (البحر المتوسط). ثم أسلما ودخلا في خدمة السلطان مُحَّد الحفصي صاحب تونس. واستمرا في حرفتهما وهي أسر مراكب المسيحيين التجارية وأخذ كافة ما بها من البضائع وبيع ركابها وملاحيها بصفة رقيق. وفي ذات يوم أرسلا إلى السلطان سليم الأول إحدى المراكب المأسورة إظهارًا لخضوعهم لسلطانه فقبلها منهما. وأرسل لهما خلعًا سنية وعشر سفن ليستعينوا بها على غزو مراكب الإفرنج. فقويت شوكتهما وتمكنا من فتح إقليم الجزائر باسم السلطان العثماني سنة 1533م، وحاولا فتح تونس سنة 1535م. وقاموا بجهود جليلة في مساعدة المسلمين الفارين من بطش النصارى بعد سقوط غرناطة (1492م) ، وساعدوا في نقلهم بحرا إلى المغرب.

ثم جرى حلف بين فرنسا والدولة العثمانية على محاربة النمسا:

وكان من نتائج محالفة فرنسا مع الدولة العثمانية، أن اتفاقهما كان قاضيًا بأن الدولة العلية تجعل وجهة حروبها بلاد نابولي وجزيرة صقلية وأسبانيا عوضا عن مهاجمة النمسا التي تتحد مع جميع إمارات وممالك ألمانيا للمدافعة عنها، إذ هي مع استقلالها جزء من التحالف الألماني. وأن جيوش فرنسا تدخل بلاد إيطاليا من جهة إقليم بيمونتي بشمال غرب إيطاليا حينما تدخلها الجيوش العثمانية من جهة مملكة نابولي. لكن عدم دخول جمهورية البندقية في هذا التحالف وإظهارها العدوان لهم كان سببًا في عدم نجاح كل هذه التدابير. فأراد السلطان سليمان الانتقام من جمهورية البنادقة على عدم انحيازها لتحالفه مع أنه راعى جوارها ولم يغز بلادهم فأرسل خير الدين باشا الذي ترقى إلى رتبة (قبطان باشا جميع الأساطيل العثمانية) ومعه نحو ألف سفينة لمحاصرة جزيرة كورفو! فحاصرها في شهر سبتمبر سنة 1537م وأتى السلطان بنفسه لمراقبة الحصار. لكنه أمر برفعه عنها لشدة دفاع أهلها وعدم ضياع وقته حول هذه الجزيرة. وعاد هو إلى القسطنطينية وأرسل خير الدين باشا لفتح ما بقي من جزائر الروم، ففتح أغلبها وغزا جزيرة كريت، وفي عودته قابل أسطولًا مؤلفًا من مئة وسبعين سفينة تقريبًا يقودها أندري روبا أميرال شارلكان فحاربها وانتصر عليها في 25 سبتمبر سنة 1538م. وفي مايو سنة 1538م جمع السلطان سليمان ببلاد الأرنؤود جيشًا عظيمًا مؤلفًا من مائة ألف مقاتل لشن الغارة على بلاد إيطاليا.

وفي الوقت نفسه نزل خير الدين باشا بميناء (اوترانته) بجنوب إيطاليا استعدادًا لمهاجمتها من جهة الجنوب بينما يهاجمها السلطان سليمان من جهة الشرق وملك فرنسا من جهة الغرب. لكن إحجام فرنسا عن التقدم إطاعة للرأي العام كما ذكرنا كان السبب في عدم نجاح هذا المشروع الذي لو تم لكانت نتيجته دخول بلاد إيطاليا بأسرها تحت ظل الدولة العثمانية. وانتهى الأمر بأن تهادن ملك فرنسا مع شارلكان وامضيا مهادنة نيس سنة 1538م أما من جهة البندقية فاستمرت الحرب بينها وبين الدولة العثمانية سجالًا وانتهت بالصلح في أواخر سنة 1538م. بتنازل البندقية عن ملفوازي ونابولي دي رومانيا

من بلاد موره. أما من جهة بلاد المجر فابتدأت الحروب ثانية سنة 1537م، وانتهت بانهزام جيش ألماني مرسل من قبل شارلكان تحت رياسة أشهر قواده في ديسمبر سنة 1537م. واستمرت المواجهات بين العثمانيين والنمسا بشأن النفوذ في المجر وتعيين حكامها إلى سنة 1541م. **وتدل التفاصيل (المختصرة) السابقة على مدى قوة العثمانيين في عهد سليمان وسعي أكبر دول أوربا لطلب ودها والتحالف معها.**

سفر الأسطول العثماني إلى فرنسا وفتح مدينة نيس:

أرسل فرانسوا الأول إلى السلطان سليمان يطلب منه مساعدته على محاربة شارلكان بسفنه وقائدها خير الدين باشا، فتردد السلطان أولًا لعدم ثبات ملك فرنسا وضعف عزيمته. وقبل أخيرًا بناء على إلحاح السفير وتعضيد خير الدين باشا له، لاسيما وقد وصل إليه خبر مهاجمة شارلكان بجيوشه لمدينة الجزائر وارتداده عنها خائبا في أكتوبر سنة 1541م. وفي ربيع سنة 1543م سافر السلطان بجيوشه إلى بلاد المجر لاستئناف المحاربات وفي الوقت نفسه أقلع خير الدين باشا من مياه الآستانة بمراكبه ومعه السفير الفرنساوي بولان قاصدًا مرسيليا إحدى موانئ فرنسا الجنوبية فوصلها بعد أن غزا في طريقه سواحل جزيرة صقلية. وقوبل من الفرنساويين بكل تجلة وإكبار وانضمت سفنه إلى سفنهم ومنها اقلعوا إلى مدينة نيس، فحاصروها من جهة البحر وفتحوها عنوة في أغسطس سنة 1543م. ولوقوع الشحناء بين العسكرين لم يتم احتلالها. ثم أذن لخير الدين باشا ومراكبه بتمضية فصل الشتاء في ميناء طولون بفرنسا، وأعطى له ثمانمائة ألف ريال فرنساوي للصرف على جنوده. وفي ربيع السنة التالية سنة 1544م رفض فرانسوا الأول مساعدة الأسطول العثماني له لهياج جميع المسيحيين عليه ونسبتهم إياه للمروق عن دينه لاستعانته بالمسلمين. وأبرم مع شارلكان في مارس سنة 1544م معاهدة كريسي القاضية بالصلح فعاد خير الدين باشا إلى القسطنطينية وتوفي سنة 1546م ودفن على شاطئ البوسفور في إسلامبول.

إبرام الصلح مع النمسا:

أما من جهة النمسا فاستمر القتال بينها وبين العثمانيين مدة من الزمن كان النصر فيها غالبا في جانب العثمانيين. وأخيرًا توصل الطرفان إلى عقد صلح مرضى لكل منهما رغم سعي سفير فرنسا في عدم الوصول إلى الوفاق طمعا منه في تجديد علائق الإلفة بين دولته والدولة العثمانية. وتم الصلح بينهما في سنة 1547م. على هدنة خمس سنوات بشرط أن يدفع فردينان ملك النمسا جزية سنوية مقدارها ثلاثون ألف دوكا نظير ما بقي تحت يده من بلاد المجر. وأن تبقى بلاد المجر تابعة لابن زابولي أميرها الأخير تحت وصاية أمه إيزابلا ورعاية الدولة العثمانية.

أما في جهات آسيا:

فقد حضر إلى دار الخلافة العظمى سنة 1537م سفير من قبل صاحب دهلي بالهند يستنجده ضد همايون بن ظاهر الدين مُحَّد الشهير ببابر صاحب دهلي وآخر من قبل صاحب الجوزرات بالهند ويطلب منه أيضا المساعدة ضد البرتغاليين الذين أغاروا على بلاده واحتلوا أهم ثغورها.

فتح عدن: فأرسل السلطان أوامره إلى والي مصر إذ ذاك بتجهيز أسطول بحري بثغر السويس على البحر الأحمر لمحاربة البرتغاليين وفتح عدن وبلاد اليمن حتى لا تستولي عليها البرتغال أو أي دولة أوروبية أخرى فتصير حجر عثرة في سبيل تقدم الدولة العثمانية في جهات الشرق وقاعدة لأعمال الدولة التي تحتلها ضد مصر. فصدع بأمره وشيد أسطولا بحريا هائلا مؤلفا من سبعين سفينة على عجل ، وسلحها بالمدافع الضخمة وسار بها في يونيو سنة 1538م ومعه عشرون ألف جندي. وفتح مدائن عدن ومسقط، وحاصر جزيرة هرمز عند مدخل بلاد العجم. ثم قصد سواحل الجوزرات وفتح أغلب الحصون التي أقامها البرتغاليون هناك. ثم قفل راجعًا بالغنائم. وفتح في أيامه معظم إقليم اليمن وجعله ولاية عثمانية.

وفي سنة 1547م أتى إلى الباب العالي أخ لشاه العجم يدعى القاصب مرزا وطلب من السلطان إنجاده ضد أخيه الذي اهتضم له حقوقا، فانتهز السلطان هذه الفرصة لتجديد الإغارة على بلاد العجم وانتظر ريثما يتم الصلح بأوروبا.

وفي أوائل سنة 1548م سار بجيوشه قاصدًا مدينة تبريز، فدخلها وفتح في طريقه الجزء التابع للعجم من بلاد الكرد وقلعة وان الشهيرة.

ولم تدم السكينة في ربوع بلاد المجر. فأرسل جيشا مؤلفًا من ثمانين ألف جندي إلى بلاد المجر في شهر سبتمبر سنة 1551م. ولم يقابل هذا الجيش في طريقه مقاومة تذكر بل فتح بكل سهولة القلاع والحصون التي احتلتها جيوش النمسا لإخلاء النمساويين لها عند اقتراب الجنود العثمانية إليها ودنوها منها.

وفي سنة 1552م انتصر العثمانيون على النمساويين في عدة وقائع وفتح الوزير الثاني أحمد باشا مدينة تمسفار وحاصرت الجيوش بعد ذلك مدينة أرلو الحصينة ببلاد النمسا. وفي أثناء ذلك كان القبطان طرغول الذي خلف خير الدين باشا في غزو مراكب الإفرنج وشواطئ بلادهم قد حاز شهرة عظيمة في الحروب البحرية، وخافت من اسمه جميع دول الإفرنج المعادية للدولة العثمانية وحفظ اسم البحرية العثمانية من السقوط بموت رئيسها ومؤسسها الأكبر خير الدين باشا.

معاهدة سنة 1553م بين الدولة العثمانية وفرنسا:

بعد موت السلطان فرانسوا الأول ملك فرنسا، حذا ولده هنري الثاني حذوه ونسج على منواله في موالاة الدولة العثمانية والمحافظة على محبتها وتوثيق عرى الإلفة والاتحاد معها للاستعانة ببحريتها عند الحاجة. فأبقى المسيو جبريل درامون سفيرًا له في إسلامبول وأمره بمرافقة السلطان في حملته الأخيرة على بلاد العجم فرافقه. وفي عودته زار بيت المقدس، فقابله الرهبان والقسس بكل احتفال لتأييد المعاهدات السابقة القاضية بجعل جميع الكاثوليك المستوطنين بأراضي الدولة العثمانية تحت حماية فرنسا ثم عاد إلى فرنسا فوجد

نيران الحرب قد اشتعلت ثانيا بينها وبين النمسا. فعاد إلى إسلامبول واتفق مع الباب العالي على أن يتحد الأسطول العثماني مع الأسطول الفرنسي لفتح جزيرة كورسيكا، مجازاة لأهالي جنوه المحتلين لها على مساعدتهم لشار لكان. ولتكون مركزًا لأعمال الأسطولين في غزو سواحل أسبانيا وإيطاليا.

وأبرمت بذلك معاهدة بتاريخ 16 صفر سنة 960هـ. أول فبراير سنة 1553م. وننقل بعضا مما جاء فيها لدلالتها على مجد الدولة العثمانية التي حملت لواء الإسلام في ذلك الزمان:

[أن جلالة السلطان سليمان وهنري دي فالوا الثاني ملك الفرانك قد أبرما اتحادًا مشتملًا على العبارة الآتية بخصوص الحرب البحري – جعله الله حميد العاقبة – !! والذي سيشرعان فيه ضد الإمبراطور شارلكان:

البند 1 : بما أن جلالة السلطان سليمان سلطان الترك بإرساله أسطولًا بحريًا في بحر التوسكان ضد الإمبراطور شارل الخامس، قد أعان بذلك هنري دي فالوا مدة سنتين بناء على طلبه المتكرر في بادئ الأمر وبالخصوص بناء على ترجيعاته البالغة أقصى درجات الحض. فقد اتفق بأن الملك هنري يدفع ثلاثمائة ألف قطعة من الذهب بصفة متأخر مرتب الأسطول.

البند 4 : كل سفينة تابعة للإمبراطور أو للمتحالفين معه سواء أكانت معدة للنقل أو كانت من المراكب الخفيفة وسواء أكانت سفنا حربية صغيرة أو كبيرة فبمجرد وقوعها أسيرة لدى الأسطول العثماني تصير من تلك اللحظة ملكا للسلطان سليمان ملك الترك.

البند 5 : المدن والقصبات والقرى والكفور التي تتغلب عليها البحرية العثمانية تكون مباحة غنيمة للترك وجميع سكانها راشدين أو قاصرين رجالا كانوا أو نساء ولو أنهم معتنقون الديانة المسيحية ويكونون قد سلموا أنفسهم باختيارهم فإنه لا بد من تركهم أسراء وعبيدا للترك ...

البند 6 : إذا أصدر الملك هنري أمره إلى أسطول جلالة السلطان سليمان بأن تحارب شارل ملك النمسا غير متجهة نحو الغرب بل نحو الشرق والجنوب ويقصد بذلك مسيرها في الشواطئ من عند مصب نهر ترونتو لغاية كروتون بحيث أن هذه السفن تقوم بأعباء أوامر هنري بدون مقابل فقد اتفق على أن المواد الحربية ومؤونات المدن والقصبات التي تقع تحت يد الترك يتنازل عنها للملك هنري. ولكن المدن والقصبات والقرى والكفور فإنها تترك غنيمة للترك كما تقرر ذلك بالبند السابق. وأما السكان والمزارعون والقاطنون البالغون والقاصرون الرجال منهم والنساء فإنهم يسلمون للأسر بدون معارضة حتى ولو كانوا ممن يعتنقون الديانة المسيحية بل ولو كانوا ممن أسلم نفسه بمحض إرادته.

البند 7 : يمكن لأميرال جلالة الملك سليمان أن يستولي ويأسر باسم مليكه الأفخم كل مكان تقدم عليه البحرية التركية المظفرة متى رأى ثمة من فائدة وذلك من ابتداء حدود نهر ترونتو لغاية اوترانت وكرتون ومن ثم لغاية صقلية ونابولي وعموما جميع الأقاليم المملوكة للإمبراطور شارل الخامس ملك النمسا. سواء أكان ذلك المكان داخل الأراضي أو سواء كان مدينة أو قصبة أو قرية أو كفرا أو ميناء أو خليجا وله الحق في الاستيلاء على أي سفينة يصادفها وله أن يغزو بل وأن ينهب ويأسر الرجال والنساء البالغين أو القاصرين حتى أنه يمكنه متى شاء أن يحافظ ويتملك جميع ما يغتنمه سواء أكان من بني الإنسان أو المدن أو البيوت الخلوية وأن يعدها ويستعملها لاحتياجاته ولو ضد رغبة الفرنك وبالرغم عن مضاد تهم الشديدة في ذلك.

البند 9 : جلالة السلطان سليمان يسلم عدا عن ذلك الثلاثين سفينة حربية وبحارتها بدون أدنى فدية وكذا المدافع والمؤن وجميع المواد ويستثنى من ذلك رجال بحريته الخصوصيون وعساكره. كما وأنه يدفع في أقرب وقت لبرنس سالرن الذي بذل نفسه وكل ما في وسعه للحصول عليها وكان نصيبه أن حرم من منصبه وطرد من وطنه وبيته مبلغ الثلاثين ألف قطعة من الذهب التي صرفها بكل ارتياح وكرم. اهـ.

ثم تتابعت المناوشات بين السلطنة والنمسا في المجر ولم تحصل أمور مهمة.

ثم افتتح أميرال العثمانيين طرغول طرابلس الغرب (ليبيا) في غضون سنة 1551م، ووجه السلطان سليمان اهتمامه إلى تعزيز سفنه الحربية لحماية الجزائر وطرابلس الغرب لبعدها عن مقر الخلافة العظمى وطموح أنظار أسبانيا إلى إرجاعها. إذ أن وجود العثمانيين فيها يهدد سواحل أسبانيا ونابولي التي كانت تابعة لأسبانيا في ذلك الحين.

حصار جزيرة مالطة:

في أوائل سنة 1565م أرسلت قطع بحرية مؤلفة من نحو مائتي سفينة لفتح جزيرة مالطة مقر رهبنة القديس حنا الأورشليمي لأهمية هذه الجزيرة الواقعة بين إقليم تونس وجنوب ايطاليا وضرورة احتلالها لكل دولة تريد أن تكون لها اليد الطولى على البحر الأبيض المتوسط. فامتد حصارها سبتمبر 1565م وعادت السفن بجيوشها إلى إسلامبول.

الفتن داخل بيت السلطان سليمان:

حصلت حادثة شنيعة وهي قتل السلطان لولده الأكبر مصطفى بناء على دسيسة إحدى زوجاته المسماة في كتب الإفرنج (روكسلان الروسية) أما في كتب الترك فاسمها خورم أي (الباسمة) وذلك حتى يتولى بعده ابنها سليم بمساعدة الصدر الأعظم رستم باشا .. وكانت هذه الفعلة الشنعاء نقطة سوداء في تاريخ السلطان سليمان الذي اتسعت دائرة السلطنة في أيامه .. ولم تكن هذه الحادثة خاتمة الفظائع بل أعقبها فتن ودسائس أدت لقتل السلطان لأولاد آخرين له ولأحفاده منهم.

موت السلطان سليمان:

واشتد مرض السلطان وتوفي في سبتمبر سنة 1566م. عن أربع وسبعين سنة قمرية. وكانت مدة ملكه ثمانية وأربعين سنة قضاها في توسيع نطاق الدولة وإعلاء شأنها حتى بلغت في أيامه أعلى درجات الكمال.

وقد اشتهر السلطان سليمان بـ (القانوني) لما وضعه من النظم الداخلية في كافة فروع الحكومة فادخل بعض تغييرات في نظام العلماء والمدرسين الذي وضعه السلطان مُحَمَّد الفاتح. ويعتبر موت السلطان سليمان نهاية لعصر القوة في الدولة العثمانية وبداية السير نحو الانحطاط ثم الإنهيار فالنهاية.

أسباب بداية انحطاط الدولة العثمانية:

وكان ذلك لجملة أسباب منها:

العدوان على سلطان الله بالتشريع الوضعي، والذي ابتدأ من قبل ولكنه توسع في عهد سليمان حتى لقب بالقانوني.

إعطاء الامتيازات القنصلية لسفراء الدول الأجنبية، كما رأينا سفير فرنسا. والذي تحول لحق في التدخل في شؤون الدولة. ثم التآمر عليها.

بذخ السلاطين، ودخولهم مرحلة الانصراف للدنيا والاستكثار من المحظيات اللواتي كان أكثرهن من الدول النصرانية المجاورة.

زيادة الثروة بسبب الفتوحات العديدة والغنائم الكثيرة. ولا يخفى أن الثروة تورث غالبًا المفاخرة في المصرف والتغالي في الزهو والترف وكل أمة سادت فيها هذه الخصال لا بد لها من الإنهيار.

كان الإنكشارية لا يخرجون إلى الحرب إلا إذا كان السلطان معهم. ولذا كانت أهم الحروب والغزوات تحت إمرة السلطان وقيادته. فغير السلطان سليمان هذه السنة الحميدة وأجاز للإنكشارية القتال تحت إمرة قائدهم الأكبر ولو لم يكن السلطان موجودا فكان هذا

التغيير سببا في تقاعس أغلب من خلفه من السلاطين عن الخروج من قصورهم الباذخة وتفضيلهم البقاء بين غلمانهم وجواريهم المختلفات الأجناس على الخروج للقتال وتكبد مشاقه.

ومنها أن كافة أمور الدولة المهمة كانت تنظر في ديوان الوزراء تحت رئاسة السلطان فأبطل السلطان سليمان هذه العادة وصار الديوان ينعقد تحت رئاسة أكبر الوزراء وهو الصدر الأعظم والسلطان لاه عن ذلك معرض عن دسائس الوزراء ومن يستعينون بهم من جواريه وأزواجه وترتب على ذلك أن صارت الأمور بيد الوزراء المغايرين للجنس العثماني أصلا ونسبا إذ أن أغلبهم ممن أسلم أو تظاهر بالإسلام من النصارى أو من غلمان وخدم.

ومنها الإباحة للانكشارية بالتزوج والإقامة خارج ثكناتهم مع إعطائهم بعض امتيازات وقبول الأخلاط ضمن زمرتهم مما جعلهم من أكبر موجبات تأخر الدولة بعد أن كانت من أعظم عوامل تقدمها إلى غير ذلك من الأسباب التي سنوردها تباعا بحسب مقتضياتها.

- **(11) – السلطان الغازي سليم خان الثاني (1566–1577م)** :

وهو **ابن روكسلان الروسية** سابقة الذكر وتولى الملك بعد موت أبيه. ولم يكن السلطان متصفا بما يؤهله للقيام بحفظ فتوحات أبيه فضلا عن إضافة شيء إليها ولولا وجود الوزير الطويل مُحَمَّد باشا صقللي المدرب على الأعمال الحربية السياسية للحق الدولة الفشل. لكن حسن سياسة هذا الوزير وعظم اسم الدولة ومهابتها في قلوب أعدائها حفظتها من السقوط مرة واحدة. ومن أهم ما جرى في عهد هذا السلطان:

تم الصلح بينها وبين النمسا سنة 1568م بمعاهدة من شروطها حفظ النمسا أملاكها في بلاد المجر ودفعها الجزية السنوية المقررة بالعهود السابقة واعترافها بتبعية أمراء ترانسلفانيا والفلاخ والبغدان إلى الدولة العثمانية. كما تجددت أيضا الهدنة مع ملك بولونيا باعتراف الباب العالي بالتحالف الذي حصل ما بين ملك بولونيا وأمير البغدان. وكذلك جددت

مع شارل التاسع ملك فرنسا في سنة 1569م الاتفاقيات التي تمت بين الدولتين في عصر السلطان سليمان.

وأيد السلطان سليم (ابن الروسية) **الامتيازات القنصلية** وزاد عليها امتيازات أخرى أهمها معافاة كل فرنساوي من دفع الخراج الشخصي وأن يكون للقناصل الحق في البحث عمن يكون عند العثمانيين من الفرنساويين في حالة الرق وإطلاق سراحهم والبحث عمن أخذهم بصفة رقيق لمجازاته وأن يرد السلطان كافة الأشياء التي تأخذها قراصنة البحر من المراكب الفرنساوية ومعاقبة الآخذ لها وأن تكون المراكب العثمانية ملزمة بمساعدة ما يرتطم من السفن الفرنساوية على شواطئ الدولة وبحفظ ما بها من الرجال والمتاع وأن يكون لفرنسا كل الامتيازات الممنوحة لجمهورية البنادقة.

ولزيادة توثيق عرى الاتحاد بين الدولة وفرنسا وزيادة نفوذ اتحادهما اتفقت الدولتين على ترشيح هنري دي فالوا أخي ملك فرنسا لعرش بولونيا ليكون لهم ظهيرا ضد النمسا من جهة وضد روسيا من جهة أخرى وقد تم ذلك فعلا وصارت بولونيا تحت حماية الدولة العثمانية حماية فعلية وإن لم تكن إسمية.

وبذلك صارت فرنسا ملكة التجارة في البحر الأبيض المتوسط وجميع البلاد التابعة للدولة **وأرسلت تحت ظل هذه المعاهدات عدة إرساليات دينية كاثوليكية إلى كافة بلاد الدولة الموجودة بها مسيحيون خصوصا في بلاد الشام لتعليم أولادهم وتربيتهم على محبة فرنسا. وكانت هذه الامتيازات الموجبة لضعف الدولة بسبب تدخل القناصل في الإجراءات الداخلية بدعوى رفع المظالم عن المسيحيين واتخاذها لها سبيلا لامتداد نفوذها بين رعايا الدولة المسيحيين وأهم نتائج هذا التدخل وأضره مآلا وأوخمه عاقبة استعمال هذه الإرساليات الدينية في حفظ جنسية ولغة كل شعب مسيحي حتى إذا ضعفت الدولة أمكن هذه الشعوب الاستقلال بمساعدة الدول المسيحية أو الانضمام**

إلى إحدى هذه الدول كما شوهد ذلك في هذا القرن الأخير من عمرها مما سيأتي مفصلا.

ومن أعمال الوزير مُحَمَّد باشا صقللي أن أرسل جيشا عظيما إلى بلاد اليمن في سنة 976 هـ سنة 1569م تحت قيادة عثمان باشا الذي عين عاملا عليها لقمع ثورة أهاليها الذين خرجوا على الدولة العثمانية مع سلطانهم الشريف مطهر بن شرف الدين يحيى فانتصر عثمان باشا عليهم بمساعدة سنان باشا والي مصر ودخلت الجيوش المظفرة مدينة صنعاء.

فتح جزيرة قبرص:

ومن أعماله أيضا فتح جزيرة قبرص التي كانت تابعة للبندقية فأرسلت إليها المراكب الحربية. حيث فتحت في أغسطس1570م. وصارت من ذلك العهد تابعة للدولة العثمانية إلى أن احتلها الإنكليز سنة 1878م.

وفي هذه الأثناء غزت المراكب العثمانية جزيرة **كريت**، وظنته، وغيرها بدون أن تفتحها واحتلت مدائن دلنسنيو وانتيباري على البحر الأدرياتيكي ولما رأت البندقية تغلب العثمانيين عليها وفتح كثير من بلادها استعانت بأسبانيا والبابا وتم بينهم الاتفاق على محاربة الدولة بحرا خوفا من امتداد سلطتها على بلاد إيطاليا. فسارت سفن المسيحيين إلى شواطئ الدولة وكانت تلك الحملة المختلطة. وانتهى الأمر بانتصار الأسطول المسيحي فأخذت 130 سفينة عثمانية. وأحرقت وأغرقت 94. وغنمت 300 مدفعا و30 ألف أسير. وهذه أول واقعة حصلت بين الدولة من جهة وأكثر من دولتين مسيحيتين من جهة أخرى. وكان اشتراك البابا فيها يدل على أن المحرك لهذه التحالفات ضد الدولة الإسلامية آنذاك هو الدين كما أثبتت الحوادث والحروب فيما بعد وليس مسائل السياسة والمصالح كما يدعون. مما لا يجعل عند المطالع أقل ريبة أو شك في أن (المسألة الشرقية) كما دعيت فيما بعد مسألة دينية أساسا.

أما من جهة أسبانيا فقد قصد دون جوان مدينة تونس في أواخر سنة 1572م .. لكن لم يلبث العثمانيون إلا نحو 8 أشهر حيث تم استرجاعها ثانية إلى أملاك الدولة بواسطة سنان باشا في أغسطس سنة 1575م.

وفي جهة بلاد البغدان انتصر العثمانيون بعد موقعة هائلة في 9 يونيو سنة 1574م على الأمير إيوونيا الذي تمرد على الدولة طلبا للاستقلال وصلب جزاء عصيانه.

وفي ديسمبر سنة 1574م. توفي السلطان سليم الثاني وعمره اثنين وخمسون سنة قمرية ومدة حكمه ثماني سنين و5 أشهر وتولى بعده ابنه السلطان مراد الثالث.

- **(12) – السلطان الغازي مراد خان الثالث (1574–1595م)**:

وكانت فاتحة أعماله أن أصدر أمرا بعدم شرب الخمر الذي شاع استعماله أيام السلطان السابق (**ابن الروسية**) وأفرط فيه الجنود خصوصا الإنكشارية فثار الإنكشارية لذلك واضطروه لإباحته لهم بمقدار لا يترتب منه ذهول العقل وتكدير الراحة العمومية.

وأمر بقتل إخوته وكانوا خمسة ليأمن على الملك من المنازعة إذ صار قتل الإخوة عادة تقريبا.

وكانت علاقات هذا السلطان مع فرنسا حسنة جدا وكذلك مع جمهورية البندقية فجدد لهما الامتيازات القنصلية والتجارية مع زيادة بعض بنود في صالحهما أهمها أن يكون سفير فرنسا مقدما على كافة سفراء الدول الأخرى في المقابلات والاحتفالات الرسمية حيث كثر توارد السفراء على بابه العالي ، للسعي في إبرام معاهدات تجارية **تكون ذريعة في المستقبل للتدخل الفعلي**.

وفي أيامه تحصلت إيزابلا ملكة الإنكليز على امتياز خصوصي لتجار بلادها وهي أن تحمل مراكبها العلم الإنكليزي وكان لا يجوز لها ذلك قبلا بل كانت السفن على اختلاف

أجناسها ما عدا سفن البندقية لا تدخل إلى موانئ الدولة العثمانية إلا تحت ظل العلم الفرنساوي !

وصول نفوذ العثمانيين إلى مراكش:

في سنة 1578م. حصلت فتنة داخلية في مملكة مراكش بالمغرب الأقصى ونازع زعيمها سلطان المغرب في الملك وحصلت بينهما عدة وقائع مهمة وأخيرا استنجد سلطانها بالعثمانيين واستعان مدعي الملك بالبرتغاليين فأوعزت الدولة لوالي طرابلس بإنجاد سلطانها الشرعي فأسرع بمساعدته والتقى الترك والبرتغال بالقرب من محل يقال له القصر الكبير وكان يوما مشهودا دارت فيه الدائرة على البرتغال وقتل فيه رئيس الثائرين المستنجد بهم. وبعد تمام النصر وإعادة الأمن والسكينة إلى ربوع مراكش ، عادت الجيوش العثمانية حاملة ما أغدق عليها من الهدايا وبذلك دخلت مملكة مراكش ضمن دائرة نفوذ الدولة وصار شمال إفريقيا بأجمعه تابعا لها تماما أو خاضعا لنفوذها.

وفي هذه السنة حصل الصلح بين الدولة وأسبانيا للوصول، لكن لم يمنع ذلك القراصنة من الطرفين على نهب السفن التجارية وسبي واسترقاق من بها من النساء والرجال. حتى كان من يستعد للسفر في البحر الأبيض المتوسط في ذلك الزمان يتجهز كمن يستعد لرحلة حربية لعدم الأمن وكثرة القراصنة بما لم يسبق له مثيل. لأن كلا من الطرفين كان يعتبر غزو سفن الطرف الآخر من الواجبات الدينية والقربات المشروعة.

سنة 1579م قتل الصدر الأعظم مُحَّد باشا صقللي الذي حافظ على نفوذ الدولة بعد موت السلطان سليمان بدسائس حاشية السلطان قضت عليه بالموت غدرا تبعا لدسائس الأجانب الذين لا يروق في أعينهم وجود مثل هذا الوزير يدير دولاب الأعمال على محور الاستقامة فدسوا إليه من قتله تخلصا من صادق خدمته للدولة فكان موته ضربة شديدة ومحنة عظيمة لاسيما وقد كثر بعده تنصيب وعزل الصدور ودبت الفوضى في الجيش.

ثم أصيب السلطان بداء عياء وتوفي سنة 1595م وله من العمر خمسون سنة وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة تقريبا وقالوا أنه كان شاعرا مجيدا، فطنا لبيبا، إلا أنه كان كثير الميل لاقتناء الجواري الحسان .. عاملا بمشورتهن في كل آن .. وكان من ضمن حظياته جارية بندقية الأصل من عائلة شهيرة بها اسمها (بافو) سباها من البحر قرصان .. وبيعت في السراي السلطانية وسميت (صفية) حيث اصطفاها السلطان وتدخلت كثيرا في السياسة الخارجية للدولة .. وساعدت بلادها الأصلية كثيرا وهي والدة ولي عهد السلطان ... (أمان يا ربي أمان ..على ما فات من ذلك الزمان) ..

- **(13) – السلطان الغازي مُحَمَّد خان الثالث (1995– 1603م):**

تولى بعد موت أبيه مراد الثالث ابن صفية الإيطالية الأصل وكان له تسعة عشر أخا غير الأخوات فزعم المؤرخون أنه أمر بخنقهم جميعا قبل دفن أبيه ودفنوا معا تجاه آيا صوفيا!!. وفي أوائل حكمه سار على أثر سلفه في عدم الخروج إلى الحرب وترك الأمور الداخلية في أيدي وزرائه الذين منهم سنان باشا وجفالة زاده وهو ابن القائد جفالة باشا الجنوي الأصل الذي قتل في محاربة العجم الأخيرة. وآخر يدعى حسن باشا فأفسدوا في الأرض وباعوا المناصب الملكية والعسكرية وقللوا عيار العملة حتى علا الضجيج من جميع الجهات وتعاقب انهزام الجيوش العثمانية أمام ميخائيل الفلاخي فضم لسلطانه بمساعدة الجيوش النمساوية وإقليم البغدان وجزء عظيما من ترنسلفانيا لعدم وجود القواد الأكفاء لصدهم.

ومما يخلد للسلطان الغازي مُحَمَّد الثالث الذكر ويجعله رصيفا لأجداده الأوائل، أنه لما تحقق أن هذا الانحلال ناشئ من تحجبه عن الأعمال وعدم قيادته الجيوش، برز بنفسه وتقلد المركز الذي كان ترك مراد الثالث وسليم الثاني له من دواعي تقهقر الدولة أمام أعدائها. فسار إلى بلغراد ومنها إلى ميدان الحرب والنزال وبعد قليل دبت في الجيوش الحمية

الدينية والغيرة لعسكرية، ففتح قلعة أرلو الحصينة التي عجز السلطان سليمان عن فتحها في سنة 1556م. ودمر جيوش المجر والنمسا تدميرا في سهل كرزت بالقرب من هذه القلعة في 26 أكتوبر سنة 1596م حتى شبهت هذه الموقعة بواقعة (موهاكز) التي انتصر فيها السلطان سليمان سنة 1526م.

وفي ابتداء القرن السابع عشر للميلاد حصلت في بلاد الأناضول ثورة داخلية كادت تكون وخيمة العاقبة على الدولة خصوصا ونيران الحروب مستعر لهيبها على حدود المجر والنمسا ...

ومن ذلك الحين بدأ يظهر جليا اختلال النظام العسكري وعدم صلاحيته لحفظ اسم الدولة وشرفها بين أعدائها. ثم توفي السلطان وكانت وفاته س 1603م وعمره 37 سنة ومدة حكمه 9 سنين وخلفه ابنه أحمد الأول.

- **(14) – السلطان الغازي أحمد خان الأول (1603– 1617م) :**

فتولى الملك ولم يتجاوز سنه الرابعة عشر إلا بقليل ولم يأمر بقتل أخيه مصطفى بل اكتفى بحجزه بين الخدم والجواري. وكانت أركان الدولة غير ثابتة في كافة بلاد آسيا ونار الحرب مستعرة على حدود العجم شرقا والنمسا غربا وكانت الحرب مع العجم شديدة الوطأة في هذه المرة لتولي الشاه عباس الشهير قيادتها. ومما جعل لها أهمية أعظم من كافة الحروب السابقة، اضطراب الأحوال في الولايات الشرقية عموما وسعي كل أمة من الأمم المختلفة النازلة بها للحصول على الاستقلال .. لكن قيض الله للدولة في هذه الشدة الوزير مراد باشا الملقب (بقوي وجي) الذي عين صدرا أعظم وكان قد تجاوز الثمانين ليكون عونا وعضدا للسلطان الفتى فتقلد مع كبر سنه ووهن قواه قيادة الجيوش وحارب الثائرين بهمة ونشاط زائدين فانتصر...

وقد حصلت ما بين سنة 1611م وسنة 1614م بعض مناوشات بحرية بين مراكب الدولة العثمانية وسفن رهبان مالطة وملك أسبانيا وولايات إيطاليا كان الفوز فيها غالبا

لمراكب الأعداء، فانتهز بعض أخلاط القوزاق انسحاب السفن الحربية من البحر الأسود، وأغاروا على ثغر سينوب ونهبوا ما به ولما علم السلطان بذلك غضب على الصدر الأعظم وسعى به بعض مبغضيه طمعا في نوال منصبه وما فتئوا يوغرون صدر سيده عليه حتى أمر بقتله في 14 أكتوبر سنة 1614م فخنق في قصره.

هذا وازدادت في أيام السلطان أحمد الأول العلاقات السياسية مع دول الإفرنج وازداد بذلك تأثيرهم..

وفي نوفمبر سنة 1617م توفي السلطان أحمد الأول وعمره 28 سنة ومدة حكمه 14 سنة تقريبا ولصغر سن ولده عثمان الذي كان لم يتجاوز ثلاث عشرة سنة من عمره خالف العادة المتبعة من ابتداء الغازي السلطان عثمان الأول أي تنصيب أكبر الأولاد أو أحدهم مكان والده وأوصى بالملك بعده لأخيه.

- **(15) – السلطان مصطفى خان الأول (1617– 1618م)** :

وكان قد قضى عمره داخل محلات الحريم ولم يتعاطى أشغالا السياسة مطلقا. بل ولم يعلم من أمور المملكة شيئا. ولم يلبث هذا السلطان على سرير الملك إلا ثلاثة أشهر تقريبا ثم عزله المفتي وآغا السراي. وساعدهم الإنكشارية على ذلك. فعزل في فبراير سنة 1618م وأقاموا مكانه السلطان عثمان الثاني.

- **(16) – السلطان عثمان خان الثاني (1618– 1622 م)** :

أشهر هذا السلطان الحرب على مملكة بولونيا وحقيق أمنيته وهي فتح هذه المملكة وجعلها فاصلا بين أملاك الدولة ومملكة روسيا التي ابتدأت في الظهور. وقبل الشروع في الحرب أمر بقتل أخيه مُحَّد تبعا للعادة المشروعة عندهم !. ثم أصدر أمرا بتقليل اختصاصات المفتي ونزع ما كان له من السلطة في تعيين وعزل الموظفين وجعل وظيفته قاصرة على الإفتاء، حتى يأمن شر أن يكون سببا في عزله كما كانت سبب عزل سلفه.

لكن أتى الأمر على الضد بما كان يؤمل. وبعد أن أتم هذه التمهيدات الداخلية سير الجيوش والكتائب لمحاربة مملكة بولونيا ولكنه عجز عن ذلك لتلكؤ الإنكشارية. ثم تم الصلح في أكتوبر سنة 1620م فحنق السلطان على الإنكشارية من طلبهم الراحة وخلودهم إلى الكسل وإلزامه على الصلح مع بولونيا بدون تتميم قصده وعزم على إبطالها ولتنفيذ هذا الأمر الخطير أمر بحشد جيوش جديدة في ولايات آسيا وتنظيمها وتدريبها على القتال حتى إذا كملت عدة وعددًا استعان بها على إبادة الإنكشارية. وشرع فعلا في إنفاذ هذا المشروع لكن أحس الإنكشارية بذلك فهاجوا واتفقوا على عزل السلطان وتم لهم ذلك في مايو سنة 1622م. وأعادوا مكانه السلطان مصطفى الأول. ولم يكتفوا بعزله بل هجموا عليه في سراي قصره. وانتهكوا حرمتها وقبضوا عليه بين جواريه وزوجاته وقادوه قهرا إلى ثكناتهم موسعيه سبا وشتما وإهانة مما لم يسبق له مثيل في تاريخ الدولة العثمانية. وزيادة على ذلك قاموا بإعدامه. وقد قتل ولم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ومدة حكمه أربع سنين وأربعة أشهر.

وبعد ذلك صارت الحكومة ألعوبة في أيدي الإنكشارية ينصبون الوزراء ويعزلونهم بحسب أهوائهم فعزلوا داود باشا قاتل السلطان، بعد بضع أيام وصاروا يمنحون المناصب لمن يجزل إليهم العطايا فكانت الوظائف تباع جهارا، وارتكبوا أنواع المظالم في الآستانة. واستمرت الإضطرابات الداخلية في نفس كرسي الخلافة العظمى فلا أمن ولا سكينة مدة ثمانية عشر شهرا متوالية. حتى إذا شعر العموم بما وراء هذه الفوضى من الدمار والخراب عينوا كمانكش على باشا صدرا أعظما لتوسمهم فيه الخبرة والاستعداد فأشار عليهم بعزل السلطان مصطفى ثانيا لضعف عزيمته ووهن قواه العقلية فعزلوه في سبتمبر سنة 1623م وولوا مكانه السلطان مراد الرابع وبقي في العزل إلى أن توفي في سنة 1639م.

- **(17) – السلطان الغازي مراد خان الرابع (1623– 1640م) :**

هو ابن السلطان أحمد الأول ابن السلطان مُحَمَّد الثالث وولاه الإنكشارية بعد عزل عمه السلطان مصطفى الأول ابن السلطان مُحَمَّد الثالث مع حداثة سنة كي لا يكون معارضا لهم في أعمالهم الاستبدادية ولا مضعفا لنفوذهم الذي اكتسبوه بقتل سلطان وعزل غيره واستمروا مدة العشر سنين الأولى من حكمه على غيهم وطغيانهم.

وانتهز الشاه عباس ملك العجم هذا الاختلال فرصة لتوسيع أملاكه من جهة حدود الدولة العثمانية.. فسار الشاه بجنوده لاحتلالها ..

ثم توفي الشاه عباس واسترد السلطان بغداد من العجم سنة 1638م .. وكان يؤمل في السلطان مراد الرابع أن يضارع السلطان الغازي سليمان الأول القانوني في الفتوحات وبعد الصيت إلا أنه توفي وهو في مقتبل الشباب عن غير عقب في فبراير سنة 1640م وسنه 31 سنة ومدة حكمه 16 سنة و11 شهرا وتولى بعده أخوه إبراهيم.

- **(18) – السلطان الغازي إبراهيم خان الأول (1640– 1648م):**

هو ابن السلطان أحمد الأول وكان غير ميال لمحاربة النمسا فاطمأنت. وافتتح حروبه الخارجية بإرسال جيش جرار إلى بلاد القرم لمحاربة القوزاق الذين احتلوا مدينة آزاق فحاربهم العثمانيون وأبلوا فيهم بلاء حسنا واستردوا المدينة منهم بعد أن أحرقوها وذلك سنة 1642م.

ومن أعماله أيضا فتح جزيرة **كريت** وكانت تابعة لجمهورية البندقية.

ثم إن السلطان إبراهيم أراد أن يفتك برؤوس الإنكشارية في ليلة زفاف إحدى بناته على ابن الصدر الأعظم لتذمرهم وانتقادهم لأعماله ورغبتهم في التدخل في شؤون الدولة والخروج عن حدودهم. فعلموا بقصد السلطان و تآمروا على عزله وانضم إليهم بعض العلماء والمفتي عبد الرحيم أفندي وأهاجوا عساكر الإنكشارية وقرر الجميع عزله وتولية ابنه مُحَمَّد الرابع في سنة 1642م، ولم يتم السابعة من عمره. وتمت هذه الثورة في أغسطس سنة

1648م وبعد ذلك بعشرة أيام أظهر العسكر عدم ارتياحهم من الملك الفتي وطلبوا إعادة السلطان إبراهيم إلى عرش الخلافة فخشي رؤساء العصابة التي عزلته من تغلبهم بإرجاعه رغم أنفهم وصمموا على قتله فساروا إلى السراي ومعهم الجلاد وقتلوه خنقا كما قتلوا السلطان عثمان الثاني من قبله فكانت مدة حكمه 8 سنين و 9 شهور وسنه 34 سنة.

- **(19) – السلطان الغازي مُحَمَّد خان الرابع (1648– 1687م):**

ولصغر سنه وقعت المملكة في الفوضى وصارت الجنود لا ترحم صغيرا ولا توقر كبيرا وسعوا في الأرض فسادا. ورجعت الحالة إلى ما وصلت إليه قبل تولي السلطان مراد الرابع بل إلى أتعس منها. وسرى عدم النظام إلى الجنود المحاصرة كنديا واضطروا قائدهم السر عسكر حسين باشا لرفع الحصار عنها. وكذلك سرى هذا الداء العضال إلى الجنود البحرية. وسبب انهزام الأسطول العثماني أمام العدو أمام مدينة فوقيه سنة 1649م. ثم ثار بآسيا الصغرى ثائرون وتتابعت الفوضى ...

إلى أن قيض سبحانه وتعالى الوالي الوزير مُحَمَّد باشا الشهير بكوبريلي الذي تولى منصب الصدارة سنة 1067هـ سنة 1656م فعامل الإنكشارية معاملة من يريد أن يطاع إطاعة عمياء وقتل منهم خلقا كثيرا. وأمر بعد تعيينه بقليل بشنق بطريرك الأروام (جمع روم بحسب المرجع !) **لما ثبت له تدخله في الدسائس والفتن الداخلية** ...

ولم تثن الإشكالات عزيمة كوبريلي مُحَمَّد باشا بل ما لبث يقاوم أعداء الدولة في الداخل والخارج حتى أعاد لها سالف مجدها وجعلها محترمة في أعين الدول. وبعد وفاته سنة 1661م خلفه ابنه كوبريلي زاده أحمد باشا.

وكان خير خلف لأبيه فإنه كان متصفا بالشجاعة والإقدام وحسن الرأي والتدبير. واستمر في محاربة أعداء الدولة بدون فتور أو ملل حتى يزيل من أذهانهم ما خامرها من تضعضع أحوال الدولة وقرب زوالها. وقاد الجيوش بنفسه وعبر نهر الطونة لمحاربة النمسا ووضع الحصار أمام قلعة نوهزل مع أن هذه القلعة كانت مشهورة في جميع أوروبا بالمناعة،

واضطر كوبريلي أحمد باشا حاميتها إلى التسليم بشرط خروج من بها من الجنود بدون أن يمسهم ضرر تاركين ما بها من الأسلحة والذخائر وأخلوها فعلا في سبتمبر سنة 1663م. ولذلك اضطربت أوروبا بأجمعها لهول هذا .. فسعى البابا جهده لدى ملك فرنسا حتى قبل بإرسال ستة آلاف جندي فرنساوي وأربعة وعشرين ألف من محالفيه الألمانيين تحت قيادة الكونت دي كوليني. ثم لم يمكن الإنكشارية من الثبات أمام جنود العدو الأكثر منهم عددا وسميت هذه الواقعة بواقعة سان جوتار نسبة لكنيسة قديمة حصلت الحرب بالقرب منها. ثم تم الصلح. وبعد عشرة أيام أبرمت بين الطرفين معاهدة أهم ما بها إخلاء الجيش لإقليم ترنسلفانيا تحت سيادة الدولة العثمانية وتقسيم بلاد المجر بين الدولتين بأن يكون للنمسا ثلاث ولايات وللباب العالي أربعة مع بقاء حصني نوفيجراد ونوهزل تابعين للدولة العثمانية.

ثم تعكزت العلاقات مع فرنسا. وأرادت إعلان الحرب على الدولة العثمانية لولا نصائح الوزير كولبر بحكمته وسياسته ومعاملة الدولة العلية باللين والخضوع من تجديد المعاهدات القديمة في سنة 1673م. **وفوض ثانيا إلى فرنسا حق حماية بيت المقدس كما كان لها ذلك من أيام السلطان سليمان**. وبذلك عادت العلاقات إلى سابق صفائها بين الدولتين.

ومما زاد حدود الدولة اتساعا ومنعة من جهة الشمال خضوع جميع القوزاق الساكنين بالجزء الجنوبي من بلاد روسيا إلى السلطان مُحَّد الرابع بدون حرب بل حبا في الدخول في حمى حامي دولة الإسلام. ولذلك أغارت بولونيا على ولاية أوكرين فاستنجد حاكمها الأكبر بالعثمانيين فأنجده السلطان. واستمرت الحرب بين الدولتين سجالا إلى سنة 1167م.

وكانت روسيا آخذة إذ ذاك في تنظيم داخليتها وتقدم وكانت تتوق للدخول ضمن المجتمع الأوروبي فاستمرت الحرب بين القوزاق والروس من جهة والعثمانيين من جهة أخرى بين أخذ ورد حتى سنة 1681م حيث تم الصلح بينهم.

حصار مدينة فيينا من جديد:

وبعد أن انتصرت جيوش العثمانيين في عدة مواقع على النمساويين قصدت عاصمة النمسا فحاصرتها سنة 1683م مدة شهرين واستولى العثمانيون على كافة قلاعها الأمامية وهدم أسوارها بالمدافع ولما لم يبق عليه إلا المهاجمة المتممة للفتح، أتى سوبيسكي ملك بولونيا ومنتخبي ساكس وبافيرا بجيوشهم بناء على إلحاح البابا عليهم واستنهاضه هممهم لمحاربة المسلمين حتى أضرم فيهم نار التعصب الديني. وفي سبتمبر سنة 1683م فاز المسيحيون بالنصر وانهزم جيش الصدر مصطفى باشا وأمر السلطان محمد الرابع بقتل الصدر قره مصطفى باشا وأرسل أحد رجال حاشيته فقتله وأرسل برأسه إلى القسطنطينية!.

وبعد نجاة مدينة فيينا التي لم تحاصر بعد ذلك، تألبت كل من النمسا وبولونيا والبندقية ورهبنة مالطة والبابا ومملكة روسيا على محاربة الدولة الإسلامية لمحوها من العالم السياسي. والذي يدل على أن هذا التحالف كان دينيا محضا أن أصحابه أسموه (التحالف المقدس). ومما زاد أحوال هذه الدولة القائمة بمفردها أمام جميع الدول المسيحية ارتباكا قطع العلاقات بينها وبين فرنسا بسبب المناوشات البحرية المستمرة بين مراكبها وقراصنة المغرب .. فإن جيوش الملك سوبيسكي كانت تهدد بلاد البغدان وسفن البنادقة تهدد سواحل اليونان وبلاد موره ولعدم وجود المراكب الكافية لصد هجمات سفن البنادقة التي كانت تعززها مراكب البابا ورهبنة مالطة احتلت جيوش البنادقة في سنة 1686م أغلب مدن اليونان حتى كورنته وأثينا. أما النمسا فأغارت جيوشها على بلاد المجر واحتلوا مدينة يست الواقعة أمام مدينة بود. وفي سنة 1685م احتل النمساويون عدة حصون وقلاع شهيرة أهمها قلعة نوهزل. ووصلت الدولة إلى درجة من التقهقر أمام هذه القوى المتألبة عليها صار معها الخلاص صعبا.

وتتابعت النكسات على العثمانيين، فهاجت الجيوش الموجودة في الآستانة وأرسلوا الجيوش الباقية مع الصدر سليمان باشا فاشهروا عليه العصيان ولولا فراره إلى بلغراد لأعدموه. ثم أرسل الإنكشارية والسباه (اسم فرق من الجيوش العثمانية) وفدا للآستانة

يطلب من السلطان الأمر بقتل الصدر فلم ير بدا من ذلك وأمر بقتله تسكينا لثورة غضب الجند. ولما لم يفد شيئا ولم تعد السكينة بين الجيوش وخيف على المملكة العثمانية من الداخل. فقرر الوزير الثاني القائم مقام قره مصطفى باتحاده مع العلماء عزل السلطان مُحَّد الرابع فعزلوه في سنة 1687م. بعد أن حكم أربعين سنة وخمسة أشهر وبقي في العزلة إلى أن توفي في ديسمبر سنة 1692م. وولوا بعد عزله أخاه.

- **(20) – السلطان الغازي سليمان خان الثاني (1687– 1691م):**

وهو ابن السلطان إبراهيم تولى وكانت الآستانة فوضى. وانتهز الأعداء هذه الإضطرابات المستمرة لفتح الحصون العثمانية فاحتل النمساويون قلاع ارلو ولبا وغيرها واحتل موروزيني البندقي مدينة ليبه من بلاد اليونان وكافة سواحل دلماسيا سنة 1687م وفي السنة التالية أي سنة 1688م سقطت مدائن سمندريه وقلومباز وبلغراد في أيدي النمساويين ثم فقدت الدولة العثمانية في سنة 1689م مدائن نيش وودين من بلاد الصرب.

ثم تمكن الصدر الأعظم كوبريلي مصطفى باشا من تحقيق انتظام الجيش وساد الأمن داخل البلاد وسار بنفسه لمحاربة الأعداء فاسترد في قليل من الزمن مدائن نيش وودين وسمندريه وبلغراد في سنة 1690م بينما كان سليم كراي خان القرم يخضع الثائرين الصرب وتيكلي المجري يرجع إقليم ترنسلفانيا إلى أملاك الدولة وبذلك أعاد كوبريلي مصطفى باشا بعض ما فقدته الدولة من المجد والسؤدد بسبب ضعف الوزراء وعدم إطاعة الإنكشارية. وفي يونيو سنة 1691م توفي السلطان سليمان الثاني عن غير عقب وعمره 50 سنة بعد أن حكم ثلاث سنوات وثمانية أشهر وتولى بعده أخوه.

- **(21) – السلطان الغازي أحمد خان الثاني (1691– 1695م):**

ولم تحصل أمور ذات بال في أيام هذا السلطان بل اقتصرت الحرب على بعض مناوشات ليس لها من الأهمية شأن يذكر غير أن البنادقة احتلت في سنة 1694م جزيرة ساقز. ثم توفي في فبراير سنة 1695م وعمره 54 سنة قمرية تقريبا بعد أن حكم 4 سنين و 8 أشهر وتولى بعده السلطان الغازي مصطفى خان الثاني.

- **(22) – السلطان الغازي مصطفى خان الثاني (1695– 1703م):**

ابن السلطان مُحَّد الرابع. وكان متصفا بالشجاعة وثبات الجأش ولذلك أعلن بعد توليته بثلاثة أيام رغبته في قيادة الجيوش بنفسه. فسار إلى بلاد بولونيا مستعينا بفرسان القوزاق وانتصر على البولونيين عدة مرات ومن جهة أخرى حارب الروس سنة 1695م وبعد ذلك وفي سنة 1696م فاز السلطان فوزا مبينا على جيش ساكس في موقعة أولاش وبعد ذلك هُزم جيش السلطان أمام النمساويين. وكان ذلك في سبتمبر سنة 1697م. وفي إثناء اشتغال السلطان ببلاد المجر. عاد الإمبراطور الروسي بطرس الأكبر لفتح ميناء ازاق لأهميتها لمملكته فدخلها في خلال سنة فكانت الدولة في خطر شديد من جهتي روسيا والنمسا. ثم ابتدأت الاتصالات للوصول إلى الصلح فتدخل ملك فرنسا لويس الرابع عشر. وبعد مباحثات طويلة أمضيت بين الدولة العثمانية والنمسا وروسيا والبندقية وبولونيا معاهدة كارلوفتس في يناير سنة 1699م. فتركت الدولة بلاد المجر بأجمعها وإقليم ترنسلفانيا لدولة النمسا. وتنازلت عن مدينة ازاق وفرضتها لروسيا فصار لها بذلك يد على البحر الأسود وزادت أهمية جوارها للدولة العثمانية أضعاف ما كانت عليه من قبل وردت لمملكة بولونيا مدينة كمينك وإقليمي بود وليا وأوك روين وتنازلت للبندقية عن جزيرة مورا وإقليم دلماسيا على البحر الأدرياتيكي بأجمعه تقريبا واتفقت مع النمسا على مهادنة خمس وعشرين سنة وأن لا تدفع هي أو غيرها شيئا للدولة العثمانية. لا على سبيل الجزية ولا على مجرد الهدية.

وبهذه المعاهدة فقدت الدولة جزأ ليس بقليل من أملاكها بأوروبا وزادت أطماع الدول في بلادها كما سيأتي.

ويمكننا القول بأن الاتفاق قد تم من ذلك التاريخ بين جميع الدول الأوربية إن لم يكن صراحة فضمنا، على الوقوف أمام تقدم الدولة العثمانية أولا، ثم تقسيم بلادها بينهم شيئا فشيئا. وهو ما يسمونه في عرف السياسة بـ (المسألة الشرقية) المبنية على الخوف من انتشار الدين الإسلامي وحلوله محل الدين المسيحي ليس إلا.

أما ما كانوا يسترون خلفه غاياتهم من الدفاع عن حقوق الأمم المسيحية الضعيفة الخاضعة للدولة فلم يكن إلا ذريعة.

ثم عين السلطان رامي مُحَّد باشا. فسار في إبطال المفاسد ومعاقبة المرتشين ومنع المظالم فأهاج ضده أرباب الغايات وكثير عدادهم وأثاروا عليه الإنكشارية لميلهم بالطبع إلى الهياج للسلب والنهب وهتك الأعراض. فطلبوا عزله من السلطان فامتنع وأرسل لقمعهم فرقة من الجنود فانضمت إلى الثائرين وعزلوا السلطان مصطفى الثاني في أغسطس سنة 1703م بعد أن حكم 8 سنوات و8 شهور وبقي معزولا إلى أن توفي وأقاموا مكانه بعد عزله أخاه.

- **(23)– السلطان الغازي أحمد خان الثالث (1703 – 1730م):**

وهو ابن السلطان مُحَّد الرابع. وفي تلك الآونة كان بطرس الأكبر ملك روسيا يعمل على إضعاف الأقوياء من مجاوريه أي السويد ، وبولونيا ، والدولة العثمانية. ولما تولى الصدارة (بلطه جي مُحَّد باشا) مال لإثارة الحرب على روسيا فاشهر عليها الحرب وقاد الجيوش بنفسه وبعد مناورات مهمة حصرت الجيوش العثمانية البالغ قدرها مائتي ألف جندي قيصر روسيا وخليلته كاترينا. ولو استمر عليهم الحصار قليلا لربما كان أخذ أسيرا هو ومن معه وانمحت الدولة الروسية كلية من العالم السياسي. لكن كاترينا استمالت بلطه جي مُحَّد باشا إليها، وأعطته كافة ما كان معها من الجواهر الكريمة والمصوغات الثمينة، فخان الدولة ورفع الحصار عن القيصر وجيشه مكتفيا بإمضاء القيصر لمعاهدة فلكزن في

يوليه سنة 1711م والذي أخلى بمقتضاها مدينة ازاق وتعهد فيها بعدم التدخل في شؤون القوزاق مطلقا.

لكن لم تمض على هذه المعاهدة بضعة أشهر حتى قامت الحرب ثانية بين الدولتين بسبب عدم قيام بطرس الأكبر بأحد شروط معاهدة فلكزن فتدخلت إنكلترا وهولندا في منع الحرب لإضرارها بتجارتهما. وبعد مباحثات طويلة أمضيت بينهما معاهدة جديدة سميت بمعاهدة أدرنه في يونيو 1713م. وتنازلت روسيا بمقتضاها عما لها من الأراضي على البحر الأسود حتى لم يبق لها عليه موانئ أو ثغور.

وتتابعت المناوشات بين الدولة العثمانية والبنادقة ، والنمسا وروسيا واضطرت الدولة العثمانية لقبول معاهدات جديدة كانت في صالح روسيا التي قوي حضورها في السياسة الأوربية. ثم حصل صراع بين روسيا والدولة العثمانية على النفوذ في بلاد القفقاس وأرمينيا وبلاد الكرج وسواحل بحر الخزر الغربية. فكادت الحرب تقوم بين الدولة والروس ولتحقق بطرس الأكبر من عدم اقتداره على مواجهة الجيوش العثمانية، طلب من سفير فرنسا بالآستانة أن يتوسط بينهما فقبل، ووفق بين الطرفين بأن يمتلك كل منهما ما احتله من البلاد وقبلت الدولتان بذلك وأمضيتا بهذه الشروط معاهدة يونيو سنة 1724م. أما الفرس فلم يقبلوا هذا التقسيم المزري بشرفهم والقاضي بضياع جزء ليس بقليل من بلادهم وقاموا لمحاربة الأجانب، لكنهم لم يتمكنوا من صد هجمات العثمانيين الذين فتحوا في سنة 1725م عدة مدن وقلاع أهمها مدائن همذان وتبريز وساعد ذلك تسلط الفوضى في إيران وانتهت هذه الحرب بالصلح مع الشاه أشرف في أكتوبر سنة 1727م. ولكن لما مات الشاه أشرف وانفرد طهماسب بالملك طلب من الدولة العلية أن ترد إليه كل ما أخذته من بلاد أجداده فلم تجبه الدولة ولذا أغار على بلادها. ولعدم ميل السلطان إلى الحرب ورغبته في الصلح ثار الإنكشارية فأعلنوا إسقاطه سنة 1730م ونادوا بابن أخيه السلطان محمود الأول خليفة للمسلمين فأذعن السلطان أحمد الثالث وتنازل عن الملك بدون معارضة. وكانت مدة حكمه 27 سنة و11 شهرا.

- **(24) – السلطان الغازي محمود خان الأول (1730– 1754م):**

هو ابن السلطان مصطفى الثاني ولما تولى لم يكن له إلا الاسم فقط وكان النفوذ للصدر بطرونا خليل يولي من يشاء ويعزل من يشاء تبعا للأهواء والإغراض حتى عيل صبر السلطان من استبداده وتجمهر حوله رؤساء الإنكشارية لتعدي هذا الزعيم على حقوقهم واتفقوا على الغدر به تخلصا من شره فقتلوه. وبعد أن استتب الأمن استأنفت الدولة الحرب مع مملكة الفرس وتغلبت الجيوش العثمانية على جنود الشاه طهماسب في عدة وقائع.

وفي غضون كانت الحروب كثيرة بين الدول الأوربية نفسها. وكذلك قامت الحرب بين الدولة وروسيا بسبب مملكة بولونيا. فأعلنت روسيا والنمسا الحرب على بولونيا. ومن جهة أخرى أشهرت فرنسا الحرب على النمسا دفاعا عن بولونيا. **وسعت لدى الباب العالي بواسطة المسيو دي بونفال الذي خدم الدولة بعد أن اسلم واشتهر فيها باسم أحمد باشا قائد الطوبجية لاستمالته للدفاع عن استقلال بولونيا الحاجز الحصين بينها وبين روسيا**. وتغلبت روسيا واحتلت جنودها مملكة بولونيا. ولما أحست النمسا أن فرنسا تسعى وراء التحالف مع الدولة ، خشيت من حصول هذا الاتفاق الذي يكون نتيجته عدم نجاح مسعاها مع روسيا في بولونيا، أسرعت في إرضاء فرنسا فأبرمت معها معاهدة فيينا في سنة 1735م. وأخذت في التأهب والاستعداد للاشتراك مع روسيا في محاربة الدولة. وأوعزت إلى روسيا بافتتاح القتال فاتخذت هذه الأخيرة مرور بعض قوزاق القرم من أراضيها في مارس سنة 1736م متجهين إلى بلاد الكرج لمساعدة الدولة ضد العجم حجة لإعلان الحرب. وأغارت بكل قواها على بلاد القرم واحتلت عددا من الثغور البحرية. وهو ما حدا بالدولة إلى إبرام الصلح مع نادر شاه لتتفرغ لصد هجمات الروس. ولحسن حظ الدولة كان قد تقلد منصب الصدارة رجل محنك اشتهر بحسن السياسة وهو الحاج مُحَّد باشا. فلم يغفل طرفة عين عن جمع الجيوش وتجهيز المعدات حتى أمكنه في أقرب وقت إيقاف تقدم

الروس الذين كانوا قد احتلوا إقليم البغدان ودخلوا عاصمة الإقليم. ومن جهة أخرى انتصرت الجيوش العثمانية على جيوش النمسا التي أغارت على بلاد البوسنة والصرب والفلاخ فانتصر المسلمون في الصرب وألجؤوا النمساويين إلى الجلاء عنها تاركين في كل موضع قدم جثث رجالهم وتقهقروا إلى ما وراء نهر الدانوب في سنة 1737م. واستمر الحال على هذا المنوال من النصر والفوز على الأعداء حتى طلبت النمسا الصلح بواسطة سفير فرنسا. فكان هذا الفوز الأخير أكبر مساعد للوصول إلى الصلح الذي تم بينهما وبين روسيا في سبتمبر سنة 1739م. على أن تتنازل النمسا للدولة العثمانية عن مدينة بلغراد وما أعطي لها من بلاد الصرب والفلاخ بمقتضى معاهدة بساروفتس. أما روسيا فتعهدت قيصرتها (حنه) بهدم قلاع ميناء آزاق وعدم تجديدها في المستقبل. وبعدم إنشاء سفن حربية أو تجارية بالبحر الأسود أو ببحر آزاق. بل تكون تجارتها على مراكب أجنبية وبأن ترد للدولة كل ما فتحته من الأقاليم والبلدان وسميت هذه المعاهدة معاهدة بلغراد. وبذلك انتهت هذه الحرب باسترداد جزء عظيم مما فقدته الدولة من ممالكها بمقتضى معاهدة كارلوفتس.

وبعد ذلك بذل سفير فرنسا جهده في إقناع الباب العالي بضرورة الاتحاد مع السويد لمحاربة روسيا لو تعدت على إحداهما خوفا من أن يلحق بهما تباعا ما أودى ببولونيا وجعلها خاضعة فعلا لأوامر روسيا فاقتنعت الدولة. وأبرمت مع السويد محالفة هجوم ودفاع ضد روسيا في سنة 1740م.

وفي هذه السنة تحصل سفير فرنسا على تجديد الامتيازات القنصلية وكافة المزايا الممنوحة للتجار الفرنساويين وأمضى الطرفان هذه المعاهد الجديدة في سبتمبر سنة 1740م وهي عبارة عن معاهدة سنة 1673م مع بعض تسهيلات جديدة لفرنسا وتجارتها. وأرسل السلطان سفيرا من طرفه اسمه سعيد ليقدم صورة المعاهدة إلى ملك فرنسا لويس الخامس عشر مع كثير من الهدايا الثمينة فقابله الملك بالاحتفاء والإكرام اللائق بمقام مرسله السامي.

وعند عودته شيعه بالتبجيل والإجلال وأرسل معه مركبين حربيين وجملة من المدفعية الفرنساويين هدية منه للخليفة الأعظم ليكونوا معلمين في الجيوش العثمانية فيمرنوا الجنود المظفرة على النظم الجديدة التي أدخلها لوفوا الشهير في الجيوش الفرنساوية. وكان هذا من بدايات البلاء الذي تتابع فيما بعد، بتولي ضباط ألمان في نهايات الدولة تدريب الجيش، مما مكن المدربين الأجانب من فرنسيين وألمان .. من دس أفكار الثورة والتمرد على الخلافة، وزرع الأفكار القومية، والتنظيمات الماسونية في الجيش العثماني فيما بعد ..

وبعد ذلك بقليل توفي شارل السادس إمبراطور النمسا في 20 من شهر أكتوبر سنة 1740م وتولت بعده ابنته ماريه تيريزه فاتحدت فرنسا مع بعض الدول على محاربة هذه الملكة واقتسام أملاكها لما بين فرنسا والعائلة الحاكمة في النمسا من الضغائن القديمة. وسعي فرنسا دائما في إذلال النمسا وهدم أركان سلطانها. وبسبب موت هذا الملك حصلت الحرب الشهيرة بين فرنسا والنمسا المعروفة في التاريخ بـ (حرب إرث ملك النمسا). التي استمرت عدة سنين وانتهت بفوز ماريه تريزه على فرنسا. ولما ابتدأت هذه الحرب أظهرت فرنسا للدولة العلية بواسطة سفيرها لدى الباب العالي ما يعود عليها من الفوائد لو اتحدت معها على محاربة النمسا. وعرضت عليها احتلال بلاد المجر واسترجاعها إلى أملاكها بحيث ترجع الدولة إلى ما كانت عليه من الاتساع أيام سليمان الأول القانوني ويمكنها بعد ذلك مقاومة روسيا والوقوف في طريق تقدمها. وأبانت لها أنها إن لم تفعل ذلك تقدمت روسيا شيئا فشيئا وقويت شوكتها تدريجيا حتى يخشى منها على وجود الدولة. وقد أثبتت الأحداث لاحقا أن هذه الملاحظات كانت صحيحة .. ولو أنها صادرة من فرنسا طمعا في نوال غايتها وهي إذلال النمسا ..

وفي ديسمبر سنة 1754م توفي السلطان محمود الأول بالغا من العمر ستين سنة. وكانت مدة حكمه 25 سنة وفي أيامه اتسع نطاق الدولة بآسيا وأوروبا.

(25) – السلطان الغازي عثمان خان الثاني (1754– 1757م):

وبعد أن تقلد السيف في جامع أبي أيوب الأنصاري على حسب العادة القديمة، عين في منصب الصدارة العظمى نشانجي علي باشا بدل مُحَمَّد سعيد باشا الذي سبق تعيينه صدرا بعد عودته من مأموريته في فرنسا. فسار في طريق غير حميد حتى أهاج ضده الأهالي أجمع. ولكون السلطان كان من عادته المرور ليلا في الشوارع والأزقة متنكرا لتفقد أحوال الرعية والوقوف على حقيقة أحوالهم. سمع أثناء تجواله بما يرتكبه وزيره من أنواع المظالم والمفارم وبعد أن تحقق ما نسب إليه بنفسه أمر بقتله جزاء له وبوضع رأسه في صحن من الفضة على باب السراي عبرة لغيره.

ثم توفي السلطان عثمان الثالث في أكتوبر سنة 1757م بدون أن يحصل في أيام حكمه القلائل ما يستحق الذكر وكانت مدة حكمه 3 سنين و 11 شهر وخلفه مصطفى الثالث.

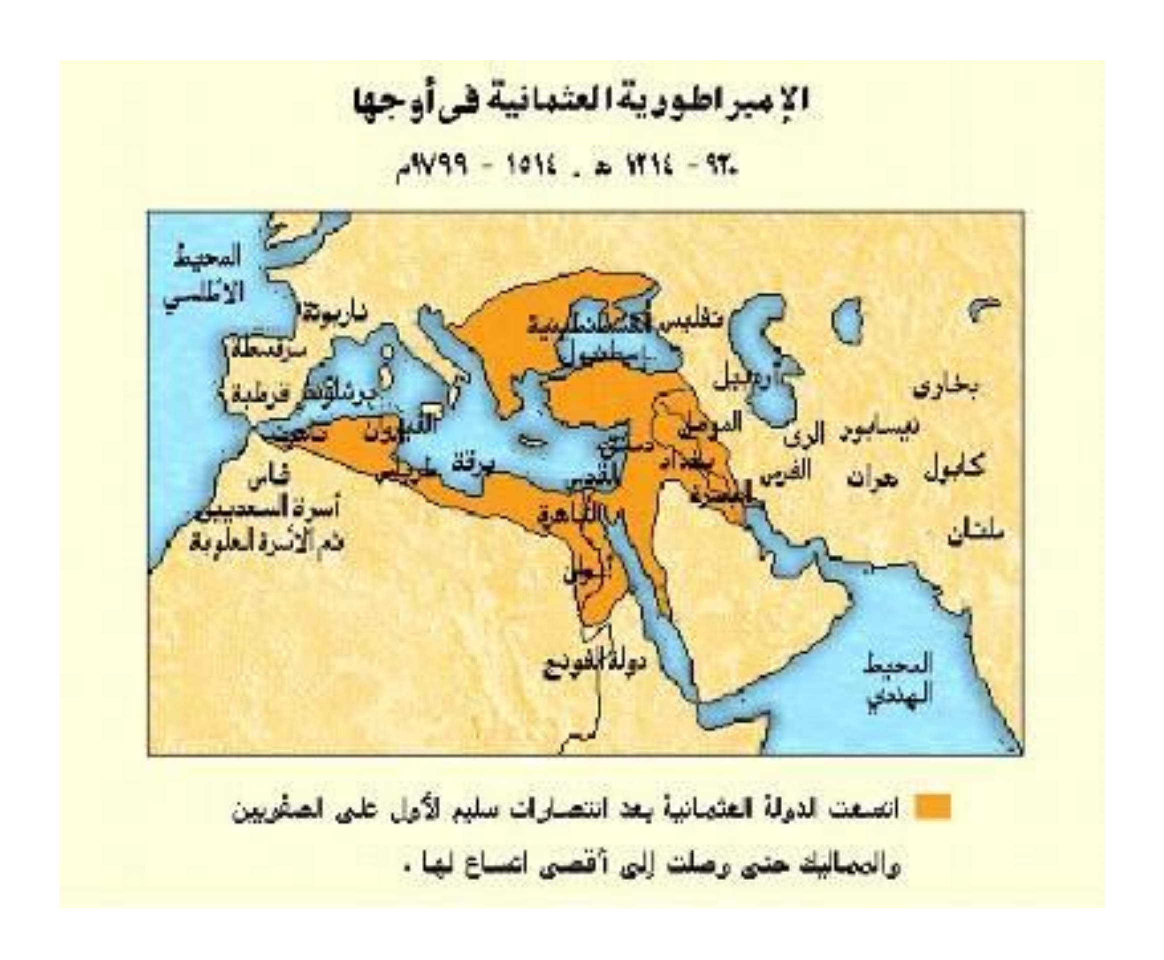
- ### (26) – السلطان الغازي مصطفى خان الثالث (1757– 1774م) :

وهو ابن السلطان أحمد الثالث وكان ميالا للإصلاح محبا لتقدم بلاده خصوصا وزيره الأول راغب باشا الذي مر ذكره. فأخذ هذا الوزير في إصلاح بعض الشؤون بمساعدة السلطان وتعضيده له. وبعد موت هذا الوزير الجليل نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا. وكانت روسيا قد تبنت توجها إمبراطوريا منذ عهد قيصرها بطرس الكبر، ووضعت برنامجا توسعيا طموحا نحو الشرق والغرب والجنوب.

- ومن المفيد في هذا المقام أن نأتي بنصوص من وصية قيصر روسيا. وهي منقولة بحروفها من الجزء الأول من تاريخ جودت باشا. وتعطينا فكرتين هامتين:

*** الأولى عن الصراع بين القوى الأوربية في القرن السابع عشر والثامن عشر.**

*** والثانية عن الأطماع الروسية التي لم تتبدل بعد القياصرة. وما زالت إلى اليوم.**



وصية قيصر روسيا بطرس الأكبر لخلفائه:

* **البند الأول** : يجب أن تقاد العساكر دائما إلى الحرب. وينبغي للأمة الروسية أن تكون متمادية على حالة الكفاح لتألف الحرب ... وعلى هذه الصورة ينبغي لروسيا أن تتخذ زمن الصلح والأمان وسيلة قوية للحرب. وكذلك زمن الحرب لأيام السلم. وذلك لأجل زيادة قوتها وتوسيع منافعها.

* **البند الثاني** : في وقت الحرب ينبغي اتخاذ جميع الوسائل الممكنة لاستجلاب ضباط للجنود من بين الملل والأقوام الذين هم أكثر تطورا في أوروبا. وكذلك في زمن الصلح يتعين استجلاب أرباب العلم والمعارف منهم أيضا. ويلزم الاعتناء بما يجعل الأمة الروسية تستفيد من منافع سائر الممالك ومحاسنها ...

* **البند الثالث** : عندما تسنح الفرصة ينبغي التدخل في جميع الأمور والمصالح الجارية في أوروبا وفي اختلافاتها ومنازعتها. وعلى الخصوص في نزاعات ممالك ألمانيا ...

* **البند الرابع**: ينبغي استعمال الرشوة لأجل إلقاء الفساد والبغضاء والحسد دائما في داخلية ممالك بولونيا وتفريق كلمتهم. واستمالة أعيان الأمة ببذل المال واكتساب النفوذ في مجلس الحكومة. حتى نتمكن من التدخل في انتخاب الملك وبعد الحصول على انتخاب من هو من حزب روسيا من تلك الأمة ، ينبغي حينئذ دخول عساكر روسيا إلى داخل البلاد لأجل حمايتهم والتعصب لهم بإقامة العساكر المذكورة مدة طويلة هناك ، إلى أن تحصل الفرصة لاتخاذ وسيلة تمكننا من الإقامة ، وعندما تظهر مخالفة في ذلك من طرف الدول المجاورة فلأجل إخماد نار الفتنة مؤقتا ينبغي أن نقاسم المخالفين في ممالك بولونيا، ثم نترقب الفرص لاسترجاع الحصص التي تكون قد أعطيت لهم.

* **البند الخامس**: ينبغي الاستيلاء على بعض الجهات من ممالك اسوج بقدر الإمكان ثم نسعى في اغتنام وسيلة لاستكمال الباقي منها، ولا نتوصل إلى ذلك إلا بوجه تضطر فيه تلك الدولة إلى أن تعلن الحرب على دولة روسيا وتهاجمها، والذي يلزم أولا هو أن نصرف المساعي والهمة لإلقاء الفساد والنفرة دائما بين اسوج والدانمرك بحيث أن يكون الاختلاف والترقب بينهم دائمين باقيين.

* **البند السادس**: يجب على الأسرة الإمبراطورية الروسية أن يتزوجوا دائما من بنات العائلة الملكية الألمانية. وذلك لتكثير روابط الزوجية والاتحاد بينهم واشتراكهم في المنافع. إذ بهذه الصورة يمكن إجراء نفوذهم في داخل ألمانيا وبهذا يربطون أيضا الممالك المذكورة لصالح منافعنا ومصالحنا.

* **البند السابع** : إن دولة إنكلترا هي الدولة الأكثر احتياجا إلينا في أمورها البحرية ولهذه الدولة فائدة عظيمة جدا لزيادة قوتنا البحرية. فلذلك من الواجب ترجيح الاتفاق معها في أمر التجارة على سائر الدول. وبيع محاصيل ممالكنا كالأخشاب وسائر الأشياء

إلى إنكلترا وجلب الذهب من عندهم إلى ممالكنا. واستكمال أسباب الروابط والمناسبات بين تجار وملاحي الطرفين. فيتوسع بهذه الوسيلة أمر التجارة وسير السفن في ممالكنا.

* **البند الثامن**: على الروسيين أن ينتشروا يوما فيوما شمالا في سواحل بحر البلطيق وجنوبا في سواحل البحر الأسود.

* **البند التاسع**: ينبغي التقرب بقدر الإمكان من استانبول والهند ، **وحيث أنه من القضايا المسلمة أن من يحكم على إستانبول يمكنه حقيقة أن يحكم على الدنيا بأسرها.** فلذلك من اللازم إحداث الحروب المتتابعة تارة مع الدولة العثمانية وتارة مع الدولة الإيرانية. وينبغي ضبط البحر الأسود شيئا فشيئا وذلك لأجل إنشاء دار صناعات بحرية فيه. والاستيلاء على بحر البلطيق أيضا، لأنه أهم موقع لحصول المقصود. وللتعجيل بضعف بل بزوال دولة إيران **لنتمكن من الوصول إلى خليج البصرة، وربما نتمكن من إعادة تجارة الممالك الشرقية القديمة إلى بلاد الشام**، والوصول منها إلى بلاد الهند، **التي هي بمثابة مخزن للدنيا**. وبهذه الوسيلة نستغني عن ذهب إنكلترا.

* **البند العاشر**: ينبغي الاهتمام بالحصول على الاتفاق والاتحاد مع دولة اوستريا (النمسا)، والمحافظة على ذلك ومن اللازم التظاهر بقبول أفكار الدولة المشار إليها من جهة ما تطمع إليه من النفوذ في المستقبل في بلاد ألمانيا. وإما باطنا فينبغي لنا أن نسعى في تحريك حسد وعداوة سائر حكام ألمانيا لها. وتحريك كل منهم لطلب الاستعانة والاستمداد من دولة روسيا ضدها. ومن اللازم إجراء نوع حماية للدول المذكورة بصورة يتسنى لنا فيها الحكم على تلك الدول في المستقبل.

* **البند الحادي عشر**: ينبغي تحريض العائلة المالكة في اوستريا على طرد الأتراك وإبعادهم من قطعة الروملي (الأراضي العثمانية على سواحل غرب بحر مرمرة) **وحينما نستولي على إستانبول**. علينا أن نسلط دول أوروبا القديمة على دولة اوستريا حربا، أو

نسكن حسدها ومراقبتها لنا بإعطائها حصة صغيرة من الأماكن التي نكون قد أخذناها من قبل. وبعده نسعى بنزع هذه الحصة من يدها.

* **البند الثاني عشر: ينبغي أن نستميل لجهتنا جميع المسيحيين الذين هم من مذهب الروم المنكرين رياسة البابا الروحية والمنتشرين في بلاد المجر والممالك العثمانية في جنوبي ممالك بولونيا (أتباع المذهب الأرثوذوكسي) ونجعلهم يتخذون من دولة روسيا مرجعا ومعينا لهم. ومن اللازم قبل كل شيء إحداث رياسة مذهبية حتى نتمكن من إجراء نوع نفوذ وحكومة رهبانية عليهم**. فنسعى بهذه الواسطة لاكتساب أصدقاء كثيرين ذوي غيرة نستعين بهم في ولاية كل من أعدائنا.

* **البند الثالث عشر** : حينما يصبح الاسوجيون متشتتين، والإيرانيون مغلوبين، والبولونيون محكومين والممالك العثمانية مضبوطة. أيضا حينئذ نجمع معسكراتنا في محل واحد مع المحافظة على البحر الأسود وبحر البلطيق بقوتنا البحرية. وعند ذلك نظهر أولا لدولة فرنسا كيفية مقاسمة حكومات الدنيا بأسرها بيننا ثم لدولة اوستريا. ويعرض ذلك على كل من الدولتين المشار إليهما كل منهما على حدة بصورة خفية جدا لقبول ذلك وحيث أنه لا بد من أن تقبل إحداهما، فعند ذلك ينبغي مداراة واحترام كل منهما. وأن نجعل من كان منهما قابلا بما عرضناه عليهما واسطة للتنكيل بالأخرى. وتكون روسيا حينئذ قد ضبطت جميع الممالك الشرقية. عند ذلك يسهل علينا أن نقهر وننكل فيما بعد أية دولة بقيت في الميدان من الدولتين المذكورتين.

* **البند الرابع عشر:** على فرض المحال أن كلا من الدولتين المشار إليهما لم تقبل بما عرضته عليهما روسيا. فينبغي حينئذ لروسيا أن تنصرف لمراقبة ما يحدث من النزاع والخلاف بينهما. فإذا وقع ذلك فلا بد أن يحصل تعب للطرفين. وفي ذلك الوقت يجب على روسيا أن تنتظر الفرصة العظيمة وتسوق حالا عسكرها المجتمعين أولا بأول على ألمانيا. فتهجم في تلك الجهات. ثم تخرج أسطولين من السفن أحدهما من بحر ازاق حيث يحتشد عساكرنا، من أقوام الأناضول المتنوعة. والثاني من ليمان خليج ارخانكل الكائنة في

البحر المتجمد الشمالي. فتسير هذه السفن وتمر في البحر الأبيض والبحر المحيط الشمالي مع الأسطول المرتب في البحر الأسود وبحر البلطيق. وتهجم على سواحل فرنسا. وأما ألمانيا فإنها تكون إذ ذاك مشغولة بحالها. وبما ذكرناه تصبح المملكتان المذكورتان مغلوبتين. فالقطعة التي تبقى من أوروبا تدخل تحت الانقياد بسهولة وبدون محاربة وتصير جميع قطعة أوروبا قابلة للفتح والتسخير. ا هـ.

وبعد اشتعال المعارك بين الروس والعثمانيين. وفي يونيو سنة 1772م تهادن الفريقان بناء على توسط النمسا ثم طلب مندوب كاترينه الاعتراف باستقلال تتار القرم وحرية الملاحة لسفن روسيا التجارية في البحر الأسود وجميع بحار الدولة العثمانية. ولما لم تقبل الدولة هذه الشروط انفض الجمع على غير جدوى ثم مدت المهادنة سبعة أشهر واجتمع المؤتمر ثانية وطلبت كاترينه بلسان مندوبها طلبات أكثر إجحافا بحقوق الدولة وأرسلت بها بلاغا نهائيا 15 نوفمبر سنة 1773م وكان من تلك الشروط:

(سابعا : أن يكون لروسيا حق حماية جميع المسيحيين الأرثوذكسيين في بلاد الدولة العثمانية ...)

ويظهر للمطلع على تلك الشروط أن كاترينه ما كانت تظن قبول الدولة لها بل جعلتها طريقة لاستمرار الحرب. ولذلك رفضتها الدولة العثمانية، وأصدرت أوامرها للجيوش باستئناف القتال بكل شدة خصوصا في بلاد الطونه فانهزم الروس عدة هزائم.

ثم توفي السلطان مصطفى الثالث في يناير سنة 1774م وبلغت مدة حكمه ست عشرة سنة وثمانية شهور وذكر أنه كان عادلا محبا للخير وله عدة مآثر خيرية كالمدارس والتكايا.

- **(27) – السلطان الغازي عبد الحميد خان الأول (1774– 1789م):**

وهو ابن السلطان أحمد الثالث. وكان قد قضى مدة حكم أخيه مصطفى الثالث محجوزا في سرايته كما جرت به العادة.

وفي أول عهده كانت روسيا تستعد استعدادا هائلا لرد ما فقدته من الاسم والشرف في أواخر أيام مصطفى الثالث. ولم يأت شهر يونيو سنة 1774م إلا وزحفت جيوشها إلى معسكر الصدر الأعظم ... وبعد عدة انتصارات طلب الصدر من رومانزوف المهادنة وتوقيف القتال، وأرسل إليه مندوبين للاتفاق على عقد الصلح وقبول الشروط التي رفضتها الدولة عند اجتماع مؤتمر بوخارست. وبعد محادثات طويلة بين الطرفين قبل الصدر **المعاهدة التي تم الاتفاق عليها في يوليو سنة 1774م** وهي مكونة من ثمانية وعشرين بندا ، **وتعتبر بداية الدلائل على انهيار الدولة العثمانية:**

أهمها استقلال تتار القرم و بسارابيا وقوبان – مع حفظ سيادة الدولة العثمانية عليهم فيما يتعلق بالأمور الدينية – وتسليم كافة البلاد والأقاليم التي احتلتها روسيا إلى خان القرم ما عدا قلعتي كريش ويكي قلعه. ورد ما أخذ من أملاك الدولة في الفلاخ والبغدان وبلاد الكرج ومنكريل وجزائر الروم ما عدا بعض المناطق– وأن يعطى إلى إمبراطور روسيا لقب بادي شاه في المعاهدات والمحررات الرسمية – وأن يكون للمراكب الروسية حرية الملاحة في البحر الأسود والبحر المتوسط.

وأن تبني روسيا كنيسة بقسم بيرا بالآستانة ويكون لها حق حماية جميع المسيحيين التابعين للمذهب الأرثوذكسي من رعايا الدولة – وأن تكون كافة المعاهدات السابقة لاغية – ... وغير ذلك.

ومن الغريب أنه لم يذكر شيء فيها عن مملكة بولونيا وهي سبب هذه الحرب التي عادت على الدولة بأوخم العواقب.

وأضيف إلى هذه المعاهدة بندان سريان جاء في أحدهما أن الدولة تدفع إلى روسيا مبلغ خمسة عشر ألف كيس بصفة غرامة حربية على ثلاثة أقساط متساوية في أول

يناير سنة 1775م وسنة 1776م وسنة 1777م. وفي الثاني أنها تقدم لروسيا المساعدات المقتضية للجلاء عما احتلته من جزائر الروم وسحب أسطولها منها.

وكانت هذه أول مرة تدفع فيه الدولة العثمانية الجزية لدولة أخرى !!!.

ومن المفيد الإطلاع على بعض البنود من نص تلك المعاهدة التي دعيت (معاهدة قينا رجه) نقلا عن ترجمة الجزء الأول من تاريخ جودت باشا:

* **المادة الأولى** : كل ما سبق وقوعه بين الدولة العثمانية ودولة روسيا من عداوة ومخاصمة قد محي وأزيل من الآن وإلى الأبد. وكل الأضرار والتعديات التي صار الشروع في استعمالها وإجرائها من الطرفين بالآلات الحربية وبغيرها صارت نسيا منسيا إلى الأبد. ولا يجري بعد الآن ولا في وقت ما انتقام. بل صار الصلح برا وبحرا عوضا عن العدوان بوجه لا يعتريه التغير. بل يراعى ويصان من طرف الهمايوني ومن طرف خلفائي الأماجد. وكذلك يحفظ ويصان ما جرى تمهيده مع ملكة روسيا المشار إليها وحلفائها **من الاتفاق والموالاة الصافية المؤبدة والسالمة من التغيير**. وتستمر هذه المواد جارية ومعتبرة بكمال الدقة والاهتمام وتكون قضية الموالاة مرعية بهذه الصورة بين الدولتين وفي أملاكهما وبين رعايا الطرفين بحيث لا تقع فيما بعد ضدية بين الفريقين لا سرا ولا جهرا ولا نوع من أنواع البغضاء والأضرار..

* **ومما جاء في المادة الثامنة : تعطى الرخصة التامة لرهبان دولة روسيا ولسائر رعاياها بزيارة القدس الشريف وسائر الأماكن التي تستحق الزيارة ولا يتكلف المسافرون ولا السائحون لدفع نوع من أنواع الجزية والخراج و(الويركو) أصلا. ولا يطلب ذلك منهم إثناء الطريق لا في القدس الشريف ولا في سائر الأماكن. وتعطى لهم الفرمانات بالوجه اللائق مع أوامر الطريق التي تعطى إلى رعايا سائر الدول. والذين يقيمون منهم في أراضي دولتي العلية لا يمكن أن يحصل لهم تعرض ومداخلة بوجه من الوجوه. بل تصير حمايتهم وصيانتهم تماما بمقتضى قوة أحكام الشريعة.**

*** وجاء في المادة الرابعة عشرة: يجوز لدولة روسيا أن تبنى كنيسة على الطريق العام فى محلة بك أو غلي في جهة غلطة غير الكنيسة المخصوصة قياسا علي سائر الدول. هذه الكنيسة هي كنيسة العوام وتسمى كنيسة دوسوغرنه وتكون تحت صيانة سفير دولة روسيا إلى الأبد وتكون أمينة من كل تعرض.**

*** وجاء في المادة السادسة عشرة:**

- ثانيا: الديانة المسيحية تكون من كل الوجوه حرة كالأول ولا يحصل ممانعة لإجرائها قط **ولا يمنع إحداث كنائس جديدة ولا ترميم الكنائس القديمة.**

- ثالثا : الأراضي والأملاك الموجودة ضمن دائرة ابرائل وخوتين وفي سائر المواضع المأخوذة بغير حق المتعلقة من القديم بالأديرة وبسائر الأشخاص فهذه جميعا ترد للمرسومين المعبر عنهم الآن بالرعايا.

- رابعا: **يكون لجماعة الرهبان الاعتبار بما يناسبهم من الامتياز ...**

- ثامنا: بعد انقضاء هذه المهلة تتعهد دولتنا العلية بمعاملتهم بالمروءة الكلية في أمر تعيين الجزية وتحافظ على سخائها الجليل على قدر الإمكان ويصير تأدية جزيتهم بواسطة مبعوثيهم مرة في كل سنتين وبعد أداء هذه الجزية بتمامها فلا يتعرض لهم احد أصلا كائنا من كان من باشا أو حاكم ولا يطالبون بشيء ما من اقتراحات الضرائب بأي اسم كانت. بل يكونون متمتعين بالامتيازات التي تمتعوا بها في الزمن السعيد أيام سلطنة جدي الأمجد السلطان مُحَمَّد خان الرابع.

- تاسعا يرخص لأمراء هذه الحكومات أن يقيم من طرفه وكيلا لدى دولتي العلية باسم مصلحتك دار ويكون هؤلاء الوكلاء نصارى من ملة الروم بدلا عن (القبوكتخدايات) الذين كانوا يتعاطون رؤية أمور الملك وتجري في حقهم من جانب دولتي العلية المعاملة بكمال المروءة وينالون ما يستحقونه بحسب قواعد الملل أي أنهم يكونون معتبرين ومن كل تعرض آمنين ومصانين.

– عاشرا : تعطى الرخصة وتحصل الموافقة من جانب لدولة العلية إلى سفراء إمبراطورية روسيا بان يتذاكروا عند الاقتضاء فيما يتعلق بصيانة ومساعدة الحكومتين المذكورتين وتتعهد الدولة العلية برعاية ما يعرضه سفراء روسيا من المواد بحسب اعتبار الصداقة اللائقة بالدولتين.

* **وجاء في المادة العشرون:**

بحسب مفهوم السندات التي عقدت بين الحاكم توليستوي وبين حسن باشا محافظ آجو بتاريخ سنة 1700 ميلادية وسنة 1100 هجرية خصصت قلعة آزاق بحدودها الأولى إلى دولة روسيا للأبد.

* **وجاء في المادة الثالثة والعشرون:**

... ودولتي العلية تتعهد أيضا بحسب مضمون المادة السابقة بأن تشمل بالعفو جميع الذين صدرت منهم حركات ضد دولتي العلية في أثناء امتداد المحاربة وأن تكف يدها إلى الأبد عن أخذ الويركو عن الصبيان والبنات وعن طلب أي نوع كان من الجزية وأنه ما عدا الذين لهم تعلق بها من القديم لا تدعي على فرد واحد من الطوائف المذكورة بكونه من رعاياها وأنها تترك مرة أخرى جميع الأراضي وسائر الاستحكامات التي ضبطها الكرجيون والمكريون لحكومتهم ولمحافظتهم المطلقة وأنها لا تتعرض ولا تجري تضييقا على أديرة وكنائس الديانة بوجه ما ولا تمنع ترميم القديم ولا بناء الجديد منها وبأن تمنع باشا جلدر وجميع رؤساء الجيوش والضباط من التعرض بأي داع كان لأموال الأديرة والكنائس المذكورة وإضاعتها ولا تتعرض دولة روسيا للطوائف المذكورة ولا تتدخل في أمورهم لأنهم من رعايا دولتي العلية.

* **وجاء في المادة الخمسة والعشرون:** جميع أسرى الحرب من ذكور و إناث من أي درجة ورتبة كانوا يسرحون ويردون إلى أوطانهم ما عدا المسيحيين الذين دخلوا في الدين

المحمدي بإرادتهم في دولتي العلية والمسلمين الذين تنصروا بإرادتهم في أثناء وجودهم في أراضي روسيا وهكذا كله بعد مبادلة التصديق على صكوك هذه العهدة المباركة حالا بلا عذر أصلا وبلا عوض وبغير فدية. وكذلك جميع المسيحيين الذين وقعوا في الاسترقاق من بولونيين وبغدانيين وإفلاقيين ومن أهالي الموره والجزائر والكرجيين كافة بلا استثناء يعتقون بلا ثمن وبغير عوض وكذلك الذين استرقوا من رعايا روسيا ووجدوا في ممالكي المحروسة يصير تسليمهم وردهم إلى مواطنهم وذلك بعد انعقاد المصالحة المباركة وكذلك تجري هذه الأمور أيضا بهذه الصورة عينها في حق رعايا دولتي العلية.

*** وجاء في المادة الثامنة والعشرون:**

... وبما أن الصدر الأعظم وفلدمار شال دولة روسيا بتروقونت رومان جوف قد فوض إليهما من طرفي الهمايوني ومن طرف إمبراطورية روسيا المشار إليها أمر تمهيد عقود وعهود عهدة الصلح المباركة المنعقدة فجميع مواد الصلح المؤبد المسطر في العهدة المذكورة يصير إمضاؤها من طرف الصدر الأعظم و فلد مارشال وختمها بأختامها للتصديق كما لو كانت جرت بحضورهما والمواد المنعقدة التي تمهدت وصار الوعد بها تراعى مراعاة قوية بدون تغيير ولا تبديل وتجري بالدقة بحسب منطوقها ولا يفعل شيء مخالف لها قطعيا ويحرر في المواد المذكورة التي تقررت وجرى التصديق عليها من طرف الصدر الأعظم والفلد مارشال المشار إليهما سندان ممضيان بامضائهما ومختومان بخاتميهما ...

*** وجاء في الخاتمة:**

إن ما جري تحديده وتمهيده بحسب المواد المذكورة من الصلح والصلاح المبطل للحرب والكفاح يكون مقررا ومعتبرا من بعد الآن ... وكذلك شرط المادتين المحررتين ...

ذكر مادتان في خاتمة العهدة:

** إحداهما تتضمن المصاريف الحربية وذلك لأن الدولة العثمانية كانت تعهدت بتأدية خمسة عشر ألف كيس لروسيا في مدة ثلاث سنين يدفع منها في كل سنة قسط وهو خمسة آلاف كيس.

** والمادة الثانية سرعة تخلية جزائر البحر الأبيض تأييدا لما هو مذكور في المادة السابعة عشرة من العهدة المذكورة وأسطول روسيا الموجود في البحر الأبيض وإن كان مشترطا في المادة المذكورة أنه يخرج في مدة ثلاثة أشهر فدولة روسيا قد تعهدت بإخراجه قبل المدة المذكورة إذا أمكن. انتهى. !!!

وبذلك انتهت هذه الحرب ونالت روسيا أقوى أمانيها بعد إذلال مملكة اسوج ومحوها من العالم السياسي تقريبا بحصرها ضمن حدودها الطبيعية. وهي طمس آثار مملكة بولونيا من الوجود كلية تقريبا وتجزئة معظمها بينها وبين النمسا وبروسيا بمقتضى معاهدة بين روسيا وبروسيا في 7 فبراير سنة 1772م وقبلتها النمسا في أبريل وأعلنت لملك بولونيا في 18 سبتمبر سنة 1772م وبذلك سقط الحاجزان الأولان من الحواجز الثلاثة الحائلة بين تقدم روسيا من جهة أوروبا وأمكنها أن توجه كل قواها لمكافحة الدولة العثمانية.

استيلاء روسيا على بلاد القرم :

أما روسيا فأخذت تبث رجالها في بلاد القرم لإيجاد المشاغبات الداخلية بها وبالتالي لابتلاعها وضمها إلى أملاكها. وما زالت مستمرة في إلقاء الدسائس ونشر الفتن بين الأهالي حتى عزلوا أميرهم دولت كراي الذي انتخبه الأهالي بمقتضى نصوص معاهدة قينا رجه واحتلت روسيا تلك البلاد بسبعين ألف جندي كانوا منتظرين على الحدود لهذه الغاية فتم لها مقصدها الذي كانت تسعى وراءه من مدة وهو امتلاك كافة سواحل البحر الأسود الشمالية في غضون سنة 1773م فهاجت الدولة وأرادت إشهار الحرب على روسيا. لكن حولت أنظارها ثانيا عن الحرب بمساعي فرنسا لعدم استعداد الدولة وقدرتها في ذاك الوقت

على مقاومة روسيا فبلت مشورة فرنسا والاعتراف بضم القرم لروسيا واعترفت بذلك في سنة 1774م. لكن لم يكن قصد روسيا ومساعديها إلا انتشاب القتال، وأرسلوا جواسيسهم إلى بلاد اليونان وولايتي الفلاخ من البغدان لتهييج المسيحيين على الدولة. وفي سنة 1787م ساحت كاترينه في البلاد الجنوبية وبلاد القرم بأبهة واحتفال زائد وأقام لها القائد بوتمكين أقواس نصر كتب عليها: (طريق بيزنطة) فعلمت الدولة من كل هذه الأحوال أنها تقصد محاربتها ثانيا. ولذلك أرادت هي المبادرة بإعلان الحرب قبل تمام استعداد أعدائها.. وفي هذه الأثناء كانت النمسا أعلنت الحرب على الدولة مساعدة لروسيا. وحاول إمبراطورها يوسف الثاني الاستيلاء على مدينة بلغراد فعاد بالخيبة إلى مدينة تمسوار حيث اقتفى أثره الجيش العثماني وانتصر عليه نصرا مبينا. ثم بعد ذلك بقليل توفي السلطان عبد الحميد الأول في 12 رجب سنة 1203 هـ 8 أبريل سنة 1789م بالغا من العمر 66 سنة ومدة حكمه 15 سنة وثمانية شهور وتولى بعده سليم الثالث.

- **(28) – السلطان الغازي سليم خان الثالث (1789 – 1807م):**

وهو ابن السلطان مصطفى الثالث. تولى وجو السياسة مكفهر، ورحى الحرب دائرة فبذل جهده في تقوية الجيوش وإرسال المؤن والذخائر. لكن اليأس كان قد استولى على الجنود وغادر كثير منهم مراكزهم. وفي هذه السنة اتحد القائد الروسي مع قائد الجيوش النمساوية في الأعمال الحربية وضما جيوشهما لبعضهما فاستظهرا على العثمانيين في سبتمبر سنة 1789م استولى الروس على مدينة بندر الحصينة واحتلوا معظم بلاد الفلاخ والبغدان وبسارابيا ودخل النمساويون مدينة بلغراد وفتحوا بلاد الصرب. فكانت الدولة في خطر عظيم. ولو استمر اتحاد النمسا وروسيا لفقدت أغلب أملاكها لكن من حسن

حظها توفي الإمبراطور يوسف سنة 1790م وخلفه ليوبولد الثاني فشغلته الثورة الفرنسية التي قامت على الملك لويس السادس عشر خوفا من امتداد لهبها. وسعت النمسا في مصالحة الدولة العثمانية وردت إليها النمسا بلاد الصرب ومدينة بلغراد وجميع فتوحاتها تقريبا.

إلا أن روسيا لم تتبع النمسا حليفتها في طريق الصلح بل استمرت على محاربة الدولة بمفردها. ثم توسطت إنكلترا وبروسيا وهولندا بين الدولة وروسيا وتم الصلح بين الطرفين في سنة 1792م على أن تمتلك روسيا بلاد القرم نهائيا وجزء من بلاد القوبان وبسارابيا والأقاليم الواقعة بين نهري بوج ودينستر بحيث يكون هذا النهر الأخير فاصلا بين المملكتين ، وتتنازل لها الدولة العثمانية عن مدينة اوزي اوتشاكوف. وأمضيت بذلك معاهدة في مدينة ياش أطلق عليها اسم هذه المدينة نسبة إليها.

وبعد إتمام الصلح مع النمسا وروسيا أخذت الدولة في إصلاح داخليتها وخصوصا العسكرية والبحرية فعين أحد المتقربين من السلطان واسمه كوشك حسين باشا قبطانا عاما وكان من الشبان الذين درسوا في أوروبا. وزوجه السلطان إحدى أخواته فاستحضر عددا عظيما من مهرة المهندسين من السويد وفرنسا لصب المدافع في معامل الطوبخانة، وأصلح مدرسة البحرية ومدرسة الطوبجية التي أسسها البارون دي توت المجري وترجم لتلامذتها مؤلفات المعلم فوبان الفرنساوي في فن الاستحكامات. وأضاف إلى مدرسة الطوبجية مكتبة جمع فيها أهم ما كتب في الفنون الحربية الحديثة والرياضيات لتكون التلامذة على إطلاع تام في العلوم العصرية. ووضع نظاما للجنود المشاة وشرع في تنسيق فرق جديدة وتدريبها على النظام الأوروبي ، **فأنشأ أول فرقة منتظمة في سنة 1796م وجعل عددها 1600 جندي تحت قيادة ضابط إنكليزي دخل في الدين الإسلامي وسمي إنكليز مصطفى وكان القصد من ترتيب العساكر النظامية الاستغناء بهم عن جنود الإنكشارية.**

وفي سنة 1798م أمرت الجمهورية الفرنساوية بونابرت القائد الشهير بالمسير إلى مصر لفتحها بغير إعلان حرب على الدولة العثمانية وأوصته بكتمان هذا الأمر حتى لا تعلم به

إنكلترا فتسعى في إحباطه وكان القصد منه منع مرور تجارة الإنكليز من مصر إلى الهند. وحصلت بينه وبين أمراء المماليك واقعة الأهرام التي أظهر فيها المماليك من الشجاعة ما أدهش الفرنساويين. وبعد أن بذلوا وسعهم في الدفاع عن مصر. تقهقروا أمام المدافع الفرنساوية فدخل بونابرت وجيوشه مدينة القاهرة بعد أن أعلن بها أنه لم يأت لفتح مصر بل أنه حليف الباب العالي. وأنه أتى لتوطيد سلطته ومحاربة المماليك العاصين أوامره ، كما زعم الإنكليز بعد ذلك عند دخولهم مصر سنة 1882م.

ولكن لم يلبث أن وصله خبر واقعة أبي قير البحرية التي دمر فيها نلسن أمير البحر الإنكليزي الشهير جميع المراكب والسفن الحربية الفرنساوية في أغسطس سنة 1798م. وتسلطن الإنكليز على البحر المتوسط، وقطعوا المواصلات بينه وبين فرنسا. ولما علمت الدولة العثمانية باحتلال الفرنساويين القطر المصري أخذت في الاستعداد لمحاربتهم لاسيما وأنها كانت مطمئنة البال من جهة النمسا وروسيا اللتين كانتا مشتغلتين بمحاربة الجمهورية الفرنساوية خوفا من امتداد مبادئ الثورة الفرنسية إلى بلادهم فتفل عروشهم كما حصل للويس السادس عشر ملك فرنسا. ومن جهة أخرى عرضت عليها الدولة الإنكليزية مساعدتها على إخراج الفرنساويين من مصر لا رغبة في حفظ أملاك الدولة بل خوفا على طريق الهند من أن تكون في قبضة دولة قوية يمكنها معاكستها فقبلت الدولة العثمانية مساعدتها بكل ارتياح. وكذلك عرضت عليها روسيا إمدادها بمراكبها الحربية وانضمامها إلى السفن العثمانية والإنكليزية فقبلت أيضا. وأعلنت الحرب رسميا على فرنسا في سبتمبر سنة 1798م. وأخذت الدولة في جمع الجيوش بمدينة دمشق وبجزيرة رودس لإرسالها إلى مصر واتت السفن الروسية من البحر الأسود إلى بوغاز الآستانة وخرجت إلى البحر الأبيض مع السفن العثمانية وذلك بمقتضى معاهدة أبرمت بين هذه الدول الثلاث التي اتفقت لأول مرة على عمل حربي مع ما بين الدولة العلية وروسية من العداوة القديمة المستمرة. ولما شعر بونابرت باجتماع الجيوش لمحاربته تحقق أن من يحتل مصر لا يكون آمنا عليها إلا إذا احتل القطر السوري. فلهذه الدواعي عزم بونابرت على فتح بلاد الشام.

ودخل الرملة ثم يافا. ثم حاصر مدينة عكا من جهة البر ولم يدخلها لتيقظ أحمد باشا الجزار قائد حاميتها. وفي أوائل أبريل بلغه تحرك جيش دمشق العثماني لإنجاد مدينة عكا فأرسل القائد كليبر لمحاربته ومنعه من الوصول إليها فالتقى بالعثمانيين عند جبل وأنجده بونابرت فتفرق الجيش المجتمع. وقطع نابليون بعدم النجاح وعاد بمن بقي من جيوشه إلى القاهرة. وفي أغسطس سافر بونابرت من الإسكندرية قاصدا فرنسا خفية مع بعض قواده حتى لا يضبطه الإنكليز القاطعون بمراكبهم سبل البحر الأبيض على الفرنساويين، وذلك أن الأميرال الإنكليزي أرسل إليه عدة نسخ من الجرائد الفرنساوية المذكور بها خبر تغلب النمساويين على فرنسا ووقوع الفوضى في داخليتها فأراد بونابرت الرجوع إليها لاستمالة الخواطر إليه .. فغادره تاركا القائد كليبر وكيلا عنه. فبقي الجيش الفرنساوي بمصر بدون مراكب تحميه من نزول الإنكليز والعثمانيين على الثغور أو تأتي إليه بالمدد أو مجرد الأخبار من فرنسا. ونقص عدده إلى خمسة عشر ألفا بعد من مات ببر الشام بالطاعون والحرب. وظهر أن هذا العدد غير كاف لحماية السواحل وحفظ الطريق والمحافظة على الأمن في الداخل. ولذلك يئس القائد كليبر من حفظ مصر واتفق مع الباب العالي والأميرال سدني سميث في 24 يناير سنة 1800م على أن تنسحب العساكر الفرنساوية بسلاحها ومدافعها وترجع فرنسا على مراكب إنكليزية. وسار بعدها لمحاربة الجيش التركي الذي أتى إلى مصر في مارس سنة 1800م، وبعد محاربة عنيفة فاز كليبر بالنصر وعاد إلى القاهرة فوجدها في قبضة إبراهيم بيك أحد أمراء المصريين. فأطلق القنابل عليها وخرب منها جزءً عظيما واستمرت الحرب في شوارعها نحو عشرة أيام. وفي 14 يونيه سنة 1800م قتل مجاهد فدائي من مدينة (حلب حرسها الله) اسمه (سليمان الحلبي) القائد كليبر في بستان السراي وهرب. فضبطوه وقتلوه هو ورفاق له ثلاثة اتهموا معه في القتل، منهم الشيخ الذي أفتاه بذلك في بيت المقدس رحمهم الله. ثم عين مكانه الجنرال مينو وكان قد زعم أنه اعتنق الدين الإسلامي وتسمى عبد الله مينو!!.

ولما علم الإنكليز والعثمانيون بموت كليبر وخروج بونابرت من مصر. أيقنوا بالغلبة عليهم وأنزلوا بابي قير ثلاثين ألف مقاتل تحت قيادة الجنرال أبركرومبي في أوائل سنة 1801م فسار القائد مينو لمحاربتهم فانهزم أمامهم. ثم سار الإنكليز والأتراك إلى القاهرة وحصروا من بقي منها من الفرنساويين .. أما القائد مينو فبقي محصورا في الإسكندرية ولم يقبل التسليم إلا في سبتمبر سنة 1801م بعد أن وقعت بينه وبين العثمانيين والإنكليز موقعة عظيمة قتل فيها كثير من الطرفين فخرج منها مع من بقي معه وسافر إلى بلاده على مراكب الإنكليز وبذلك انتهت الحرب ورجعت البلاد إلى العثمانيين.

وبعد ذلك اتصل بونابرت الذي كان تعين رئيسا للجمهورية الفرنسية مع سفير الدولة العثمانية وأظهر له ضرر اتحاد الدولة مع روسيا وإنكلترا خصوصا وأن روسيا قد احتلت جزائر اليونان الواقعة ما بين جنوب إيطاليا وبحيث جزيرة موره وجنود إنكلترا باقية بمصر مماطلة في إخلائها، وما احتلته من ثغور الشام. وأخيرا أقنعه بوجوب تجديد العلاقات الودية مع فرنسا فكاتب السفير العثماني دولته بذلك. وبعد الحصول منها على الإذن أمضى مع بونابرت مشروع معاهدة سنة 1801م. أساسها إخلاء مصر وتأييد امتيازات فرنسا السابقة في الشرق.

وفي هذه الأثناء حصلت في داخلية الدولة بعض اضطرابات بسبب شروع السلطان سليم الثالث في تنظيم الجيوش على النظام الجديد فإن الإنكشارية لم ينظروا لهذه الإصلاحات العسكرية بعين الارتياح. فلما مات الجنرال دو بايت الفرنساوي الذي كان استحضر لتدريب النظام في سنة 1797م سعى الإنكشارية مع بعض العلماء المتذمرين من توجهات السلطان الغربية. وكان السلطان قد أصدر أمرا ساميا بفصل المدفعية عن الإنكشارية وتنظيمها ويكون مقرهم في الآستانة وأن يكون لكل منهم موسيقى عسكرية وإمام لتعليم الدين وإقامة الصلاة ...

الفتن الداخلية بسبب توجهات السلطان الغربية:

وقد انتشرت خلال انشغال الدولة العثمانية بحرب مصر، وهاجت ثورات كثيرة من قبل سكان اليونان والبلقان والصرب وغيرها من باقي ولايات الدولة بأوروبا بدسائس الدول الأوربية، وطموح السكان للاستقلال .. ولم يتمكن الإنكشارية من كبح جماحهم بل فاز المفسدون عليهم في عدة وقائع وصارت البلاد في كرب عظيم وبلاء شديد وهدد هؤلاء الثائرون مدينة أدرنه نفسها مع مناعتها. ويزعم مؤلف كتاب تاريخ الدولة العثمانية (فريد بيك) أن السلطان سليم أراد تجربة الفرق المنتظمة الجديدة التي أنشأها ودربها عسكريون أوربيون وأدخلوا عليها الأنظمة الأوربية. فقامت هذه الجنود بما عهد إليها خير قيام .. وعادت السكينة إلى ربوعها ورجعت الجنود المنتظمة إلى الآستانة مكللة بالظفر فانشرح السلطان من نجاح مشروع هذا النظام الجديد. وأغدق عليهم العطايا والهبات ثم أصدر في شهر مارس سنة 1805م أمرا ساميا خط شريف إلى جميع الولايات بتركية وأوروبا بجمع جميع الشبان من الإنكشارية والأهالي البالغين سن الخمسة والعشرين وإدخالهم العسكرية وتربيتهم على النظام الجديد بإشراف الضباط والمدربين الأجانب. فلم يقبل الإنكشارية هذا الأمر واظهروا التمرد.

واتحد بعض العلماء والطلبة ضد النظام الجديد فأذعن السلطان لمطلب الإنكشارية وأرجع العساكر النظامية إلى ولايات آسيا وعزل الوزراء وعين رئيس الإنكشارية صدرا أعظما. ومع ذلك فلم تنته هذه المسألة بسلام بل جرَّت بعد قليل إلى عزل السلطان، وكانت هذه بداية وقوف العلماء، وقيادات الإنكشارية في وجه عملية التغريب، والغزو الأوربي للجيش العثماني الذي تولى كبره السلطان سليم الثالث هذا.

وقد أدت قلاقل بلاد الصرب إلى قيام الحرب بين الدولة العلية وروسيا التي سيأتي بيان أسبابها.

علاقات الباب العالي مع فرنسا وروسيا وإنكلترا بعد خروج الفرنساويين من مصر:

أرسل بونابرت إلى بلاد الشرق الجنرال سبستياني لتجديد ربط الاتحاد والوداد مع الدولة العثمانية. **وفي أثناء إقامته بالآستانة تمكن بمساعيه من عزل أميري الافلاق والبغدان المنحازين لروسيا. فساء ذلك روسيا وخشيت من امتداد نفوذ فرنسا** في الشرق فأرسلت جيوشها لاحتلال هاتين الولايتين بدون إعلان حرب بدعوى أن تغيير أميريهما مضر بحقوق جوارها. فانتشبت نيران القتال بينها وبين الدولة واتحدت إنكلترا مع روسيا في هذه الحرب. فأرسلت إحدى فرقها البحرية أمام الدردنيل وأرسل سفيرها بلاغا إلى الباب العالي يطلب منه: **تحالف الدولة العلية وإنكلترا وتسليم الأساطيل العثمانية وقلاع الدردنيل إلى إنكلترا والتنازل عن ولايتي الافلاق والبغدان إلى روسيا وطرد الجنرال سبستياني من الآستانة وإعلان الحرب على فرنسا وإلا فستكون إنكلترا مضطرة لاجتياز الدردنيل وإطلاق مدافعها على الآستانة.**

وفي فبراير سنة 1807م قرن الإنكليز القول بالفعل واجتاز الأميرال الإنكليزي الدردنيل ودمر كافة السفن الحربية العثمانية الراسية بها، ومكث خارج البوسفور ينتظر تنفيذ لائحته التي سبق ذكرها. وبورود الخبر إلى الدولة بذلك وقع الرعب في قلوب سكان الآستانة خشية من وصول السفن الإنكليزية إلى البوسفور وهناك تكون الطامة الكبرى لوجود أغلب السرايات الملكية ودواوين الحكومة على ضفتيه. وكادت الدولة تستسلم للشروط. ولكن الفرنسيين شجعوها على الصمود ووعدوا بالمساعدة. فأخذوا في تحصين العاصمة وبناء القلاع حولها وتسليحها بالمدافع الضخمة وشكل الفرنساويون النازلون بالآستانة فرقة من مائتي مقاتل !! أغلبهم من المدفعية وكذلك الأسبان لمضادة سفيرهم لسياسة إنكلترا في الشرق. واهتم كل من في الآستانة في هذا العمل حتى الشيوخ والأطفال والنساء وبذل الإنكشارية جهدا كبيرا رغم خلافهم مع السلطان .. فلم يمض بضعة أيام حتى صارت المدينة في مأمن. فلما رأى الأميرال الإنكليزي استحالة دخوله البوسفور وقرب انتهاء تحصينات الدردنيل خشي من حصر مراكبه بين البوغازين وقفل راجعا في مارس سنة 1807م فنجا بمراكبه بعد أن قتل من رجاله ستمائة وغرق من سفنه اثنتان من مقذوفات

قلاع الدردنيل. واجتمع بمراكب روسيا عند مدخل البوغاز. ثم أراد الأميرال الإنكليزي أن يأتي عملا يمحو ما لحقه من العار بسبب فشله في هذه المأمورية فقصد ثغر الإسكندرية فاحتلها في مارس سنة 1807م ثم سير فرقة إلى ثغر رشيد لاحتلاله فانهزمت وحاصر المدينة في أبريل لكن لم يقو على فتحها لإرسال مُحَّد باشا المدد إليها، وأخيرا رحلوا عن الديار المصرية. بعد أن أجروا تجربة لاحتلالها.

عزل السلطان سليم الثالث: في هذه الأثناء التي كانت فيها رحى الحرب دائرة بين العثمانيين والروس دخل والي بوسنه بجيوشه إلى بلاد الصرب لمنع الثائرين من اللحاق بالجيش الروسي. **وفي غضون ذلك توفي المفتي الذي كان معضدا للسلطان على إدخال الإصلاحات العسكرية وتولى مكانه قاضي عسكر الرومللي وكان على الضد من سلفه، فاتحد مع مصطفى باشا قائم مقام الصدر الأعظم المتغيب في محاربة الروس ولفيف من العلماء على السعي في إبطال النظام العسكري الجديد. معتبرين أنه بدعة مخالفة للشرع. وأخذوا يقنعون العساكر الغير منتظمة التي كانت أضيفت إلى الفرق المنتظمة ببطلان إكراههم على لبس الملابس الغربية والتزيي بزي النصارى مع ما في ذلك من مخالفة القرآن الشريف والشرع المنيف .. وحصلت بينهم معركة سالت فيها الدماء ثم انتشرت هذه الفتنة وامتد لهيبها إلى جميع القلاع وحصلت عد معارك بين الفريقين كانت نتيجتها أن وصل الجمع الثائر على السلطان .. ولما بلغ السلطان خبر هذه الثورة أصدر على الفور أمرا بإلغاء النظام الجديد وصرف العساكر النظامية. لكن لم يكتف الثائرون بل قرروا عزل السلطان خوفا من أن يعود لتنفيذ مشروعه وساعدهم على ذلك المفتي الذي كان المحرك لهذه الثورة، فأفتى بأن كل سلطان يدخل نظم الإفرنج وعوائدهم ويجبر الرعية على إتباعها لا يكون صالحا للملك.**

واستمرت هذه الثورة يومين ثم نودي في يونيو سنة 1807م بخلع السلطان سليم الثالث فعزل وكانت مدة حكمه 19 سنة وأقيم بعده مصطفى الرابع.

- **(29) – السلطان الغازي مصطفى خان الرابع (1807– 1808م) :**

عقب ذلك حصل الصلح بين فرنسا وروسيا بمقتضى معاهدة تلسيت في يوليو سنة 1807م التي جاء البند الثاني والعشرين وما بعده منها أن روسيا تكف عن محاربة الدولة العثمانية حتى يتوسط نابليون بين الطرفين. وأنه بمجرد ما أمضيت الهدنة الابتدائية تخلي جيوش روسيا ولايتي الافلاق والبغدان بدون أن تدخلها الجيوش العثمانية حتى يتم الصلح نهائيا وجاء في المعاهدة السرية التي اتفق عليها نابليون واسكندر الأول قيصر روسيا إن لم يقبل الباب العالي توسط فرنسا بسبب الحوادث الأخيرة التي حدثت بالآستانة أو إن لم يتم المقصود بكيفية مرضية بعد قبول هذا التوسط بخمسة وثلاثين يوما فتتحد فرنسا مع روسيا على سلخ جميع الولايات العثمانية بأوروبا ما عدا الآستانة وما حولها وتقسيمها فيما بينهما مع إرضاء النمسا بجزء يسير. **وهذا يظهر النوايا المبيتة لكافة الخصوم المتحالفين، ويبين أنه لم يكن هناك أي دولة أوروبية تود خيرا أو تبغي صلاحا لدولة أو أمة إسلامية مطلقا.**

ولم يطل العهد بالسلطان مصطفى الرابع فتم حجزه في نفس السراي التي كان محجوزا بها السلطان سليم. وعزل بعد أن حكم ثلاثة عشر شهرا وقتل في سرايته بعد ذلك بقليل وأقيم بعده محمود الثاني.

- **(30) – السلطان الغازي محمود خان الثاني (1808 – 1839م) :**

وهو ابن السلطان عبد الحميد الأول. وقد افتتح أعماله بأن قلد مصطفى باشا البيرق دار منصب الصدارة العظمى ووكل إليه أمر تنظيم الإنكشارية، ولكنهم قاوموه وحصلت فتنة كبيرة أدت إلى قتل السلطان السابق المحجوز في السرايا (مصطفى الرابع) ...

ثم وجه السلطان الجديد اهتمامه لإصلاح الشؤون الداخلية والاستعداد لإهلاك طائفة الإنكشارية وللتفرغ لذلك عقد الصلح مع الإنكليز في يوليو سنة 1809م. وافتتح الإيصالات مع روسيا بدون أن يتوصل إلى اتفاق مرض للطرفين فاستؤنفت الحرب وكانت سجالا بين الجيشين. وفي هذه الأثناء فترت العلاقات بين روسيا ونابليون لعدم تنفيذ شروط معاهدة تلسيت وكانت الحرب بينهما قاب قوسين أو أدنى فسعت روسيا في مصالحة الدولة العثمانية ، وتوصل الطرفان إلى معاهدة بوخارست في مايو سنة 1812م. ولقد اعتبرت فرنسا هذه المعاهدة خيانة من الدولة للروابط القديمة الموجودة بين الدولتين. إذ بإبرامها تمكنت روسيا من استعمال الجيوش التي كانت مشتغلة بمحاربة العثمانيين في صد غارات فرنسا عن بلادها وإلزام نابليون بالعودة القهقرى بعد حرق مدينة موسكو وهلاك أغلب جيوشه عند عبورهم نهر بيريزينا عائدين إلى بلادهم مكسورين مدحورين. ولما بلغ رؤساء ثورة الصرب خبر معاهدة بوخارست القاضية بإرجاعهم إلى سلطة الدولة العلية المطلقة بعد ما بذلوه من الأموال والأرواح لإعطائهم نوعا من الاستقلال الإداري. ووعد قيصر روسيا بمساعدتهم، لم يقبلوا وآثروا الفناء في الدفاع عن استقلالهم فسيرت الدولة إليهم الجيوش فأخضعتهم إلى سلطانها قهرا. وأعطيت تعليمات شديدة تقضي بمعاملة الصربيين بالرفق واللين كي يحافظوا على ولاء الدولة. وصارت الصرب مستقلة تقريبا واستبد زعيمهم ميلوش كملك مطلق لا سلطة للوالي العثماني عليه.

ثم قامت الحركة الوهابية في نجد في الجزيرة العربية. وقمعتها الدولة العثمانية باستخدام مُحَمَّد علي باشا والي مصر وابنه إبراهيم باشا ومستشاريه الفرنسيين. والقصة مشهورة بما يغني عن تفصيلها هنا.

وثارت اليونان وأيدتها الدول الأوربية وروسيا. واستخدم العثمانيون مُحَمَّد علي باشا لقمع الثورة وفتح بلاد اليونان فنجح بذلك سنة 1826م. وفي يونيو من السنة التالية فتح العثمانيون مدينة أثينا وقلعتها الشهيرة اكروبول رغما عن دفاع عنها.

تدخل الدول الأوربية في شؤون الدولة العثمانية:

وبينما كان إبراهيم باشا يستعد لفتح ما بقي من بلاد اليونان في أيدي الثائرين. إذ تدخلت الدول بين الباب العالي ومتبوعيه بحجة حماية اليونانيين في الظاهر ولفتح ما دعوه بـ (**المسألة الشرقية**) وتعني عمليا (الإعداد لتقسيم بلاد الدولة العثمانية بينهم).

فقد عاتبت الدولة العثمانية روسيا أكثر من مرة على مساعدتها الثائرين وحماية من يلتجئ منهم إلى بلادها واستمرت روسيا على مساعدتهم طمعا في نوال بغيتها الأصلية وهي احتلالها الآستانة وجعلها مركزا للديانة الأرثوذكسية على غرار مدينة روما التي تعتبر مركزا للديانة الكاثوليكية. ثم استمرت المحادثات بين الدولتين مدة بدون فائدة لرغبة روسيا وعدم قبول الباب العالي أي تدخل أجنبي في شؤونه الداخلية وفي سنة 1825م تولى نيقولا الأول فاهتم بمسألة اليونان متبعا خطة سلفه السياسية. وباتحاده مع إنكلترا اضطر الباب العالي إلى التصديق على معاهدة آق كرمان سنة 1826م. وملخصها أن يكون لروسيا حق الملاحة في البحر الأسود والمرور من البوغازين بدون أن يكون للدولة حق في تفتيش سفنها وأن تنتخب حكام ولايتي الافلاق والبغدان بمعرفة الأعيان لمدة سبع سنوات مع عدم جواز عزلهما إلا بإقرار روسيا. وأن تكون ولاية الصرب مستقلة تقريبا. وأن لا تحتل العساكر التركية إلا قلعة بلغراد وثلاث قلاع أخرى. ولم يذكر بهذه المعاهدة شيء عن اليونان لإيجاد سبب للإشكال في المستقبل بل اتفقت روسيا وإنكلترا على استعمال كل نفوذهما لوضع حد للحروب المستمرة بها ولو كره الباب العالي ووافقتهما دول النمسا وبروسيا وفرنسا.

واقعة ناورين:

وفي 5 فبراير سنة 1827م عرضت إنكلترا رسميا على الدولة العثمانية توسط جميع الدول بينها وبين متبوعيها فلم تقبل ذلك بل أجابت سفير الانكليز. بعد التروي والتأمل في عاقبة هذا التدخل ، أنها لم تسمح ولن تسمح به مطلقا. فاغتاظت الدول من هذا الجواب. واتفقت كل من فرنسا وإنكلترا وروسيا على إلزام الباب العالي بالقوة بمنح بلاد اليونان استقلالها الإداري بشرط أن يدفع اليونانيون جزية معينة يتفق على مقدارها فيما بعد ، كما يتفق على حدود الفريقين وأمهل الباب العالي شهرا لإيقاف الحركات العدوانية ضد اليونان وإلا فتضطر الدول لاتخاذ طرق أخرى لنفاذ رغبتها. ولما بلغت صورة هذه المعاهدة إلى الباب العالي لم يحفل بها وبعد انقضاء الشهر أصدرت الدولة الثلاث أوامرها إلى قواد أساطيلها التوجه لسواحل اليونان وطلبت بعد ذلك من إبراهيم باشا الكف فورا عن القتال فقبل إيقاف الحرب مدة عشرين يوما ريثما تأتيه تعليمات جديدة، واجتمعت سفن الثلاث دول المتحالفة في ميناء ناورين لمنع الأسطول التركي والمصري من الخروج منها. وفي أكتوبر سنة 1827م تكامل اجتماع سفن الدول المتحدة ، ولم تلبث السفن المقابلة لبعضها حتى انتشبت نيران الحرب بين الفريقين لسبب واه، وسلطت جميع السفن الأوروبية مدافعها على المراكب التركية والمصرية بعد أن استمر القتال عدة ساعات. وانتهت بانتصار الدول المتحدة. ولما وصل خبر هذه الحادثة التي حصلت بدون إعلان حرب كما هي العادة بين الدول إلى الباب العالي. أرسل بلاغا إلى سفراء هذه الدول الثلاثة يقيم فيه الحجة ضد هذا العمل المخالف للقوانين الدولية ويطلب به أن تمتنع الدول كلية عن التدخل في شؤون الممالك العثمانية وأن تدفع له تعويضا عن الخسائر التي نجمت من تدمير المراكب العثمانية. فلم يجاوب السفراء على هذا البلا غ بل قطعوا العلائق مع الباب العالي ونزلوا إلى مراكبهم مسرعين. **ونشر السلطان في جميع الولايات منشورا عاما (خط شريف) يبين فيه سوء مقاصد الدول عموما وروسيا خصوصا نحو الدولة العلية الدولة الإسلامية الوحيدة. مثبتا للأهالي على أن الباعث على هذا العدوان هو الدين**

لا السياسة. وختمه بحض المسلمين على القتال دفاعا عن الدين والملة والوطن. فاغتاظت روسيا لذلك وأعلنت الحرب على الدولة في أبريل سنة 1828م.

ثم تلقى إبراهيم باشا أوامر والده واتفق مع الدولة المتحدة في أغسطس سنة 1828م بناء على الرجوع إلى مصر. على ما بقي من السفن المصرية. وابتدأ انسحاب الجنود المصرية وكانت كلما أخلت محلا دخله الفرنسيون الذين نزلوا ببلاد اليونان. وفي نوفمبر سنة 1828م عقدت الدول الثلاث مؤتمرا في مدينة لندن لتقرير أحوال اليونان ودعت إليه الدولة العثمانية فأبت إرسال مندوب من طرفها. فاجتمع مندوبوها في اليوم المعين واتفقوا على استقلال موره وجزائر سكلاده واجتماعها على هيئة حكومة مستقلة يحكمها أمير مسيحي تنتخبه الدول ويكون تحت حمايتها على أن تدفع الحكومة اليونانية للباب العالي جزية سنوية قدرها خمسمائة ألف قرش فلم يقبل الباب العالي هذا القرار الصادر من دول غير مختصة فيما يقع بينه وبين متبوعيه واشتغل بمحاربة روسيا التي أعلنت الحرب عليه بعد أن دمر أسطوله. وأخيرا في 1830م أعلن الباب العالي بتصديقه على الشروط المدونة في الاتفاق الذي امضي بين الدولة في لندن في نوفمبر سنة 1828م القاضي باستقلال اليونان.

إلغاء طائفة الإنكشارية : زعم المؤرخ أنه لما تحقق السلطان محمود أفضلية النظم العسكرية المستعملة في جيوش أوروبا. وسمع بما أتته الجنود المصرية المنتظمة من الأعمال الباهرة في محاربة موره. وعلم أن انتصارات إبراهيم باشا على اليونانيين لم تكن إلا نتيجة النظام العسكري. زاد تعلقه بإصلاح النظم العسكرية. وأراد إتمام المشروع الذي لم يمكن السلطان سليم الثالث إتمامه فجمع جميع ذوات وأعيان المملكة وكبار ضباط الإنكشارية في بيت المفتي في أوائل سنة 1826م. وتلا عليهم مشروعا محتويا على ستة وأربعين بندا ذكر بها بكل إيضاح كيفية التنظيمات المراد إدخالها وبعد إقرار الجمعية عليه حرر بذلك محضرا ختمه جميع الحاضرين حتى ضباط الإنكشارية وأفتى المفتي بجواز العمل بها شرعا ومعاقبة من

يعارض في نفاذها. ثم تلا المشروع على جميع ضباط الإنكشارية فأقروا عليه لكن لم تكن موافقتهم إلا ظاهرية فقط فإنه لما ابتدئ في تعليم الضباط بمعرفة من تعين من ضباط الإفرنج بصفة معلمين تنبه الإنكشارية وأخذوا يستعدون للثورة والعصيان ليوقفوا تنفيذه كما فعلوا قبلا.. ولم يمض قليل حتى تم حل الإنكشارية ومطاردتهم وإبادة من عارض منهم.

ثم سار السلطان في خطة الإصلاحات الداخلية بناء على الفتوى الشرعية !! ، وقد ذكر (المؤرخ الذي اعتمدنا مصدره آنف الذكر) ممتدحا أعمال السلطان فقال: (... ومن جهة أخرى أخذ في تغير العوائد القديمة واتباع المستحسن من عوائد أوروبا. فاستبدل العمامة بالطربوش الروني، وأمر بالزي الأوروبي، وأمر بأن يكون هو الزي الرسمي في العسكرية والمدنية، وأسس وساما دعاه وسام الافتخار، وأخيرا تجول بذاته في ممالك أوروبا ليستطلع أحوالها ويقف على حقائق الأمور ... وبالاختصار فإنه سار سير من يردي مجاراة أوروبا في نظاماتها وعدم الوقوف حال تقدم الدول الأخرى بسرعة لعلمه أن الوقوف في مثل هذه الظروف هو عين التأخر..) **كما زعم من لعب بعقله من الضباط الذين تفشت فيهم الماسونية والافتتان بالغرب. وزيادة على ذلك أحيا ما أقامه السلطان مصطفى الثالث من مدارس الطوبجية وأنشأ مدرسة حربية لتخريج الضباط على مثال مدرسة سان سير الفرنساوية التي أسسها نابليون الأول بفرنسا لتربية أولاد الضباط والإشراف على النظم العسكرية الغربية.**

احتلال فرنسا لجزائر الغرب: وفي أواسط سنة 1830م نفذت فرنسا ما كانت تنويه من مدة ضد ولاية الجزائر بدعوى منع تعدي قراصنة البحر المسلمين على مراكبها التجارية. وكانت الحقيقة رغبتها في أن يكون لها مركز حربي بشمال إفريقيا حتى لا تكون إنكلترا صاحبة السيادة بمفردها على البحر الأبيض المتوسط باحتلالها معاقل جبل طارق وجزيرة مالطة واتخذت لذلك سبيلا وقوع الخلاف بينها وبين عامل الدولة العلية عليها. وقررت فرنسا في مجلس الوزراء المنعقد تحت رئاسة الملك نفسه في 7 فبراير سنة 1830م

وجوب الاستيلاء على هذا الإقليم. ثم أرسلت للجزائر جيشا مؤلفا من نحو ثمانية وعشرين ألف مقاتل وأسطولا بحريا مؤلفا من مائة سفينة وثلاثة سفن تحمل سبعة وعشرين ألف جندي بحري. ولما علمت إنكلترا بذلك خشيت على نفوذها من مشاركة فرنسا واحتجت ضد هذا المشروع ولما لم يفد احتجاجها شيئا.

وفي 20 ذي الحجة سنة 1245 هـ/ 12 يونيو 1830م نزلت عساكر فرنسا بالقرب من مدينة الجزائر ونشب القتال بين الفريقين في يونيو وبعد محاربة شديدة فاز الفرنساويون بالغلبة. ودخلت الجيوش مدينة الجزائر نفسها. وأعلنت فرنسا امتلاكها لها وبعد ذلك أخذت ترسل الجيوش تباعا إلى الجزائر لفتحها.

وخلال هذه الفترة تمرد مُحَّد علي باشا في مصر وزحف على الشام وأدت وساطات ومداولات إلى تدخل الدول الأجنبية وإعطائه ولاية مصر وراثية في أبنائه بدعم من فرنسا في القصة المشهورة تاريخيا ..

ثم توفي السلطان محمود الثاني في يوليو سنة 1839م وكانت مدة خلافته إحدى وثلاثين سنة وعشرة شهور وتولى بعده ابنه عبد المجيد.

- **(31) – السلطان الغازي عبد المجيد خان (1839– 1861م):**

تولى الخلافة ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره. وكانت الحكومة في غاية الاضطراب بسبب انتصار جيوش مُحَّد علي باشا والي مصر على جيوش العثمانيين، واحتلال جيوشه لمدائن عين تاب وقيصرية وملطية. ومما زاد أحوال الدولة ارتباكا أن أحمد باشا القبطان العام للأسطول التركي خرج بجميع مراكبه الحربية وأتى بها إلى ثغر الإسكندرية وسلمها إلى مُحَّد علي باشا. ولما علم قناصل الدول بالآستانة بتسليم الأسطول إلى مُحَّد علي باشا خشوا زحف إبراهيم باشا على القسطنطينية أرسلوا إلى الباب العالي لائحة سنة 1839م ممضاة من سفراء فرنسا وإنكلترا وروسيا والنمسا وبروسيا يطلبون منه أن لا يقر شيئا في أمر المسألة المصرية إلا بإطلاعهم. وأنهم مستعدون للتوسط بينه وبين مُحَّد علي باشا لحل هذه المسألة المهمة. فقبل الباب العالي هذه اللائحة واجتمع السفراء عند الصدر الأعظم

وتداولوا فيما يجب إعطاؤه لمحمد علي باشا. وحصلت مداولات كثيرة ، ولم تقبل روسيا تخويل مؤتمر دولي حق تحديد علاقاتها مع الباب العالي بل أعلنت أنها مصرة على التمسك بنصوص معاهدة (خونكار اسكله سي) وهي حماية الدولة بعساكرها ومراكبها وبالتالي احتلال معظم أملاكها بدون حرب لو تعدى إبراهيم باشا حدود الشام. فعند ذلك طلبت كل من فرنسا وإنكلترا من الباب العالي التصريح لمراكبها بالمرور من بوغاز الدردنيل لحمايته عند الضرورة من روسيا ومن العساكر المصرية، ولما علم باقي السفراء بهذا الطلب اضطربوا وخشوا حصول شقاق بين الدول المتوسطة وأعلن سفير روسيا بأنه إذا دخلت المراكب الفرنسية والإنكليزية البوغاز فسيقطع علاقاته السياسية مع الباب العالي ويسافر في الحال وكانت حكومته قد أرسلت له مركبا حربيا ليسافر عليه إذا اقتضى الحال ذلك. وكتبت النمسا إلى لندن وباريس بأن طلبهما هذا مخل بسلم أوروبا وأنهما لو أصرا عليه فستخرج من التحالف وتحفظ لنفسها حرية العمل. فلما علم الباب العالي بذلك خاف من تفاقم الخطب ورفض طلب حكومتي فرنسا وإنكلترا وطلب منهما إبعاد مراكبهم عن مدخل البوغاز. فلهذه الأسباب ولعدم الإتفاق بين وزراء الدول توقفت المحادثات إلى سبتمبر سنة 1839م. حتى عرض سفير إنكلترا على الباب العالي أن دولته مستعدة لإكراه مُحَّمد علي باشا على رد السفن التركية بشرط أن يكون لها حق إدخال مراكبها في خليج إسلامبول لصد روسيا عند الضرورة. فلما علمت بذلك حكومة فرنسا أرسلت إلى قائد أسطولها في مياه تركيا أمرا في ديسمبر سنة 1839م أنه لا يشترك مع مراكب إنكلترا في أي حركة عدوانية ضد حكومة مُحَّمد علي باشا (وهناك أدلة تاريخية كثيرة على عمالة مُحَّمد علي لفرنسا ضد العثمانيين، وتولي كثير من النصارى والمفتونين بفرنسا مناصب عنده). فعلم الكل أنه لا بد من حصول خلاف بين فرنسا وإنكلترا بخصوص المسألة المصرية. وأخذت الدول حذرها مما عساه يحصل من الأمور التي تنشأ بسبب هذا الخلاف. فأعلنت النمسا بأنها لا ترغب التداخل لعدم نجاح طلبها المختص بانعقاد مؤتمر دولي في فيينا أو برلين وأعلنت بروسيا وروسيا بأنهما يقبلان كل ما تقرره الدول في هذا الشأن بشرط أن يكون موافقا

لرغبة الباب العالي وأن يكون قبوله لهذا القرار صادرا عن كمال الحرية. فكأن الدول قبلت ما اتفقت عليه فرنسا وإنكلترا بالاتحاد مع الباب العالي ولكن لم يتم الاتفاق بين هاتين الدولتين لسعي إنكلترا في إرجاع المصريين إلى حدودهم الأصلية وعدم قبول فرنسا ذلك ورغبتها في مساعدة مُحَّد علي باشا. وذلك أن فرنسا كانت تود أن تكون ولايتا مصر والشام له ولذريته وإقليما أدنه وطرسوس له مدة حياته وأما إنكلترا فكانت لا تريد أن يعطى إلا ولاية مصر لكن رغبة في إرضاء فرنسا قبلت أن يعطى مدة حياته نصف بلاد الشام الجنوبي بشرط أن لا تكون مدينة عكا من هذا النصف فرفضت فرنسا هذا الاقتراح دعما لعميلها مُحَّد علي باشا.

وفي تاريخ 15 يوليو سنة 1840م اتفقت الدول على معاهدة صدق عليها مندوب الدولة العلية مقتضاها:

* **أولا** : أن يلزم مُحَّد علي باشا بإرجاع ما فتحه للدولة العلية ويحفظ لنفسه الجزء الجنوبي من الشام مع عدم دخول مدينة عكا في هذا القسم.

* **ثانيا**: أن يكون لإنكلترا الحق بالاتفاق مع النمسا في محاصرة الشام ومساعدة كل من أراد من سكان بلاد الشام خلع طاعة المصريين والرجوع إلى الدولة العثمانية.

* **ثالثا** : أن يكون لمراكب روسيا والنمسا وإنكلترا معا حق الدخول في البوسفور لوقاية القسطنطينية لو تقدمت الجيوش المصرية نحوها.

* **رابعا** : أن لا يكون لأحد الحق في الدخول في مياه البوسفور ما دامت القسطنطينية غير مهددة.

* **خامسا** : يجب على الدول التي وقع مندوبوها على هذا الاتفاق أن تصدق عليه في مدة لا تزيد عن شهرين بحيث يكون التصديق في مدينة لندن.

وشفعت هذه المعاهدة بملحق مصدق عليه من مندوب الدولة العلية مبين فيه الحقوق والامتيازات التي يمكن منحها لمحمد علي باشا.

وقبل إمضاء هذه المعاهدة ابتدأت إنكلترا في تحريض سكان لبنان من دروز ومارونية ونصيرية على شق عصا الطاعة.

ثم عادت الدول للاختلاف وكادت تقوم الحرب مع مُحَّد علي باشا. ثم أرسل قناصل الدول الأربع المتحدة لمحمد علي (خلافا لفرنسا الداعمة له) ، وعرضوا عليه باسم دولهم أن تكون ولاية مصر له ولورثته وولاية عكا له مدة حياته وأمهلوه عشرة أيام لإعطاء جوابه فطلب منهم كتابة بذلك فلبوا طلبه ثم في اليوم التالي أفهموه أن فرنسا لا يمكنها مساعدته قط وأن الدول مصممة على تنفيذ ما اتفقت عليه ولو أدى ذلك إلى حرب أوروبية لكنه أصر على عدم القبول والدفاع عن حقه. وفي 24 أغسطس 1840م حضر إليه القناصل ومعهم مندوب الدولة وأخبروه بأنه لا حق له الآن في ولاية عكا. وأن الدول لا تسمح له إلا بولاية مصر فقط له ولذريته فغضب وطردهم من عنده. فانصرفوا وأعطوه عشرة أيام أخر لإبداء جوابه بحيث إن لم يجاوب تكون الدول غير مسؤولة عما يحصل له من الضرر. وبعد انقضاء هذه المدة بدون أن يبدي لهم جوابه كتب القناصل بذلك إلى سفراء الدول باستانبول فاجتمعوا مع الصدر الأعظم وقرروا باتحادهم أخذ مصر والشام من مُحَّد علي باشا. وفي أثناء هذه المدة عجزت فرنسا عن مساعدة مُحَّد علي باشا، وأرسلت أوامرها لسفنها أولا بالانسحاب إلى مياه اليونان ثم بالعودة إلى فرنسا وتركت مصر والشام لمراكب إنكلترا تحرق موانئها بمقذوفاتها.

وفي 11 سبتمبر أنزلت العساكر إلى البر في نقطة تبعد نحو ستة أميال في شمال بيروت ولم يتمكن إبراهيم باشا من منعهم لوجود هذه النقطة تحت حماية المدافع الإنكليزية. ثم جاء سليمان باشا بلاغ من الأميرالين الإنكليزي والنمساوي بأن يخلي مدينة بيروت حالا فطلب منهم مسافة أربع وعشرين ساعة كي يتداول مع إبراهيم باشا فلم يقبل طلبه، وابتدؤوا في إطلاق المدافع على المدينة لمدة يومين، حتى هدم أو حرق أغلب المدينة ، كما أحرقت كذلك الثغور الشامية قصد استخلاصها من مُحَّد علي باشا وإرجاعها إلى الدولة العثمانية...

وفي أثناء هذه المدة عرض الكومودور نابير على مُحَمَّد علي باشا أن الحكومة الإنكليزية تسعى لدى الباب العالي في إعطاء مصر له ولورثته لو تنازل عن الشام ورد السفن التركية إلى الدولة العلية فامتثل لهذا الأمر وقبل هذه الشروط لحفظ مصر لذريته وتم بينهما الاتفاق في نوفمبر سنة 1840م. ولم يقبل الباب العالي هذا الاتفاق إلا بعد تردد وإحجام.

مسألة لبنان: وبمجرد إخلاء الجيوش المصرية لبلاد الشام وجبال لبنان تحركت في سكانها الدوافع الدينية القديمة الكامنة، وزادت الدسائس الأجنبية لإضرام نار الشقاق وبذر الفتن الداخلية توصلا لغاياتهم. وكانت فرنسا مساعدة للمارونية الكاثوليك، وإنكلترا معضدة للدروز ضدهم لتلجئهم لترك المذهب الكاثوليكي واعتناق المذهب البروتستانتي، فيدخلوا بذل تحت حمايتها الفعلية. ولا يعود لفرنسا حجة حمايتهم لسبب مذهبي. وظن كل فريق من هؤلاء التعساء أن الدولة التي تغرره تود صلاح حاله وترقيه، ولم ينتبهوا لدخائل هذه السياسة الخبيثة التي لا يتأخر أصحابها عن إهراق دماء الأبرياء توصلا لمآربهم. وبهذه الدسائس ساد الهياج في جميع أنحاء لبنان وظهر ما تكنه صدور سكانه من الأحقاد القومية والدينية، حتى تعدى الدروز على المارونية في سنة 1841م، ودخلوا دير القمر وارتكبوا فيه ما تقشعر منه الأبدان من النهب والسلب.. ثم قام الدروز ثانية في سنة 1845م، وقتلوا المسيحيين وحرقوا جثثهم ثم أضرموا النار في الدير بعد أن نهبوا كل ما به من المنقولات والأمتعة. بدون أن يحصل أقل أذى **للمبشرين البروتستانت من الأمريكان والإنكليز** !! الأمر الذي يدل دلالة واضحة على أن هذه المذابح لم تخل من تأثيرهم.

وبسبب هذه الإضطرابات المتعاقبة لم ير الباب العالي بدا من التدخل في إدارة الجبل لمنع هذه الفتن. فعزل الأمير بشير الشهابي بعد خروج العساكر المصرية من الشام. وعين مكانه واليا عثمانيا ، وأبطل بذلك جميع امتيازات سكان الجبل الممنوحة لهم قديما. فلم تقبل الدول الأجنبية **التي صار تدخلها مألوفا** .. وجربت الدولة العثمانية حلولا عدة كانت في كل مرة ترضي هذا فتغضب ذاك، وزاد تدخل الدول الأزمة تعقيدا .. وحصلت مذبحة سنة 1845م بين الطوائف، فأرسلت الدولة جيوشها واحتلت البلاد سهلا وجبلا

بصفة عسكرية وأجرت فيها الأحكام العرفية ثم دارت المحادثات بين الدول العظمى والباب العالي لتقرير ما يضمن السلام في الحال والاستقبال فاجتمعت آراؤهم أخيرا بعد مداولات طويلة وأخذ ورد واتفق على حل وسط. وبذا انتهت مسألة لبنان مؤقتا. وبما أن الدروز لم يقبلوا هذه التسوية إلا مؤملين نوال زيادة عما فيها طبقا لوساوس مندوب إنكلترا لهم بأنها ستمنحهم مع الوقت السيادة على جميع الشعوب الساكنة بلبنان. واستمرت الفتن جارية مجراها حتى حصلت مذبحة سنة 1860م وتدخلت فرنسا عسكريا لحماية المارونية. وانسحبت ثانيا بعد توطيد الأمن وحفظ حقوق الموارنة.

حرب القرم و أسبابها :

كانت المنافسات دائمة بين قساوسة الأرثوذكس والكاثوليك بشأن التملك أو إقامة شعائر دينهم في الكنائس المعتبرة عندهم في مدينة القدس. وكانت فرنسا الحائزة بمقتضى عدة معاهدات قديمة تدعم الكاثوليك. وكانت روسيا تسعى من جهة أخرى لتجريد الكاثوليك من هذا الامتيازات لإعطائها للأرثوذكس لتتمكن بواسطتهم من بث سياستها ونشر نفوذها بين رعايا الدولة العثمانية المتمسكين بهذا المذهب، والبالغ عددهم زيادة عن عشرة ملايين نسمة. ثم لما عين نابليون الثالث رئيسا للجمهورية الفرنسية الثانية باسم البرنس لويس نابليون، فاتَح الدولة العثمانية في هذه المسألة، فعين الباب العالي لجنة مشكلة من عدة أعضاء مختلفي المذهب لفصلها بمقتضى المعاهدات القديمة. فقررت اللجنة بعد عدة اجتماعات متوالية الأولوية للكاثوليك في امتلاك عدة كنائس وأديرة، فعارضت روسيا في نفاذ هذه الاتفاقية، وهددت الباب العالي بالحرب لو أمر بنفاذها.

وفي أثناء ذلك عمل القيصر نيقولا على سبر أفكار السير هاملتون سيمور سفير إنكلترا لدى حكومته مظهرا له ضرورة اتحاد دولتي روسيا وإنكلترا معا على إضعاف نفوذ فرنسا في الشرق وأخذ الاحتياطيات، لتجزئة بلاد الدولة العثمانية حيث صار من المستحيل شفاء هذا (الرجل المريض) كما صارت تدعى الدولة العثمانية في المحافل الدولية

آنذاك على حد زعمهم. وعرضت روسيا أن تتساهل مع إنكلترا لو ساعدتها على نفاذ مشروعها في إعطائها القطر المصري وجزيرة كريت. فلم يجبه السفير الإنكليزي جوابا شافيا، بل أجاب القيصر أن الأولى معالجة هذا المريض وتعهده بالعناية حتى ينقه من مرضه، لأنه لو مات فستحصل حروب أوربية تهدر فيها الدماء انهارا عند تقسيم تركته. ولم يكن ذلك من الدولة الإنكليزية حبا بتقوية الدولة العثمانية أو شغفا ببقائها، بل خوفا من امتداد روسيا في الشرق واحتلالها الآستانة فتشارك عندها إنكلترا في ملك البحر الذي انفردت هي به.

ولما رأى إمبراطور روسيا عدم إصغاء إنكلترا لطلباته فاتح سفير فرنسا في أمر التساهل معها على تقرير الأمور في بلاد فلسطين طبق مرادها، وعرض عليه أن تتساهل روسيا أيضا مع فرنسا في مقابلة ذلك بل وتساعدها على امتلاك القطر التونسي لتقوية نفوذها في بلاد الغرب! ومراقبة إجراءات إنكلترا في جزيرة مالطة. لكنه لم يجد من السفير الفرنساوي أيضا أذنا صاغية.

فتحقق للعموم من ذلك أن قصد روسيا الوحيد هو إعلان الحرب على الدولة العثمانية. وتقسيم ممالكها ولذلك أرسلت فرنسا سفنها البحرية إلى مياه اليونان سنة 1853م واستعدادا للحوادث التي لم تكن في الحسبان. أما إنكلترا فأذنت لمراكبها بالتربص في مالطة لحين صدور أوامر جديدة لها. وفي أثناء ذلك كان البرنس منشيكوف يبذل جهده لدى الباب العالي للحصول على تجديد شروط معاهدة (خونكاراسكله سي) القاضية بأن يكون لروسيا حماية جميع المسيحيين الموجودين ببلاد الدولة. وكان الباب العالي يماطله في الإجابة. ثم أرسل للباب العالي بلاغا نهائيا وقطع السفير الروسي العلاقات مع الباب العالي وبارح الآستانة على إحدى مراكب روسيا.

ولما أبلغت الدولة صورة هذا البلاغ إلى إنكلترا تحققت من سوء نية روسيا نحو الدولة العثمانية، فانضمت إلى فرنسا وأرسلت إلى سفنها بمالطة أن تنضم إلى السفن الفرنسية وتتحد معها في كافة أعمالها. ومن ثم ظهر لجميع أوروبا أن فرنسا وإنكلترا

متحدتان على حماية الممالك العثمانية ضد أطماع روسيا. ثم أصدرت هاتان الدولتان أوامرها إلى مراكبها سنة 1853م بالاقتراب من بوغاز الدردنيل لمد يد المساعدة للدولة العثمانية إذا اقتضى الحال.

واجتازت عساكر روسيا نهر البروث الفاصل بين أملاك الدولتين في يوليو سنة 1853م واحتلت الولايتين فعلا إذ لم يخطر ببال روسيا أن الدول الغربية تتألب مع الدولة العثمانية على محاربتها لحماية الدولة.

واهتم مندوبو بروسيا والنمسا بالاتحاد مع مندوبي فرنسا وإنكلترا في التوفيق بين الخصمين وإصلاح ذات بينهما منعا لسفك الدماء واشتعال نيران الحرب التي ربما عمت أوروبا بأسرها. وانفض المؤتمر بدون جدوى. ثم اجتاز عمر باشا النهر في 3 نوفمبر 1853م. وبعد موقعة عظيمة هائلة انتصرت الجيوش العثمانية على الجيوش الروسية وأخرجتها من معاقلها الكائنة على ضفة النهر اليسرى قهرا. وفاز عمر باشا وجيوشه فوزا مبينا أدهش جميع العالم لعدم توقع انهزام روسيا. وعندما شاهد الإمبراطور نيقولا هذا الحال اجتمع مع فرنسوا جوزيف إمبراطور النمسا وفاوضه في خوفه من نجدة الدول الغربية فرنسا وإنكلترا للدولة العثمانية وسأله المساعدة والتحالف فلم يقبل الإمبراطور ذلك واظهر له شديد أسفه.

وفي هذه الأثناء تقدمت السفن الفرنسية والإنكليزية إلى بوغاز البوسفور برضا الباب العالي لتكون أقرب إلى البحر الأسود وإلى حماية الآستانة لو حاول الروس الهجوم عليها بحرا.

وفي نوفمبر سنة 1853م فاجأت السفن الروسية السفن التركية الموجودة في ميناء سينوب على البحر الأسود ودمرتها عن آخرها تقريبا مع أنها كانت تعهدت لدولتي فرنسا وإنكلترا بعدم إتيان أي أمر عدواني في البحر الأسود. ومن ذلك الحين صارت الحرب بين هذه الدول وروسيا أمرا واقعا لا محالة ، لحماية الدولة العثمانية من عدوان روسيا

وأطماعها. لا حبا في الدولة العثمانية ، بل خوفا من امتداد نفوذ روسيا وبسط يدها على الآستانة كما أسلفنا.

وفي مارس سنة 1854م أمضي بين فرنسا وإنكلترا والدولة العلية في مدينة الآستانة اتفاق على محاربة روسيا وحماية الدولة العثمانية. وأرسل نابليون الثالث رسالة إلى مجلس النواب يخبره بإعلان الحرب على روسيا بالاتحاد مع إنكلترا.

وبعد ذلك أخذت الدولتان المتحالفتان في جمع الجيوش وما يلزم لها من المؤن والذخائر والسفن اللازمة لنقلها. وقبل وصول الجيوش البرية كان القتال قد ابتدأ فعلا في البحر الأسود. وفي أثناء ذلك أعلن الإمبراطور نقولا الحرب على الدول المعادية له ثم زحف الحلفاء بجيوشهم. ولما انسحب الجيش الروسي عن ولايتي الأفلاق والبغدان احتلها الجيش النمساوي !

ولم تعترض روسيا ضد هذا الاحتلال خوفا من إغضاب النمسا ودخولها في التحالف المنعقد ضدها لتفضيلها وجود جيوش النمسا فيهما على وجود الأتراك أو الفرنسيين لعدم ميل النمسا للحرب. ثم أرسلت فرنسا وإنكلترا سفنها إلى بحر البلطيق والبحر الأبيض الشمالي. والمحيط الهادي لضرب الثغور الروسية. وفي أواخر هذه السنة دارت الاتصالات ثانيا في مدينة فيينا للوصول إلى الصلح وإيقاف أضرار الحرب قبل اشتدادها. وذلك أن فرنسا وإنكلترا عرضتا على النمسا أن تتحد معهما ضد روسيا إن لم تقبل روسيا الصلح قبل ختام السنة وتتعهد للدول الأربع بطلباتها وهي:

أولا : عدم استئثار روسيا بحماية مسيحي الدولة العثمانية وحماية ولايتي الافلاق والبغدان.

ثانيا : حرية الملاحة لجميع الدول في نهر الطونه.

ثالثا : تعديل المعاهدات المختصة بالمرور في ضائق الآستانة وخصوصا معاهدة سنة 1841م.

رابعا : وضع قاعدة جديدة لتوازن القوى في البحر الأسود فتكون هذه المعاهدة الثلاثية الجديدة نافذة المفعول.

ثم في 28 ديسمبر اجتمع سفراء إنكلترا وفرنسا وروسيا والنمسا عند وزير خارجية فيينا وقرروا إعطاءه المهلة المطلوبة وبذلك انتهت هذه السنة والآمال متجهة نحو الوصول إلى صلح. ثم هاجم الروس العثمانيين ومن كان معهم من الجنود المصرية. في مدينة أوباثويا ، فردهم عمر باشا القائد العثماني على أعقابهم وكان النصر بمجرد فضل الجيوش الإسلامية. وفي مارس توفي إمبراطور روسيا وخلفه ابنه اسكندر الثاني.

وفي يناير سنة 1855م أمضى فكتور عمانويل ملك البيمونتي بايطاليا معاهدة هجومية ودفاعية ضد روسيا. وأرسل إلى بلاد القرم جيشا مؤلفا من ثمانية عشر ألف مقاتل. وفي 26 أغسطس انتصر المتحدون في واقعة تراكيتو وأخلى الروس مدينة سباستوبول بعد أن احرقوها عن آخرها. واحتلتها الجيوش المتحدة. أو بالأحرى احتلوا أطلالها. وبعد ذلك سارت الجيوش المتحدة نحو مدينة قلبرون فاحتلوها. وفي اليوم التالي هدم الروس قلاع مدينة أوتشاكوف وأخلوها قاصدين داخلية البلاد. ولولا ابتداء فصل الشتاء الذي يأتي مبكرا بتلك البلاد ، لما وجدت روسيا من الجيوش ما يكفي لإيقاف أعدائها عن المدينة كيف المقدسة لديهم. وفي أثناء سنة 1855م أطلقت سفن فرنسا وإنكلترا قنابلها على عدة ثغور في بحر بلطيق وعطلت التجارة الروسية بالمرة. وكذلك حاصرت مدخل البحر الأبيض الشمالي ومنعت المراكب التجارية من الدخول فيه بالكلية. وبعد ذلك لم تحصل وقائع حربية مهمة بل دخلت المسألة في دور سياسي لتحقق إسكندر الثاني عدم الفوز خصوصا وأن النمسا قد أظهرت له العداوة جهارا بعد سقوط سباستوبول وانضمت مملكة السويد إلى التحالف الأوروبي ضدها. وانعقد مؤتمر جديد في فيينا في شهر فبراير سنة 1855م. وتظاهرت باقي الدول ضدها خصوصا مملكة السويد التي كانت تستعمل معها روسيا طرق التهديد والوعيد للحصول على بعض امتيازات تختص بالصيد على شواطئ النرويج ، فأبرمت مع فرنسا وإنكلترا معاهدة هجومية ودفاعية ضد روسيا في

20 نوفمبر سنة 1852م وأعلنتها رسميا لجميع الدول. وبذلك تحققت روسيا أنه صار من المستحيل عليها الانتصار على جميع هذه القوى المتألبة ضدها ومالت إلى السلم قلبا وقالبا منتظرة أقل مفاتحة من الدول الغربية فتلبيها بالقبول. وفي أواخر سنة 1855م. عرضت النمسا أن يرسل إلى روسيا بلاغا نهائيا بطلبات الدول الأصلية مع ما سبق عرضه من الاقتراحات أثناء المؤتمر الذي انعقد أخيرا بمدينة فيينا في أبريل سنة 1855م. وإن لم تجب روسيا جميع هذه الاقتراحات يستأنف القتال في ربيع سنة 1856م بكل شدة وصرامة وتنضم إلى الجيوش المحاربة جيوش النمسا ومملكة السويد والنرويج. فأقرت الدول على ذلك وقبلت روسيا هذه الإقتراحات الأكثر تأثيرا على نفوذها مما رفضته في السابق. وبعد محادثات طويلة تم الاتفاق على أن ينعقد مؤتمر سلام جديد في مدينة باريس لتقرير السلم نهائيا سنة 1856م واختار لرئاسته وزير خارجية فرنسا وفيه أمضيت جميع بنود معاهدة باريس الشهيرة التي أوصلت نابليون الثالث إلى أوج فخاره وأعادت لفرنسا سابق مجدها. إذ أنها لم تشترك في مثل هذه الحرب من عهد نابليون الأول وحفظت للدولة العثمانية أملاكها من غوائل روسيا. وتبين فيما بعد أن الدول الأوروبية دافعت عن الكعكة والغنيمة التي ستتقاسمها فيما بعد !!.

ومما زاد في أحوال الدولة العثمانية ارتباكا، تدخل الدول في الشؤون الداخلية ومنعها الدولة العثمانية من محاربة الثائرين، بتهديدها بقطع العلائق السياسية ونزول سفرائهم إلى مراكبهم بل وإرسال بعض السفن الحربية لتقرير مطالب الثائرين. كما أرسلت فرنسا وروسيا مراكبها في سنة 1858م إلى سواحل الجبل الأسود لمنع الجيوش العثمانية من الدخول بهذا القطر ومعاقبة أميره على مساعدة الثائرين في البوسنة والهرسك ... ومن هذا يتضح جليا أن الدولة كانت في أحرج المواقف لعدم وجود مخلص لها أو صديق بين جميع الدول المسيحية المتألبة عليها سياسيا لإضعافها وعرقلة جميع مساعيها الإصلاحية في داخل بلادها. وتدخل تلك الدول في أمورها الداخلية المحضة. حتى خيل للمتأمل أن سفراء الدول بالآستانة صاروا شركاء لوزراء الدولة في جميع الأعمال في تلك الفترة.

وفي أوائل سنة 1858م توفي الصدر الأعظم رشيد باشا. وخلفه في هذا المنصب الخطير خصوصا في هذه الظروف السياسي الشهير عالي باشا وولى فؤاد باشا وزيرا للأشغال الخارجية وكان كل منهما على جانب عظيم من الحذق في الأعمال السياسية وعالما بمقاصد أوروبا السيئة نحو الدولة الإسلامية الوحيدة فعملا على تسوية جميع المسائل الداخلية بحكمة وسداد رأي. حتى لم يدعا لسفراء الدول حقا في التدخل. إذ لم يمض طويل زمن حتى عادت السكينة إلى بلاد البوسنة والهرسك، لوعد أهاليها بإصلاح أحوالهم. وكذلك أنهيا مسألة الجبل الأسود بتحديد الحدود بمعرفة لجنة مشكلة من أربعة أعضاء (فرنسي وروسي وعثماني وجبلي) وقبلا قرار هذه اللجنة مع إجحافه بحقوق السلطنة، لكن لما كان السكون وانتظام الأحوال.

ثم حصلت الحرب بين الموارنة والدروز 1860م وأدت إلى تدخل الجيش الفرنسي في لبنان ... وبعد خروج الجيوش الفرنسية من بيروت بعشرين يوما توفي السلطان عبد المجيد خان في يونيو سنة 1861م. وكانت مدة حكمه 22 سنة ونصف وفي يوم موته بويع بالخلافة لأخيه.

- **(32) السلطان الغازي عبد العزيز خان (1861– 1886م) :**

وقد جرت في عهده جملة من الإصلاحات الداخلية منها:

** وضع مجلة الأحكام العدلية **والقوانين التي أجازت للأجانب امتلاك العقارات وكافة الحقوق العينية والتصرف فيها بجميع الممالك العثمانية بعد أن كانت ممنوعة عنهم كلية وذلك في سنة 1285 هـ الموافقة سنة 1869م.**

** ومنها وضع مجلة الأحكام الشرعية ليعمل بها في المحاكم النظامية التي أنشئت وكان جاريا إصلاحها. وكان وضع هذه المجلة بمعرفة لجنة من أشهر **متشرعي** ذلك العصر من العلماء والقانونيين والإداريين في الدولة العثمانية.

وبعد الحوادث التي مر ذكرها اقتنع السلطان أن تحالف الدول الأوربية مع الدولة في حرب القرم وما بعدها لم تكن نتيجة إلا إضعافها بالتدخل في شؤونها الداخلية ومساعدة الطوائف المسيحية الخاضعة لها على الانشقاق عنها وبث روح الفتن والفساد في ممالكها تحت غطاء الحرية ونشر العلوم. وأن كل ذلك يعود بالنفع على روسيا جارتها القوية و عدوتها القديمة ، لاسيما وقد عدَّل الدول بعد الحرب الفرنسية الألمانية أهم بنود معاهدة باريس التي أبرمت بعد حرب القرم لحفظ التوازن في البحر الأسود وعدم مراعاتها عقب إبرامها في حق ولايتي الأفلاق والبغدان. فلهذه الاسباب اعتقد السلطان أن الأولى والأنجح لسياسة الدولة هو التباعد عن الدول الغربية والتحالف مع روسيا. وعضده في هذا الفكر الصدر الأعظم محمود نديم باشا. فأكثر السلطان من الاجتماع مع سفير روسيا بالآستانة. والمتواتر وإن لم تثبته أوراق رسمية أنهما كانا يسعيان لوضع أساس معاهدة هجومية ودفاعية يكون من أهم بنودها الاختصاص بجميع بلاد الشرق وأن تتبع الولايات الإسلامية التي يغلب فيها العنصر الإسلامي للدولة العلية الإسلامية. وضم جميع الأقاليم المسيحية أو التي يسود فيها هذا العنصر للدولة الروسية ولما شاع هذا المشروع ، لم يرق للدول الأوروبية التي لها مصالح في الشرق ، وخصوصا إنكلترا. فأخذ عمالهم وسفراؤهم الظاهرون والسريون يعملون حتى أقنعوا الوزراء بوجوب عزله وصادفت مساعيهم أذنا صاغية عند بعض العلماء لما خالج صدورهم من عدم الميل للسلطان بسبب فسوقه العلني وزيارته معرض باريس وحضوره المسارح والمراقص ... فقد كان خليفة (عكروتا) كما يدعو أمثاله أهل الشام ..

وأصدر شيخ الإسلام فتوى بوجوب خلعه هذا نصها: (إذا كان زيد الذي هو أمير المؤمنين مختل الشعور وليس له إلمام في الأمور السياسية وما برح ينفق الأموال الميرية في مصارفه النفسانية، في درجة لا طاقة للملك والملة على تحملها. وقد أخل بالأمور الدينية والدنيوية وشوشها وخرب الملك والملة. وكان بقاؤه مضرا بها فهل يصح خلعه ؟: الجواب: يصح. كتبه الفقير حسن خير الله عفى عنه).

وخلع في 31 مايو 1876م. ثم حصلت المبايعة للسلطان الجديد مراد خان الخامس من جميع الحاضرين على الأسلوب المتبع.

- **(33) – السلطان مراد الخامس (مايو1886– أغسطس 1886م) :**

هو ابن السلطان عبد المجيد خان ارتقى منصب الخلافة في 31 مايو 1876م وقيل أنه كان متعلما متثقفا بالثقافات الغربية، مقتنعا بالمساواة بين جميع أصناف رعيته، ولكنه زُعم أنه ظهرت عليه علامات الاضطراب العصبي عقب توليته بنحو أسبوع ثم ازدادت شيئا فشيئا. وكان الصدر الأعظم يخفي هذا الأمر عن العموم. لكن ذاع خبره لعدم إجراء الاحتفال بتسليمه السيف السلطاني في جامع أبي أيوب الأنصاري، حسب العادة. ولعدم مقابلته قناصل الدول ليقدموا إليه أوراق تجديد تعيينهم لدى حكومته. وأخيرا لما اشتد عليه الحال استدعى الوزراء الطبيب ليدز ورف النمساوي الشهير بمداواة الأمراض العقلية. فحضر وبعد أن فحصه ولازمه عدة أيام متفرسا كل ما يبدو منه من الأقوال والإشارات، واستعلم عن عاداته وكيفية معيشته قال بتعسر برئه من هذا المرض. فتشاور الوزراء في الأمر ثم عرضوا على أخيه عبد الحميد أفندي أن تسلم إليه مقاليد الأحكام حيث حكم الأطباء بعدم لياقة أخيه السلطان مراد لإدارة مهامها. واجتمعوا في يوم الأربعاء 10 شعبان سنة 1293هـ 31 أغسطس سنة 1876م وقرروا بوجوب المبايعة لمولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني. واستفتوا مولانا شيخ الإسلام في الأمر فأفتى بوجوب عزله وهذه نص الفتوى : (إذا جنَّ إمام المسلمين جنونا مطبقا ففات المقصود من الإمامة، فهل يصح حل الإمامة من عهدته ؟ الجواب: يصح والله أعلم. كتبه الفقير حسن خير الله عفى عنه).

أقول: ويجب النظر بعين الشك إلى ما يرويه المؤرخون عن تلك المرحلة التي سيطر فيها الماسون على أمور الدولة العثمانية الداخلية والخارجية، بدء من مرحلة ما بعد السلطان عبد المجيد والله أعلم بتفاصيل هذه الواقعة، وشهودها من الطبيب النمساوي، إلى آخر من تولاها.

(34) – السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني (1886– 1909م):

تزايدت ضغوط المفسدين على السلطان من أجل إلزامه بالدستور الذي كان أهم أهدافه مساواة المسلمين بالرعايا من اليهود والنصارى، وتمكن الفساد باستلام مدحت باشا الصدارة سنة 1876م وكان من أشد المنادين بهذه الإصلاحات.

والحقيقة –كما أشرت آنفا – فإنه يجب النظر بعين الريبة والتدقيق لمعظم ما كتب عن تاريخ الدولة العثمانية خلال القرن الأخير من حياتها. لأن الماسون واليهود كانوا قد تغلغلوا في الجيش وعموم دوائر الدولة، ولم يتيسر لي الإطلاع على مصادر تفصيلية عن تاريخ تلك المرحلة، ويُستنتج مما بلغنا عن مؤامراتهم على السلطان عبد الحميد الذي انقلبوا عليه، أن تلك الدسائس كانت قد بدأت قبل عهده بعدة عقود، منذ زاد نفوذ القناصل الأوربيين، وازداد تعلق الطبقة الجديدة من السياسيين والضباط، وحتى بعض السلاطين بالنموذج الأوربي للحضارة والسياسة، ونهش الماسون واليهود في بنية الدولة، إلى أن آلت لإسقاطها على يد ربيب يهود الدونمة المدعو (أتاتورك)!

- **ولنتأمل فيما كتب فريد بك المحامي (صاحب مصدرنا الأساسي "كتاب تاريخ الدولة العثمانية")، ويبدو أنه مصري من أصل تركي، وقد نشر كتابه سنة 1909م فيما يبدو والله أعلم. وكتابه يؤيد (جمعية الاتحاد والترقي) الماسونية، التي أشرفت على خلع السلطان عبد الحميد. فقد كتب يقول:**

الدستور العثماني والنهضة الوطنية والإصلاحات في الدولة العثمانية:

(توفي السلطان سليمان القانوني سنة 1566م والدولة العلية في إبان مجدها وأوج عظمتها وكانت ممالكها تحد شرقا بالحدود الهندية وغربا بالمحيط الأطلنطي وكانت أوروبا

ترهب سطوته وتخشى قوته. فخلفه من بعده ملوك لم يتعقبوا خطواته ولم ينهجوا منهجه لاسيما وقد تألبت عليها الدول الأوروبية واختلفت عليها الفتن الداخلية. فبدأت في الانحطاط وانسلخت منها أجزاء كثيرة. وكانت أحيانا تنحط إلى أن تولى الخلافة السلطان سليم الثالث سنة 1789م، والبلاد في اختلال والأحكام في ضعف والإنكشارية قابضون على زمام الأمور يولون من شاؤوا من السلاطين، ويخلعون من شاؤوا ويقتلون من لم يسر وفق أهوائهم وأغراضهم، والبلاد في فوضى كادت تمزق شملها. فهاجه حب الإصلاح وصرح بميله إلى تنظيم الجند على النمط الحديث وتسليحهم بالأسلحة الحديثة الاختراع فلم يوافق ذلك الإنكشارية فبطشوا به فمات والإصلاح في مهده.{**وانتبه لمديح الكاتب فإن السلطان سليم هو أول من جاهر بالفسوق وبعملية التغريب وخلع بفتوى من المفتي**}.

على أن الفكرة رسخت في أذهان العثمانيين فتلقاها السلطان محمود وعمد إلى الإصلاح من الوجهة الإدارية والعسكرية فبدد جند الإنكشارية واحل محلهم جيشا منظما وأخذ يبعث بمنشورات الإصلاح إلى الولاة والحكام ولكنه توفي ولم يتمم من فروع الإصلاح إلا تنظيم الجند تنظيما غير تام. وكانت فكرة الإصلاح قد سرت بين فئة من رجال الدولة فقاموا يبثونها على عهد السلطان عبد المجيد والسلطان عبد العزيز وأعظمهم شأنا وأعلاهم يدا مصطفى رشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا ، فلما توفي السلطان محمود وخلفه السلطان عبد المجيد. نشر خط الكلخانة المشهور سنة 1839م أي في 26 شعبان سنة 1255 هجرية. فكانت له ضجة اهتزت لها أوروبا **وأخذ رجال الدولة منذ إصدار ذلك الخط الهمايوني ينظمون القوانين الخاصة لكل فرع من فروع القضاء**. ثم تألفت لجنة جمعت أعاظم الأساتذة العثمانيين فألفوا المجلة الشرعية التي صدرت الإرادة الشاهانية من السلطان عبد العزيز عام 1289 هجرية بالسير حسب نصوصها وسن قانون الأراضي سنة 1274 هجرية وقانون الطابُو سنة 1275 هجرية وقانون الجزاء سنة 1274 هـ **وكل هذه القوانين مقتبسة من القوانين الفرنسية مع مراعاة نصوص الشريعة الإسلامية (!!)**

ثم وضع قانون التابعية (الجنسية) العثمانية وتنظيم المحاكم الشرعية ! والمحاكم النظامية والمحاكم التجارية **{وهي قوانين وضعية}** ونظامات الإدارة الملكية، ونظام إدارة الولايات، ونظام شورى الدولة. ووضعوا نظاما للمعارف، ونظاما للمطبوعات، ونظامات أخرى للمطابع والطبع وحقوق التأليف والترجمة. ونظامات للرسومات وآخر للمعادن وغيره للطرق والمعابر وغير ذلك مما يقتضيه سير الحضارة ويلائم حالة الأمة. وبالجملة فإنهم لم يتركوا شيئا من لوازم إدارة الدولة حتى دونوا له قانونا. فمجموع هذه القوانين والنظامات كان معروفا في بلاد الدولة العلية **بالدستور**.

{وبالطبع فقد كانت مبارزة الله تعالى بالحرب بالتشريع من دونه أول بوادر البوار والخسران وتألب الأعداء ، فإنه :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت:46)**}**

ومع ذلك فكان الحكم مطلقا وإرادة السلطان فوق كل قانون. وفي المدة الوجيزة التي جلس فيها السلطان مراد على سرير الملك كان **مدحت باشا** وحزبه الحر قد انتهى من إعداد القانون الأساسي وترتيب نظام مجلس المبعوثين .{ومدحت باشا هذا هو رأس الأفعى الماسونية كما سيأتي تعريفه وبيانه }.

القانون الأساسي والسلطان عبد الحميد :

خلع السلطان مراد سنة 1293 هجرية الموافق 1876م وجلس السلطان عبد الحميد على عرش الخلافة وكان قد وعد رئيس الأحرار مدحت باشا قبل جلوسه على العرش بمنح القانون الأساسي وإمتاع الأمة العثمانية بالحرية. إلا أن عبد الحميد أظهر حين جلوسه علامات دلت على إخلافه وعده. فمن ذلك أنه جمع أعداء الأحرار وأضداد القانون الأساسي وعينهم في السراي لتقوية مركزه. مع أنه وعد مدحت باشا بتعيين الشاعر

العثماني الكبير نامق كمال بك زعيم الانقلاب. وضياء باشا الأديب السياسي الشهير مشيرا فأخلف وعده. كما أنه كان يسعى جهده لاستمالة الرأي العام إليه فكان يخدع الأهالي. إلا أن الأحرار لم ينخدعوا واستعدوا للمناضلة في سبيل القانون الأساسي. وكانت الدولة في ذلك الوقت تحارب الصرب فهزمتها واستولى العثمانيون على قلعة اكسناج ووضعت شروطا قاسية عليهم. ولكن هذه الدول رفضت هذه الشروط وطلبت من الباب العالي إبقاء الصرب على ما كانت عليه قبل الحرب ومنح البوسنة والهرسك التي كانت ثائرة أيضا إدارة مستقلة مع منح البلغار مثلها. فكان ذلك سببا لطمع الصربيين فقرروا محاربة الدولة ونظم جيوشهم المهندسون الروس.

ولكن كان الانهزام نصيبهم فاستولى العثمانيون على الكسناج وبلغراد وساروا نحو العاصمة بلغراد فاستنجد أمير الصرب بروسيا فأمر قيصرها سفيره في الآستانة بتقديم بلاغ شديد اللهجة إلى الباب العالي. وقرر بعد ذلك عقد مؤتمر في الآستانة للنظر في أمر البلقان. وبالجملة فقد كان مركز الدولة العلية حرجا للغاية لأن أوروبا كلها تألبت عليها وكان يشتم من بلاغ سفير روسيا رائحة الحرب. فقرر الوكلاء إذ ذاك منح القانون الأساسي للتخلص من هذه الغوائل. واقتنع السلطان عبد الحميد بوجوب تنفيذه لأنه كان من المستحيل قبول طلبات أوروبا. ولاتقاء الأخطار التي تنجم من رفض تلك الطلبات كان الواجب إجراء بعض الإصلاح الذي لا تتمكن أوروبا من انتقاده هو تنفيذ القانون الأساسي ..

{ وانتبه لضغوط أوربا لفرض الماسون، والدستور الوضعي على الدولة العثمانية، إذ يتابع فريد المحامي فيقول :}

وفي ذلك الوقت تعين مدحت باشا صدرا أعظما، وذلك لأن الدول الأوروبية كلها تثق به، لعلمها أنه رئيس الأحرار وواضع القانون الأساسي، وقرر السلطان عبد الحميد تعيين مدحت باشا كي ينظر في مسألة (المؤتمر الأوروبي) الذي قررت الدول عقده في الآستانة. فكان أول ما قام به مدحت باشا هو إنهاء المنازعات بين الدولة وبين

الصرب والجبل الأسود وبلغاريا. وفي 24 ديسمبر 1877م اجتمع الوكلاء والعلماء والأمراء وغيرهم في الباب العالي ثم أقبل مدحت باشا وقرأ الإرادة الشاهانية التي منحت الأمة العثمانية الدستور والحرية..

على أنه لم يكد ينتظم مجلس المبعوثين وينظر في شؤون الدولة حتى صدرت الإرادة الشاهانية بفضه فتقوضت كل أركان ذلك البناء وابتليت الأمة بطور استبداد جديد لم تعهد نظيره حتى في عصور الظلمات. هدم السلطان عبد الحميد ما بناه الأحرار ولكن رغما من ذلك لم تمت الفكرة في رؤوس العثمانيين فإن هذا الجسم على قوته الكامنة بل على ضعفه الظاهر لم يقو على تحمل أذى الحكومة الحميدية بما انتابته من ضروب الظلم لاسيما وألوية الحكومات الدستورية قد انتشرت من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق وكواكب الحرية قد سطعت في كل مكان.

فبدأ الأحرار يعملون ليل نهار حتى انتصروا ذلك الانتصار الباهر عام 1908م فنالت الأمة العثمانية الدستور بجهاد جيشها الباسل وانتشرت الفكرة الوطنية من عهد **مدحت باشا** وساعد على انتشارها قصائد الشاعر العظيم **نامق كمال بك** الذي أدركه الموت في سجن ماغوسه. وألف **نيازي بك** أول عصابة في رسنة، وسار على إثره **أنور بك** و**رائف بك**، و**حسن بك**، و**صلاح الدين بك**.

أما **إدارة الحركة فكانت في سلانيك والجمعية العمومية للاتحاد والترقي في باريس** ، وكان الجميع يجتهدون لنشر الأفكار الحرة والمبادئ الدستورية. ومما ساعدهم على نشر أفكارهم أنه لم يكن بينهم خائن فقويت حركتهم واتسعت حتى أصبح لا يمكن بقاؤها تحت طي الخفاء. وكانت لجنة الاتحاد والترقي وقفت مقدما على القوى التي يمكنها أن ترتكن عليها فوجدتها كافية وهذه القوى مؤلفة من الفيلقين الثاني والثالث المعسكرين في مناستر واسكوب وأدرنه وأزمير. ومن الفيلق الرابع المعسكر في أرض روم. فكان من المستحيل على الحكومة الحميدية إرسال الفيلق الأول المعسكر في الآستانة لمحاربة الدستوريين لأنه لا يمكن تجريد العاصمة من الجند. ومع ذلك فكان أغلب الضباط منضمين إلى الدستوريين. وكان

جنود الفيلق الثاني والثالث أكثر من غيرهما فبدأ الدستوريون يؤلفون عصابات وطنية لمقاومة الحكومة إذا حاولت عرقلة مساعيهم فقامت عصابة نيازي بك ثم ظهرت عصابة أنور بك ورائف بك وحسن بك وغيرهم.

وانتهى الدستوريون من وضع الخطة في أواخر شهر يونيو سنة 1908م فأرسلت الحكومة الحميدية شمسي باشا لاقتفاء أثر عصابة نيازي بك، ولكنه قتل قبل أن يبدأ في مهمته، وأرسلت أيضا من أزمير ثلاثين فرقة من فرق الرديف فانضمت إلى الدستوريين وقوت صفوفهم وفي يوم 21 و 22 و 23 يوليو أرسل الدستوريون التلغرافات إلى الصدر الأعظم من سالونيك ومناستر واسكوب وسيريس، هددوا فيها الآستانة بالزحف عليها إذا لم يعلن الدستور، فلما وصلت هذه التلغرافات إلى السلطان عبد الحميد أصدر الإرادة الشاهانية بمنح الدستور والقانون الأساسي.

الحادثة الإرتجاعية وخلع عبد الحميد:

تفرق شمل المستبدين منذ إعلان الدستور وازداد النفور بينهم وبين لجنة الاتحاد والترقي فأخذوا يفكرون في اجتثاث أصول الفساد.

فشجعوا أولا الجرائد على الكتابة ضد الجمعية ثم قامت حامية الآستانة بإيعاز من أركان السراي ولخصوا مطالبهم في شكل ديني كي ينضم إليهم أهالي الآستانة وها هي مطالبهم:

- 1- إحياء الشريعة.
- 2 - عزل الصدر الأعظم وناظري الحربية والبحرية.
- 3 - طرد أحمد رضا بك وحسين جاهد بك وجاويد بك ورحمي بك وطلعت وإسماعيل حقي بك ...الخ من المجلس.
- 4 - عزل محمود مختار باشا لأنه لم يشترك معهم.

- 5 - العفو عنهم.

فعقد مجلس المبعوثين اجتماعا فوق العادة ومع أن عدد الأعضاء لم يتجاوز الخمسين فإنهم قرروا إجابة مطالب الثوار وانتخبوا وفدا منهم ليبلغ السلطان قرارهم فتعين إذ ذاك توفيق باشا صدرا أعظم وادهم باشا ناظرا للحربية وقرر العفو عن الجنود فبدأ أولئك يطلقون البنادق احتفالا وكان يبلغ عدد أولئك ثلاثين ألفا واجتمع المجلس مرة أخرى بعدها فقرر قبول استقالة الرئيس أحمد رضا بك وانقلبت لهجة الجرائد انقلابا إجباريا فباتت تتكلم عن السلطان عبد الحميد كما كانت تتكلم عنه أيام الاستبداد وكانت الحالة كذلك في الآستانة. فوردت الأنباء بمجيء الجنود من (الروم ايلي) لحماية الدستور ومجلس المبعوثين. ثم حاصر جيش الحرية الآستانة فأوفد المبعوثون وفدا لمقابلته. ودخل الجيش تحت قيادة محمود شوكت باشا الآستانة وحاصر يلديز وحدثت هناك موقعة كبيرة انتهت بتسليم حامية يلديز ولكن السلطان عبد الحميد استمر على المقاومة فقرر جيش الحرية أن يحمل الحملة الأخيرة فأطلقت القنابل على حامية الباب العالي والنادي العسكري واستولت عليهما ثم قبضت على الكثيرين من أنصار الحكم القديم الذين أثاروا الفتن ومن بينهم مراد بك الداغستاني . واعدم الجواسيس رميا بالرصاص. ويقدر عدد القتلى 1200 قتيل وحاصرت الجنود الدستورية بعدها قشلاقات (معسكرات) اسكودار فاستولت عليها ولم يبق إذ ذاك أي خطر على القانون الأساسي فعاد أعضاء البرلمان إلى الآستانة واجتمعت الجمعية العمومية لتتداول في أمر السلطان عبد الحميد. وكانت النتيجة عزل السلطان عبد الحميد وتولية السلطان رشاد مكانه.

وتم يوم 27 أبريل سنة 1909م تتويج السلطان رشاد باسم السلطان مُحَمَّد الخامس وبالجملة فإن أنصار الاستبداد أثاروا فتنتهم الأخيرة فوقع الدستور في أزمة شديدة وتشتت شمل عشاقه وحماته. وترقب الملأ أن يعيد السلطان عبد الحميد ما فعله مع الدستور الأول. ولكن كانت الروح الدستورية قد قويت في قلوب العثمانيين وارتكزت على قوة الجند

فاحتمل أنصار الدستور تلك الضربة بالصبر والثبات وتجدد النزاع الطبيعي بين الاستبداد والحرية وانتهى بخلع السلطان عبد الحميد.

(...) إلا أن عبد الحميد الذي طبع على الاستبداد لم يرقه أن يرى أمته متمتعة بالحرية راقية أوج الكمالات منظمة أمورها بنفسها مقيمة العدل فسولت له نفسه إحداث تلك الفتنة الارتجاعية لتقويض صروح الإدارة الدستورية ولولا أن أدرك الآستانة في ذلك الوقت بطل الحرية وقائد جيش الفدائيين محمود شوكت باشا. وبطلا الحرية نيازي بك وأنور بك لتم له ما أراده و لذهبت أتعاب **حزب الاتحاد والترقي الذي جاهد في سبيل الحرية ثلاثين عاما** أدراج الرياح.

واجتمع المجلس العمومي اجتماعا سريا وخلع عبد الحميد بموجب فتوى من شيخ الإسلام هذا نصها : (إذا اعتاد زيد الذي هو إمام المسلمين أن يرفع من الكتب الشرعية بعض المسائل المهمة الشرعية وأن يمنع بعض هذه الكتب ويمزق بعضها ويحرق بعضها وأن يبذر ويسرف في بيت المال ويتصرف فيه بغير مسوغ شرعي وأن يقتل الرعية ويحبسهم وينفيهم و يغربهم بغير سبب شرعي. وسائر أنواع المظالم ثم ادعى أنه تاب وعاهد الله وحلف أنه يصلح حاله ثم حنث وأحدث فتنة عظيمة جعلت أمور المسلمين كلها مختلة. وأصر على المقاتلة وتمكن منعة المسلمين من إزالة تغلب زيد المذكور ووردت أخبار متوالية من جوانب بلاد المسلمين أنهم يعتبرونه مخلوعا وأصبح بقاؤه محقق الضرر وزواله محتمل الصلاح فهل يجب أحد الأمرين خلعه أو تكليفه بالتنازل عن الإمامة والسلطنة على حسب ما يختاره أهل الحل والعقد وأولي الأمر من هذين الوجهين. الجواب: يجب. كتبه الفقير السيد مُحَّد ضياء الدين عفى عنه).

فلما قرئت هذه الفتوى الجليلة على الأعيان والمبعوثين سألهم سعيد باشا رئيس الأعيان الذي كان يرأس الجلسة أتختارون خلعه أم تكليفه بالتنازل. فأجابوا بصوت واحد الخلع ..الخلع .

وهذه ترجمة قرار هذا المجلس العمومي المؤلف من الأعيان والمبعوثين: يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر سنة 1327 هـ و 14 نيسان سنة 1325 هـ / 27 أبريل 1909م. (قرئت الفتوى الشرعية الموقع عليها بتوقيع شيخ الإسلام مُحَّد ضياء الدين أفندي في المجلس العمومي المؤلف من المبعوثين والأعيان. ورجح بالاتفاق وجه الخلع الذي هو أحد الوجهين المخير بينهما. فأسقط السلطان عبد الحميد خان من الخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية. وأصعد ولي العهد مُحَّد رشاد أفندي باسم السلطان مُحَّد خان الخامس إلى مقام الخلافة والسلطنة.

[انتهى كلام فريد بك . وينتهي هنا التلخيص من كتابه بتصرف كبير.]

ولكن الحقيقة كانت غير ذلك الذي زعمه محامي الاتحاد والترقي هذا، فقد كانت باختصار .. أن:

اليهود ومسألة فلسطين وتناهب الدول الاستعمارية للعالم الإسلامي كانت السبب الأساسي وراء خلع السلطان عبد الحميد :

فقد كتب الشيخ عبد الله عزام يقول في كتابه الهام جدا: (خط التحول التاريخي):

إن معظم الأحداث الكبرى التي جرت في المنطقة الإسلامية – العربية خاصة –كانت ترمي إلى الهدف الكبير الذي وضعه هرتزل ومن ورائه اليهود نصب أعينهم وهو الوصول إلى أرض الميعاد كان أمام اليهود عقبة كأداء لا يمكن تجاوزها وهي الدولة العثمانية وعلى رأسها السلطان عبد الحميد الثاني الذي حكم بين (1876-1909م) حاول اليهود أولا إغراء السلطان الصالح عبد الحميد، فالسلطان عبد الحميد وصل إلى الخلافة في وقت كادت الماسونية تأخذ بخناق الدولة حيث تمكن مدحت باشا – أبو الأحرار كما يسمونه – وبعبارة أدق في نظرنا " أبو الماسونية آنذاك " أقول تمكن أن يخلع خليفتين ويقتل

السلطان عبد العزيز عم السلطان عبد الحميد، واشترط على السلطان عبد الحميد قبل أن يأتي إلى الحكم أن يعلن الدستور "أي الدستور العلماني الغربي الذي يتساوى فيه اليهود والنصارى مع المسلمين – وكان السلطان عبد الحميد شخصية داهية ذكية معتزة بربها فقبل. **وبعد أن وصل إلى الحكم ألقى القبض على مدحت باشا وأودعه السجن في الطائف وأخيرا قتل مدحت في السجن بطريقة ذكية مما أثار سخط العالم الذي تحركه الماسونية على السلطان عبد الحميد، إلا أن تلاميذ مدحت واصلوا التخطيط للانتقام من السلطان عبد الحميد.**

ولنرجع إلى هرتزل الذي توجه إثر انتهاء مؤتمر بال سنة (1897م) لمقابلة السلطان عبد الحميد وأخذ معه حاخام القسطنطينية (موسى ليفي) وعرضوا على السلطان عروضا منها:

1- إنشاء أسطول عثماني.
2- دعم سياسة العثمانيين في العالم الخارجي.
3- مساعدة اليهود للسلطان في تحسين أوضاعه المالية.
4- إنشاء جامعة عثمانية في القدس.

قال هرتزل : " مثلا لو رضي مولانا وباع لنا الأراضي التي ليس لها مالكون في فلسطين بالثمن الذي يقدره" فغضب السلطان وقال: (إن أراضي الوطن لا تباع ، إن البلاد التي امتلكت بالدماء لا تباع إلا بالثمن نفسه).

ولم ييأس هرتزل وقابل السلطان مرة ثانية (1901م) وفي هذه المرة عرضوا على السلطان نفسه (150) مائة وخمسين مليونا من الجنيهات الذهبية الإنجليزية فقال: (إنكم لو دفعتم ملء الأرض ذهبا – فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة، فلن أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين).

ولقد كانت المقابلة هذه المرة مع (قرة صو) المحامي اليهودي الماسوني الذي أشرف على محفل سالونيك.

ولقد نقلت بعض المصادر أن السلطان صاح في وجه هرتزل (أخرج من وجهي يا سافل) وصاح بالحاجب الذي أدخله قائلا (أما كنت تعلم ما يريده هذا الخنزير مني).

فطار هرتزل مع قرة صو إلى إيطاليا وأرسل (قرة صو) برقية إلى السلطان.

(ستدفع الثمن هذه المقابلة من نفسك وعرشك).

يقول هرتزل في مذكراته : (**ونصحني السلطان عبد الحميد بأن لا أتخذ أية خطوة أخرى في هذا السبيل لأنه لا يستطيع أن يتخلى عن أي شبر واحد من أرض فلسطين إذ هي ليست ملكا له، بل هي لأمته الإسلامية التي قاتلت من أجلها وروت التربة بدماء أبنائها ... وقال عبد الحميد: إن عمل المبضع في بدني لا أهون علي من أن أرى فلسطين تقتطع من أمبرطوريتي. ثم قال: وفر نقودك يا هرتزل فعندما يذهب عبد الحميد ستأخذون فلسطين مجانا**).

وبعد هذا صمم اليهود على الإطاحة بعبد الحميد : وفي سنة (1904م) فجروا عربة أمام المسجد الذي يصلي فيه السلطان صلاة الجمعة ونجاه الله من الموت وقتل كثير من الناس.

وتكالب الماسون على إقصائه، ودفعت الماسونية بعملائها إلى أن تصدروا المناصب العليا في الدولة أمثال طلعت باشا، أنور باشا – وزير الحربية – أرستيدي باشا – رومي أصبح وزيرا للنافعة، جمال باشا – حاكم الشام – مصطفى كما باشا قائد جبهة الشرق العربي في الحرب العالمية الأولى جاويد باشا (دافيد باشا) – وزير المالية.

حسين جاهد يالشين أحد أعضاء لجنة التوفيق الثلاثة (أمريكي وفرنسي وتركي) بين العرب واليهود وأصبح السلطان يجد نفسه يوما بعد يوم محاطا برجال اشترتهم الماسونية من خلال جمعية (الاتحاد والترقي) وأصبحت قبضته تخف تدريجيا حتى استطاعوا أن يجبروه على إعلان الدستور. فأنشأ مجلس المبعوثان (مجلس النواب) الذي دخله اليهودي والنصراني والمسلم وجاء (قرة صو) إلى مجلس المبعوثان.

وكان إعلان الدستور نصرا للنصارى واليهود في كل الأرض حتى أهدى **جو رجي زيدان النصراني – دار الهلال – كتابه الإنقلاب العثماني إلى الأبطال !!؟** الذين أعلنوا الدستور سنة (1908م). ثم استطاع الماسون أن يحركوا الجيش بقيادة محمود شوكت – العربي – وللأسف – واجتمع مجلس النواب لينتزعوا قرارا بالإطاحة بالسلطان. ولقد كانت أصابع ناحوم حاييم (حاخام القسطنطينية) بارزة في الأمر، وقدم كتاب الخلع إلى السلطان عبد الحميد ثلاثة.

1- قره صو. 2-أستيدي باشا. 3- عارف حكمت الذي كانت أمه خادمة في قصر السلطان فأخذ السلطان ابنها هذا – عارف – وأدخله في البحرية حتى أصبح ياورا في البحرية.

كان إقصاء السلطان عبد الحميد عن الخلافة في نيسان سنة (1909م) وكانت هذه أكبر طعنة وجهت للإسلام، وفي تلك الليلة التي نزل فيها السلطان عبد الحميد عن سدة الحكم نستطيع القول بأن:

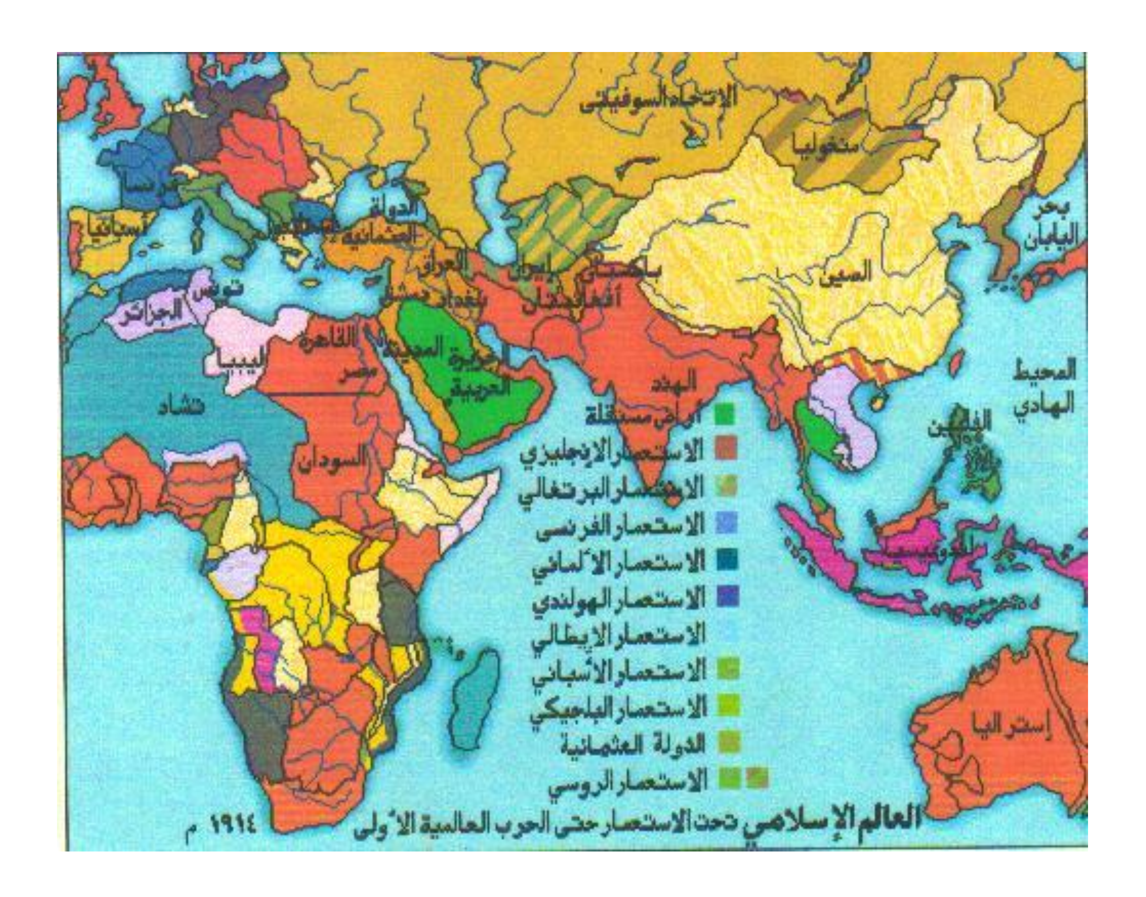
الإسلام الفعلي أزيل من الوجود والشهود وسقطت فلسطين – حقيقية – في يد اليهود.

يقول أنور باشا – أحد أقطاب الماسونية والإنقلاب على السلطان عبد الحميد مخاطبا جمال باشا: أتعرف يا جمال ما هو ذنبنا؟

نحن لم نعرف السلطان عبد الحميد فأصبحنا آله في يد الصهيونية واشترتنا الماسونية العالمية ، نحن بذلنا جهودنا للصهيونية فهذا ذنبنا الحقيقي.

ويقول برنارد لويس: (لقد تعاون الإخوة الماسون واليهود سرا على إزالة السلطان عبد الحميد لأنه كان معارضا قويا لليهود. إذ رفض بشدة إعطاء أي شبر أرض لليهود في فلسطين)[4].

[4] (الذخائر العظام / ص : 921)



تركيا بعد السلطان عبد الحميد:

سقط السلطان المظلوم عبد الحميد بفعل الماسونية اليهودية، وأصبحت تركيا تسير من قبل (جمعية تركيا الفتاة ، وجمعية الاتحاد والترقي) التي أضحت لعبة بيد الماسونية، فقد كانت القومية التركية التي يدعو إليها حزب الاتحاد والترقي بيد اليهود.

وهكذا توالت النكبات على تركيا، الخلافة ضعيفة تلعب بها جمعية الاتحاد والترقي – الدعاة القوميون – وهم علمانيون لا متدينون، والمحافل الماسونية تنتشر انتشار النار في الهشيم، والديون تتراكم، ومن وراء ذلك كله الأصابع اليهودية التي صممت الإطاحة بتركيا لتصل إلى أرض الميعاد.

▪ (35) – السلطان مُحَّد رشاد خان الخامس (1909– 1924م):

تمت تولية السلطان رشاد وتم يوم 27 أبريل سنة 1909م وتوج السلطان رشاد باسم السلطان مُحَّد الخامس.

وكان قد قضى أغلب عمره في قصر زنجيرلي كوي. إلى حين حدوث الانقلاب العثماني على السلطان عبد الحميد.

وقد بقي السلطان رشاد حبيسا في قصره فيما كان العسكريون والسياسيون من جمعية الاتحاد والترقي يلعبون بمصير الخلافة.

وقد ورط هؤلاء المجرمون الخلافة العثمانية في عهده بدخول الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء. وكان ولي عهده الأمير وحيد الدين. وقد توفي السلطان مُحَّد الخامس قبل نهاية الحرب سنة 1918م.



- **(36) – السلطان مُحَمَّد السادس (وحيد الدين) (1918–1924م):**

وقد خلف السلطان مُحَمَّد الخامس ، وبقي كذلك حبيس قصره ، فيما كان الحلفاء يسيطرون على مقدرات الخلافة ويقطعون أوصالها إربا بإشراف الإنكليز ، ومؤامرات اليهود ، وتنفيذ الماسون. حيث أبرزت المؤامرات كما سنرى، **مصطفى كمال أتاتورك**. وخرجت تركيا محطمة من الحرب العالمية الأولى وتقاسمت الدول الكبرى ورثة الرجل المريض! كما كانوا يطلقون على تركيا، واستراحت أوروبا من هذا الغول الرهيب الذي كان يقض مضاجعها لقرون طويلة.

وجاء مصطفى كمال بعد هزيمته في جبهته في الشرق العربي وبرزت شخصيته كقائد عسكري من خلال بعض الإشتباكات العسكرية المسرحية مع اليونان. وانطلقت الأقلام لتبرزه.

وفعلا رتبت لدول الكبرى (ولاسيما بريطانيا) مع مصطفى كمال واشترطت عليه شروطا في معاهدة لوان (1922)م[5] حيث كان يمثله فيها عصمت إينونو. فاشترط عليه كرزون – وزير الخارجية بريطانيا – آنذاك – شروطا أربعة وهي:

1- إسقاط الخلافة في تركيا.
2- سحق أية محاولة لإعادة الخلافة.
3- محاربة الشعائر الإسلامية.
4- اتخاذ قانون غربي للحياة في تركيا بدل الشريعة الإسلامية.

وقبل مصطفى كمال بهذه الشروط وانسحبت دول الحلفاء من تركيا وعندما وقف مجلس العموم البريطاني في وجه كرزون الذي وافق على سحب جيوش الحلفاء من تركيا ، قائلين ستعود تركيا مرة أخرى لاحتلال أوروبا فقال: اطمئنوا.

[5] اسمها معاهدة لوزان وليس لوان وقد تكرر نفس هذا الخطأ في التسمية أيضا في كتاب الشيخ عبد الله عزام رحمه الله في كتابه السرطان الأحمر، وهناك تضارب بشأن تاريخ انعقاد هذه المعاهدة فبعض المؤرخين ذكروا انعقادها بتاريخ 1340 هـ / 1923م وآخرين ذكروا انعقادها بتاريخ 1922 كما نقل الشيخ أبو مصعب السوري، وكانت البنود الأربع بحسب ما نقل محمد فريد بك المحامي – تاريخ الدولة العثمانية ص 750. كالتالي:
1- إسقاط الخلافة الإسلامية إلغاءً تامًا.
2- إعلان علمانية الدولة وقطع كل صلة لها بالإسلام.
3- طرد الخليفة وجميع آل عثمان خارج الحدود ومصادرة أموالهم وأملاكهم.
4- اتخاذ دستور مدني غربي بدلا من الدستور العثماني المستمد من الشريعة الإسلامية. (بيت المقدس)

(لن تقوم لتركيا قائمة بعد أن جردناها من الإسلام والخلافة).

وتمسح مصطفى كمال أولا بمسوح الرهبان، وتظهر صورة مصطفى كمال وهو يلبس ثياب العلماء في عيد الأضحى ويحمل السبحة الطويلة ويحث الناس على الشعائر الإسلام ومرت الأيام وجمع مصطفى كمال العلماء واستشارهم بفصل الدين عن الدولة (كالكنيسة) واستنكر العلماء هذه الخطة فطبق مسحا بالنواصي والأعناق وقتل من العلماء مقتلة كبيرة. وأعلن إسقاط الخلافة سنة (1924م) وناح الناس عليها، وتداعى الناس لينصبوا لهم خليفة ولو كان الخليفة هو ملك مصر – ومع هذا رفضت بريطانيا – أن يعود هذا الإسم المجرد صورة نظرية مصطنعة. وبذلك كان السلطان (مُحَمَّد السادس) آخر الخلفاء العثمانيين وآخر من سمي خليفة في تاريخ الإسلام والمسلمين حتى الآن .. حيث لم تقم وإلى يومنا هذا خلافة إسلامية. وهكذا وصلت جمعية الاتحاد والترقي إلى الحكم واستراحت من الغول الرهيب الذي طالما أقض مضجعها وأرق أجفانها (عبد الحميد) وأصبحت تركيا الإسلامية دمية في يد اليهودية تحركها كيف شاءت وأنى أرادت. وأصبحت مقاطعاتها حمى مستباحا للذئاب الغربية من أعداء الإسلام ، وأصبح هذه المارد الجبار (الدولة العثمانية) يؤكل شلوا شلوا.

فابتلع الغرب أولا دول البلقان النمسا والمجر والبوسنة والهرسك في تشرين الأول سنة (1908م) (أي بعد تسلم الاتحاد والترقي زمام الأمور). وبعد إعلان الدستور بشهرين فقط. **وانفصلت بلغاريا، واعتدت إيطاليا على ليبيا في خريف سنة (1911م) ثم نشبت الحرب البلقانية سنة (1912م).** وفي هذه السنوات القليلة فقدت الدولة العثمانية جميع ولاياتها في أوربا (ماعدا تراقيا الشرقية). وفقدت ذلك الجزء من ليبيا الذي يتألف من ولايتي طرابلس الغرب وبني غازي – وقد انسحبت تركيا من ليبيا بمؤامرة خيانة مكشوفة لا تخفي على كل ذي عينين، ولا يفوتنا أن نذكر أن اليهود الإيطاليين هم المحافل الماسونية في سالونيك، وفي بيوت هؤلاء اليهود الإيطاليين كانت تعقد اجتماعات جمعية

الاتحاد والترقي. فليس كبيرا أن تعطي جمعية الاتحاد والترقي ليبيا هدية متواضعة إلى إيطاليا كرد جميل على صنيعهم السابق الكبير.

{ولا أنسى أن أضيف على سرد الشيخ الشهيد خبر دعوة حكومة القذافي لرئيس الكنيست وهو يهودي ليبي لزيارة ليبيا بدعوة رسمية في – نوفمبر 2004م – بعد أن فتح أتاتورك ليبيا (القذافي) أبوابها مشرعة للأمريكان والأوربيين واليهود، وسلمهم سلاحها الثقيل طواعية على ظهر السفن إلى المعارض الأمريكية قبل ذلك بعدة أشهر !!}.

وفضلا عن هذه الخسارة **فقدت كريت**، وكانت ميزانية تركيا قد ناءت بأعباء النفقات العسكرية.

وبدأت محاربة الشعائر في تركيا، فمنع الأذان باللغة العربية، ومنع اللباس الشرعي، ومزق رجال الأمن لدى مصطفى كمال ثياب النساء في الشوارع، وحرم غطاء الرأس بالنسبة للنساء، ومنعت الكوفية والعقال (لأن العرب يلبسونها) بالنسبة للرجال، وفرض لبس القبعة بالنسبة للرجال ومنع قراءة القرآن بالعربية. وأمر بترجمته إلى التركية. وحول كمال مسجد أيا صوفيا إلى متحف، وأقفرت المساجد وخلت المحاريب ، وصوحت المآذن، وافتقد الناس الشباب من طريق الإسلام، وأصبح اللقاء على كتاب الله في المسجد جريمة يحاكم عليها القانون، واختلف من المساجد حلقات العلم ودروس الفقه، وتوارى العلماء أمامه تحت التراب قتلا أو في بيوتهم. وتقدم السفهاء، وتكلمت الرويبضات كما جاء في الحديث:

*** (إن بين يدي الدجال سنين خداعة ، يخون فيها الأمين ويؤتمن فيها الخائن ، ويصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق وتفنى الوعول ، وتظهر التحوت ، قيل يا رسول الله ما الوعول وما التحوت؟ قال: الوعول: أشراف الناس والتحوت: الذين كانوا تحت الأقدام لا يؤبه لهم).**

* وعن أبي هريرة مرفوعا: (**لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ، ويخون الأمين ، ويؤمن الخائن ، وتهلك الوعول وتظهر التحوت، قالوا يا رسول الله وما التحوت والوعول؟ قال: الوعول وجوه الناس وأشرافهم والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس ليس يعلم بهم**).

* وفي الحديث الآخر الصحيح الذي رواه الطبراني عن عوف بن مالك مرفوعا:

(**أخاف عليكم ستا: إمارة السفهاء ، وسفك الدماء ، وبيع الحكم. وقطيعة الرحم ، ونشوا يتخذون القرآن مزامير ، وكثرة الشرط**).

وبقى مصطفى كمال يواصل الحرب على الإسلام حتى نهاية حياته وتركيا تتحطم في جميع الميادين وتتراجع في كل مضمار.

أهم الأسباب الداخلية المباشرة التي أدت إلى سقوط الخلافة

أولا : انتشار الدعوات القومية:

وخاصة دعوة القومية التركية (الطورانية) ، والقومية العربية، وأشراف الماسون واليهود على إحيائها وإذكاء نار التعصب والفرقة بين أتباع القوميتين الرئيسيتين المكونتين للدولة العثمانية.

القومية التركية (الطورانية):

لقد بذرت البذور الأولى للقومية التركية في داخل الأكاديمية العسكرية في إسطنبول مع الأساتذة العسكريين الألمان الذين وفدوا إلى الكلية ليدربوا الأتراك الذين كانوا بحاجة إلى جيش قوي مدرب على وسائل القوة الحديثة وأساليب القتال العسكرية ، خاصة وأن تركيا تقاتل العالم بأسره يرميها عن قوس واحدة، فقد وصلت بعثة عسكرية ألمانية سنة (1883م) يرأسها الكولونيل (فون درجولسن) وبقي يعمل قرابة ثلاث عشرة سنة تمت خلالها بذرة القومية.

وأما العامل الثاني لنشوء القومية الطورانية هو: هجرة اللاجئين المجريين والبولنديين إلى تركيا بعد فشل ثورتهم سنة (1848م) ، واعتنق هؤلاء الإسلام وأصبحوا من الطبقة المتنفذة في الدولة ، ومن هؤلاء (قسطنطين بورزيكي) ، وقد سمى نفسه بعد ذلك مصطفى جلال الدين باشا ، فلقد كان هذا الرجل هو رأس الأفعى القومية التي نقلت سمها إلى عقول ونفوس الأتراك ، يقول برنارد لويس:

(ولقد عمل يورزيسكي على نقل القومية البولونية ووضعها في قالب تركي ، وساعده على هذا العمل ما عرضه من أعمال المستشرقين الغربيين الباحثين في الشئون التركية ، وكان لها تأثيرا هام في تقدير التاريخ التركي القديم ، والاعتقاد بالهوية المميزة).

ولا يفوتنا أن نعود فنذكر بأن جمعية الاتحاد والترقي كلهم ماسون (يهودية عالمية)، وأن يهود سالونيك هم اليد المحركة لهذه الجمعية وهم داخلون فيها. ونعود مرة أخرى فنذكر بكلام ستون وتسون: (**إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الاتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية**) فأطاحت بعبد الحميد وبتركيا وبالإسلام.

ولقد كان لهذه الدعوة إلى القومية التركية أثر سيء انعكس في نفوس الشعوب الإسلامية التي تخضع للسيادة العثمانية، وبدؤوا يطالبون بالاستقلال ويشكلون الجمعيات السرية لمحاربة تركيا، خاصة بعد السلوك المشين الغريب الذي سارت عليه جمعية الاتحاد والترقي، وعلى رأس هذه الشعوب العرب الذين اتخذوا من هذا السلوك مبررا للوقوف بجانب بريطانية ضد الأتراك في الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين، وكان لها من النتائج الوخيمة على العالم الإسلامي.

فقد كتب ستون وستون يقول:

(إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الاتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية ، فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضوا واحد من أصل تركي صاف ، فأنور باشا هو ابن رجل بولندي مرتد وكان جاويد من الطائفة اليهودية المعروفة (دونمة) ، وكراسو من اليهود الأسبان القاطنين في مدينة سالونيك ، وكان طلعت باشا من أصل غجري اعتنق الإسلام دينا ، وأما أحمد رضا أحد زعمائهم في تلك الفترة فكان نصفه غجريا إلى جانب كونه من أتباع مدرسة كونت الفلسفية).

ويضيف ستون وتسون قائلا إن أصحاب العقول المحركة وراء الحركة كانوا يهودا أو مسلمين من أصل يهودي ، وأما العون المالي فكان يجيئهم عن طريق (الدونمة) ويهود سالونيك الأثرياء ... كما أنه كانت تأتيهم معونات مالية من الرأسمالية الدولية – أو الشبيهة بالدولية – من فينا وبودبست وبرلين من باريس ولندن).

ويقول هربرت أبري:

(كان يهود سالونيكا يهوديا ويعرفون (بالدونمة) – أي المرتدون – شركاء الثورة التركية الحقيقيين، وهؤلاء هم من العرق اليهودي، ولكن معتقدهم قد لا يكون يهوديا أصلا، والاعتقاد الشائع بين الناس هو: أنهم مسلمون بالاسم، وأما بالفعل فإنهم من أتباع توراة موسى ... وفي تلك الفترة التي نحن بصددها لم يعرف أحد من الناس شيئا عنهم، سوى قلة من العلماء المختصين بدراسة الشرق الأدنى ، ولم يكن أحد من الناس يجرؤ أن يتنبأ أن هذه اليهودية المعروفة (بالدونمة) ستلعب دورا رئيسيا في ثورة كان لها نتائج خطيرة في سيرة التاريخ).

يقول توينبي:

(إن الضباط في تركيا الحميدية هي الطبقة الوحيدة التي استطاعت أن تفتح نافذة فكرية دائمة تنفذ عن طريقها التأثيرات الغربية في سنة (1908) م وبعد ثلاثين عاما من حكم استبدادي مظلم كان الجيل التركي الجديد من العسكريين هو رأس الحربة لهجوم الليبرالية الغربية على تركيا).

وثيقة السفير البريطاني في استانبول (لاروز) سنة 1910م حول العلاقة بين جمعية الاتحاد والترقي وبين اليهود والماسونية :

هذه الوثيقة السرية هي أصلا رسالة سرية جدا أرسلها السفير البريطاني في القسطنطينية (السير جيرار ولاوزر) بتاريخ (1910/5/29م) إلى وزير الخارجية بريطانيا (السير ش. هارونج) وتحوي معلومات دقيقة حول العلاقة بين (جمعية الاتحاد والترقي) واليهود والماسونية.

وهذه الوثيقة السرية كُشف عنها النقاب في بريطانيا حديثا، وقد نشرتها مجلة (المجتمع الكويتية) ابتداء من (1978/12/25م) في الأعداد (425.429) نقلا عن مجلة آفاق العراقية. ونقتطف منها الأجزاء الأهم:

[– في مدينة (سالونيك) { مدينة يونانية كانت آنذاك تحت الحكم العثماني } مائة وأربعون ألف نسمة ، منهم ثمانون ألف نسمة يهودي من أصل أسباني (أي هربوا من أسبانيا) (20.000) يهودي من سبط (لآوي) أو من اليهود المتظاهرين بالإسلام والذين يدعون (يهود الدونمة).

– ومعظم اليهود الإسبان يتمتعون بالجنسية الإيطالية ، وهم ماسونية ينتمون إلى المحافل الإيطالية. فهم لذلك يتمتعون بالحصانة الممنوحة للأجانب في الدولة العثمانية ضد الملاحقة والتفتيش.

– أسس اليهودي (قره صو) قبل بضعة أعوام في سالونيك – بالتعاون مع الماسونية الإيطالية – محفل (ماسيدونيا روزيتا) ، وأقنع رجال تركيا الفتاة ضباطا ومدنيين بالإنتماء إلى الماسونية، وهدفه فرض النفوذ اليهودي على الأوضاع الجديدة في تركيا.

يظهر أن المخططين لحركة تركيا الفتاة في سالونيك كانوا بالدرجة الأولى من اليهود.

بعد ثورة (1908م) بقليل أصبح من المعروف بأن عددا كبيرا من قاداتها كانوا من الماسونية .

جميع اليهود على الإطلاق كانوا مؤيدين متحمسين للعهد الجديد.

أصبح كل اليهودي جاسوسا لجمعية الاتحاد والترقي.

بدأ الناس يقولون: إن الحركة اليهودية أكثر منها تركية.

عينت إيطاليا اليهودي (بريموليفي) قنصلا عاما في سالونيك وعينت الولايات المتحدة (أوسكار شتراوس) سفيرا لها في القسطنطينية، وكان شتراوس يهودي.

العقيد اليهودي الدونمه (رمزي بيك) كان قائد الأفواج الأربعة التي أرسلت خصيصا من سالونيك إلى القسطنطينية وقد عين رئيسا لأركان حرب السلطان (مُحَمَّد الخامس)،

وعندما خلع السلطان (عبد الحميد) واعتقل في سالونيك عين أخ لرمزي بيك مشرفا على السلطان في سجنه.

أعلن المؤتمر الصهيوني التاسع المنعقد في هاسبورج في شهر كانون الأول سنة (1909م) أن إنقسام اليهود إلى صهيونيين، ودعاة للهجرة إلى مناطق أخرى غير فلسطين، قد انتهى بفضل (معجزة الثورة التركية) بمعنى أن فلسطين أصبحت مضمونة بلا شك.

بعد خلع عبد الحميد أُعلنت الأحكام العرفية لمدة سنتين، وكان معظم الضباط في المحاكم العرفية ماسونيين.

مدير المطبوعات في الدولة يهودي من سالونيك وله سلطة إيقاف أي جريدة.

وكالة الأنباء التلغرافية – التي تقدم رأي الاتحاديين في الأحداث الداخلية والخارجية – مديرها يهودي من بغداد.

رئيس الفرع الرئيسي لجمعية الاتحاد والترقي في القسطنطينية يهودي من سالونيك.

مديرية الأمن العام في الدولة بيد ماسوني من سلانيك.

في مقدونيا والقسطنطينية ظهر خلال العام الماضي (1909م) إثنتا عشر محفلا ماسونيا جديدا.

أُفهم الموظفون وغيرهم – من ذوي المناصب المهمة – أن مناصبهم ومواردهم رزقهم تتوقف على دخولهم في المحافل الماسونية.

لكي تشدد الجمعية قبضتها على الجيش أدخل عدد كبير من الضباط – وخاصة من ذوي الرتب الصغيرة – في محفل ماسوني يسمى (ريسنا) بلد (نيازي بيك)، ويرأس المحفل أخوه النقيب (عثمان فهمي بك).

دخل في الماسونية معظم نواب الجمعية في مجلس المبعوثان والأعيان في المحفل الذي يسمى (الدستور) وكان من كبار رؤسائه (طلعت بيك).

نواب المعارضة وخاصة العرب بدؤوا ينشئون لهم محافل خاصة بهم مثل (محفل التآخي العثماني) (أصدقاء الحرية) أو ينضمون إلى المحفل القائمة.

طائفة البكطاشية تفشت بينهم الماسونية.

في المدة التي بين (1909- 1910م) أنشئت المحافل الماسونية التالية: (الوفاء الشرقي، نهضة بيزنيطة، الأصدقاء الحميمون للاتحاد والترقي، الحقيقة، الوطن النهضة، وفرع من محفل، نهضة مقدونيا الفجر). ويبدوا أن جميع هذه المحافل الماسونية – مثل شبكة المحافل الماسونية في سالونيك ومقدونيا –كان يقودها أو يخطط لها اليهود.

الأمير المصري سعيد حليم وأخوه الأمير عباس حليم والأمير عزيز حسن ماسونييون.

إدريس بيك راغب – رئيس المحفل المصري الأعظم – هو المؤسس والمهيمن على عدد من المحافل الماسونية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان.

عدد كبير من الروم الكاثوليك في لبنان ماسونييون.

مُحَّد أورفي باشا أسس عددا من المحافل الماسونية في مصر والقدس وجنوب سوريا

يوسف بيك السكاكيني من زعماء الماسون.

الزعيم الوطني المصري (مُحَّد فريد) ماسوني كبير عين ممثلا في مصر لمحفل الشرق العثماني الأعظم واقيمت حفلة التنصيب في محافل ماسوني في (طنطا).

(حاييم ناحوم) حاخام الطائفة اليهودية الأكبر الجديد في تركيا كان زميل دراسة لعدد من أعضاء جمعية أعضاء الاتحاد والترقي البارزين.

(طلعت وجاويد) يمثلان قمة الماسونية في تركيا، وطبعا جاويد يهودي.

ومنذ أن أصبح طلعت وزيرا للداخلية - قبل حوالي سنة – عمل على نشر شبكة الماسونية في جميع مناطق الدولة ، وأخذ يسند إلى الماسونيين الوظائف الكبرى في الأقاليم.

وقال (لاوزر) : **يتبين من هذا أن الحكومة الخفية لتركيا إنما هي محفل الشرق الأعظم الماسوني وعلى رأسه الأستاذ الأعظم (طلعت بيك).**

الماسونية تمد نشاطها من تركيا إلى إيران. وجمعية الاتحاد والترقي الماسونية وراء الإنقلاب الذي وقع في إيران ويدور الحديث الآن حول بدء بإنشاء محفل الشرق الماسوني في إيران ، و(فرح الله خان) القائم بأعمال السفارة الإيرانية الجديدة في القسطنطينية انضم إلى الماسونية حديثا.

يهتم اليهود أعظم الاهتمام بالاحتفاظ بنفوذهم المطلق في مجلس وزراء تركيا الجديدة.

يهتم اليهود أعظم الاهتمام بإيقاد شعلة الفرقة والخصام بين الأتراك وبين خصوم اليهود المحتلين.

المولون اليهود يرحبون بتقديم القروض للعهد الجديد في تركيا مقابل مكاسب إقتصادية.

لليهود نفوذ هائل في الصحافة الأوربية.

اليهود يسعون إلى تحقيق أهداف إسرائيل العليا في المستقبل.

قد أحكم اليهود سيطرتهم على هؤلاء الأتراك الشبان.

اليهود يمولون جريدة (تركيا الفتاة) وعددا أخر من الجرائد في القسطنطينية.

الممولون الأوروبيون – ومعظمهم من اليهود – يزودون تركيا الآن بالمبالغ المطلوبة.

جمعية الاتحاد والترقي الماسونية تشجع الثوريين اليهود والأرمن على تفجير القلاقل والإضطرابات والتوازن في روسيا القيصرية.

أعضاء جمعية الاتحاد والترقي يقلدون الثورة الفرنسية في أساليبها بتوجيه من اليهود.

اليهود يزينون للأتراك الإلتقاء مع الهنغاريين (المجر) بدافع القومية الطورانية ، لأن المجريين من أصل طوراني. وجميع هذه المعلومات حصلنا عليها من ماسونيين محليين في سرية تامة.] اهـ .انتهت وثيقة السفير البريطاني (لاوزر) التي كتبها سنة (1910م).[6]

6(نقلا عن كتاب (الذخائر/ 738- 740) . للشيخ عبد الله عزام رحمه الله).

ثانيا : الثورة العربية الكبرى:

ووقوف الشريف حين إلى جانب بريطانيا في الحرب العالمية الأولى ضد الخلافة العثمانية، بعد أن خدعه الإنكليز وأوهموه بأنهم سيساعدونه على إقامة خلافة عربية في جزيرة العرب والشام والعراق.

وقد كان الشريف حسين يتلمس المناسبة للتخلص من الحكم التركي، خاصة وأنه أحس أن الاتحاديين سنة (1914م) يريدون التخلص منه. وكان عبد الله بن الشريف حسين {جد (الملك حسين) الهالك ، والد (الملك عبد الله) الحالي سلسل عمالة الإنكليز والخيانات المتتالية }.

وكان عبد الله بن حسين آنذاك نائبا في البرلمان التركي، وقد اتصل بكتشنر (المعتمد البريطاني في مصر) ورونالد ستورز المستشار الشرقي في دار الاعتماد البريطاني. وأطلعه على النفور الشديد بين أبيه وبين الأتراك. وسأله عن إمكانية وقوف بريطانيا بجانب الشريف فيما إذا أعلن الشريف الحرب على تركيا، إلا أنه لم يلق أي تشجيع منهما، وقال كتشنر: ليس من المحتمل أن تقف بريطانيا بجانب أبيك.

(وكان الأمير عبد الله نفسه عضوا في إحدى الجمعيات السرية، وكان مؤمنا بفوائد التفاهم الإنجليزي العربي متحمسا له) ونشبت الحرب الكبرى في آب سنة (1914م) ، وكان عبد الله متحمسا لإعلان الحرب على تركيا، بينما كان أخوه الأمير فيصل يرى الوقوف معها.

وفي سنة (1915م) زار فيصل دمشق واستانبول، وفي دمشق انضم إلى جمعية (العربية الفتاة) وأقسم على نصرتها.

وأعلن الشريف الحرب على تركيا يوم الإثنين (5) حزيران سنة (1916م) . (وسبحان ربي! كانت هزيمة العرب في (5) حزيران يوم الإثنين سنة 1967م) !!!.

ومن جانب قبر حمزة بن عبد المطلب – رضي الله عنه – بالمدينة أعلن الحرب بعد أو وعدته بريطانيا باستقلال بلاد العرب وبتتويجه ملكا عليها، وكان كتشنر قد أصبح وزيرا للحربية

البريطانية، واستلم مكماهون معتمدا بريطانيا في مصر، وحدثت الكاتبات المعروفة بينه وبين مكماهون (مراسلات حسين – مكماهون)، ووعدوه بملك البلاد العربية بعد استقلالها.

واندفع الشريف حسين بكل طاقته يؤجج نار الحمية العربية ضد الأتراك، وهُزم الأتراك، وحصلت اتفاقية (سايكس بيكو) لتقسيم البلاد العربية بين بريطانيا وفرنسا، وأعطيت فسلطين لليهود بوعد بلفور1917م، وكان الجزء الجميل للشريف حسين أن نفته بريطانيا ست سنوات وسلبت ملكه !! ولقد كانت الصدمة عنيفة لأعصاب الشريف حتى داهمه الفالج وذاب جسده حسرة وألما، وكان يصب جام غضبه طيلة بقية حياته على مكماهون و لويد جورج – الوزير البريطاني المعروف.

يقول جورج أنطونيوس:

(لقد زرته قبل موته بأشهر سنة (1931م)، وقد قلصه الفالج وابيض وجهه الوسيم من شحوب الموت ... فقال لي: الإنجليز يا ولدي قوم شرفاء في أقوالهم وأفعالهم، في سراء والضراء: شرفاء !، ماعادا صاحب السعادة الموقر الهمام لويد جورج فهو أشبه بالبهلوان وبالثعلب. أقول: ثعلب، حاشا مقامك رحم الله صاحب السعادة كتشنر !!).

كانت هذه النتيجة الأسيفة الأليمة للتعاون مع الإنجليز. وصدق الله العظيم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾

(آل عمران:149)

ولقد حذر بعض الصادقين العقلاء الشريف حسين من مغبة غدر الإنجليز ومن هذه الفاجعة المتوقعة ، **قد كتب (الأمير أرسلان) إلى الشريف عندما بلغه عزم لغزو سوريا مع جيوش الحلفاء قائلا : (أتقاتل العرب بالعرب أيها الأمير؟! حتى تكون ثمرة دماء قاتلهم ومقتولهم استيلاء إنجلترا على الجزيرة العرب وفرنسا على سوريا واليهود على فلسطين ؟!).**

يقول لورنس في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) : (لقد كنت أعلم أننا إذا كسبنا الحرب إن عهودنا للعرب ستصبح أوراقا ميتة ، ولو كانت ناصحا شريفا للعرب لنصحتهم

بالعودة إلى بيوتهم ، لقد كان قادة الحركة العربية يفهمون السياسة الخارجية فهما عشائريا بدويا ، وكانت بريطانيا والفرنسيون يقومون بمناورات جريئة اعتمادا على سذاجة العرب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم ، ولهم ثقة بالعدو ... إنني أكثر فخرا أن الدم الإنجليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين التي خضتها ، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنجليزي واحد).!!

ويقول وايزمان : (لقد قدم لنا لورنس خدمات جليلة).

وهذا هو لجاسوس لورنس المشهور الذي كانوا يسمونه – (لورنس العرب) ويلقبونه : (ملك العرب غير المتوج) !!.

مقارنة بين القومية الطورانية والقومية العربية:

لقد التفت القومية الطورانية (التركية) والعربية على أشياء أهمها:

أن الغرض من كل منهما هو القضاء على تركيا المسلمة، وعلى السلطان عبد الحميد بالذات.

لقد بدأت القوميتان في وقت واحد تقريبا وإن كانت القومية العربية تقدمت قليلا على الطورانية.

القوميتان علمانيتان اتفقا على استبعاد الإسلام عن الحياة.

إن كلا من القوميتين نشأتا في محاضن أجنبية فالقومية العربية نشأت في المحاضن الأمريكية وفي الجامعة الأمريكية، بينما الطورانية نشأت في المحافل الماسونية اليهودية التي يشرف عليها اليهود الأسبان والبولنديون الإيطاليون.

إن الرواد الأوائل لكل من الدعوتين لم يكونوا مسلمين أصلا ولا من الجنس الذي يدعون إلى قوميته ! فمثلا (بورزيكي) الذي سمى نفسه مصطفى جلال الدين – بولندي الأصل – عمل على نقل القومية البولندية وصبها في قالب تركي، ومنذ تأسيس جمعية

الاتحاد والترقي، لم يظهر بين زعمائها وقادتها واحد من أصل تركي صاف! فأنور باشا بولندي مرتد، و جاويد من الطائفة اليهودية (دونمة)، وكراسو (من اليهود الأسبان) في سالونيك، وطلعت باشا من أصل غجري، وأما أحمد رضا فنصفه شركسي ونصفه مجري ومتأثر بالفيلسوف (كونت)!.

والرواد الأوائل للقومية العربية كانوا جميعا من غير المسلمين ! من بطرس البستاني، وناصيف وابنه إبراهيم اليازجي، والشدياق، وأديب إسحق، ونقاش، وشميل، وتقلا وصروف، وزيدان، ونمر، ومشاقة ... ، كل هؤلاء على الإطلاق من النصارى !! ثم جاء القرن العشرون وكان من قادتهم : زكي الأرسوزي (نصيري تركماني)، وميشيل عفلق (نصراني) زوجته يهودية ! وهما قائدا حزب البعث. وأنطون سعادة وجورج عبد المسيح، من قادة الحزب القومي السوري، نصرانييان !وجورج حبش – من قادة القوميين العرب كذلك !!.

يقول الكاردينال بريتولي للبابا : (إن المسيحية في الشرق هي التي زرعت الحركات الثورية وحركات التغيير ، وإن أسماء مثل **ميشيل** عفلق، **وأنطوان** سعادة، و**جورج** حبش قد تفسر لك ما أعنيه).!!

إن الأصابع الماسونية– اليهودية –كانت تحرك طلائع الحركتين، فالخمسة الأوائل الذين أنشأوا (**جمعية بيروت السرية**) كلهم من الماسون. وكذلك الذين نادوا بالقومية الطورانية هم من الماسون.

تأثرت القومية العربية بالنظريات الأمريكية، وتأثرت الطورانية بالثورة الفرنسية. يقول فيليب حتى – أحد مؤرخي وفلاسفة القومية العربية ! -: (**كان من نتاج الاحتكاك بين العقلية السورية والنتاج الفكري الغربي أن تولدت مبادئ القومية العربية الشاملة، واستمدت وحيها بالأكثر من النظريات الأمريكية ، بخلاف القومية التركية التي جاءت متأخرة عن العربية والتي استمدت إلهامها من مبادئ الثورة الفرنسية**).

كانت الأصابع اليهودية بارزة في القومية التركية، لا يزال اليهود يحرصون على ربط العرب بقوميتهم.

يقول (أبا إيبان) – الذي كان وزير خارجية إسرائيل – في محاضرة له في جامعة برنستون الأمريكية : (**يحاول بعض الزعماء العرب أن يتعرف على نسبة المد الإسلامي بعد الهزيمة الأخيرة (1967م) ، وفي ذلك الخطر الحقيقي على إسرائيل، ولذا كان من أولى واجباتنا أن نبقي العرب على يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإسلامي**).[7]

مصطفى كمال يحطم تركيا ويلغي الخلافة

[7] (الذخائر ج1/ 893- 895).

ولد (أتاتورك) سنة (1880م) في مدينة سالونيك وهي –كما مر معنا – (مدينة يونانية – يهودية) حيث يقطنها (140) ألف منهم (80) ألفا من اليهود الإسبان و (20) ألفا من يهود الدونمة (أي المتظاهرين الإسلام).

ينسب مصطفى كمال رسميا إلى (علي رضا) وأمه (زبيدة) وتحيط شكوك كثيفة حول نسبه ، فمصطفى لا يعترف بأبيه (علي رضا) ويقال: إن أصل أبويه من ألبانيا.

ولقد راجع مصطفى كمال دائرة النفوس في (سالونيك) وأسقط قيد الأبوة عنه.

ويقال أن زبيدة حملت به سفاحا من شخص اسمه (أبدو مسن آغا) لأنها كانت تعمل في أحد مواخير سالونيك ، فولد أتاتورك لا يعلم اسم جده لأمه ولا لأبيه.

التحق بمدرسة دينية ، ثم ألحقته أمه بمدرسة عصرية ثم دخل المدرسة الحربية في سالونيك سنة (1893م) وبعد أربع سنوات تخرج من المدرسة الابتدائية العسكرية الثانوية في (موناستر) بالبلقان حيث كانت الفتنة متأججة على الخلافة.

وبمعونة أصحابه نقل إلى سالونيك في صيف سنة (1907م) وعين في دائرة أركان الجيش الثالث. وهناك دخل في جمعية الاتحاد والترقي فوجد فيها منافسين أقوى منه مثل أنور باشا ، وطلعت بيك فحصل بينه وبينهم نزاع . وفي سنة (1908م) قام الإنقلاب العثماني على السلطان عبد الحميد من أجل إعلان الدستور (للتسوية بين اليهود والنصارى والمسلمين) ونجحت الحركة ولم يشترك مصطفى كمال فيها.

وفي هذا العام نفسه سنة (1908م) أرسل إلى (طرابلس الغرب في ليبيا) لإبعاده ، ثم رجع واشترك مع حركة (محمود شوكت) سنة (1909م) لإسقاط السلطان عبد الحميد ، وكان آنذاك أحد ضباط الأركان وليس رئيسا للأركان.

وفي سنة (1910م) أُرسل إلى فرنسا لحضور مناورات عسكرية ، وبعد أن رجع من فرنسا عين مشرفا على مدرسة الضباط فامتلأ حقدا على الاتحاديين لتجاهلهم إياه فنقلوه قائدا لفرقة المشاة الثامنة والثلاثين في سالونيك.

ثم أغارت إيطاليا على ليبيا فأُرسل مصطفى ورقي إلى درجة بكباش

ثم أرسلوه إلى الشام سنة (1917م) وكان قد وصل إلى رتبة لواء أي باشا وصار مساعدا لقائد الجيش الثاني. **ثم عين قائدا لجبهة فلسطين.**

وفي فلسطين تمت الصفقة مع (اللنبي) القائد الإنجليزي الذي احتل فلسطين، واتفق الإنجليز مع مصطفى كمال على الانسحاب. ليدخل اللنبي بردا وسلاما، وليضرب الجيوش التركية الأربعة ضربة قاصمة بعد أن ارتد اللنبي خائبا من أبواب السلط بعد أن هزمه جمال باشا قائد الجيش الرابع.

وكانت نتيجة هذه الخيانة تحطيم تركيا إلى الأبد، وأما نتيجة المعركة فكانت كارثة :

كان عدد الأسرى يقرب من مائة ألف جندي عدا القتلى برصاص الدروز والأرمن.

وبعد انتصار اللنبي حضر إلى إسطنبول فطلب من الدولة التركية المهزومة أن تعين مصطفى كمال قائدا للجيش السادس قرب الموصل حيث النفوذ الإنجليزي ومنطقة البترول لحماية مصالح الإنجليز وأمنهم هناك.

وكان مصطفى كمال بعد الهزيمة الكبرى التي كبدها تركيا ، وبعد رجوعه كان على صلة بالقس المشهور (FRID) فرد الذي كان رئيسا للاستخبارات الإنجليزية في تركيا.

وكان مصطفى كمال على صلة وثيقة بالسلطان وحيد الدين (مُحَمَّد السادس) ، وذلك لأنه عين في ربيع سنة (1918م) مرافقا عسكريا له، وكان آنذاك وليا للعهد ، وأظهر مصطفى كمال آنذاك لوحيد الدين كراهيته للإتحاد والترقي ، وأبدى صلاحا وحرصا على مصلحة تركيا ، وسرعان ما أصبح الاثنان صديقين حميمين ، وغدا مصطفى جنديا للأمير وأمينا لسره.

وفي أثناء الحرب مات السلطان مُحَمَّد رشاد (الخامس) وتولى وحيد الدين الخلافة، فقرب مصطفى كمال ورفع من مكانته.

ثم جرت مسرحيات انتصارات مصطفى كمال الساحقة في الأناضول وخاصة في سقاريا أفيون. أزمير التي جعلت من مصطفى كمال خارقة من الخوارق تغني بمدحها الشعراء حتى قال أحمد شوقي:

الله أكبر كم في الفتح من عجبٍ يا خالد الترك جدد خالد العربِ

لقد تمت المسرحية بهذا الإخراج الساحر الذي يأخذ بالألباب. ولقد شدد الإنجليز في فرض الشروط على الخليفة ليبدو عاجزا ضعيفا وتساهلت مع مصطفى كمال ليظهر بطلا فريدا.

ثم تظاهر الحلفاء بالعطف على الخليفة والسخط على مصطفى كمال ، فقد احتل الإنجليز القسطنطينية في (16) مارس سنة (1920م) وطلب الحلفاء من الأهليين إطاعة الأوامر التي تصدر إليهم من الخليفة مما أدى إلى ازدياد النقمة عليه ، وفي المقابل تم الجلاء عن (أسكى شهر) والمحاصرة من قبل مصطفى كمال وعن (قونية) بدون حصول أدنى اشتباكات وتنظف الأناضول من القوات الحليفة والناس مبهورون بهذه الانتصارات.

وفي نفس المدة تخرج فتوى من شيخ الإسلام تصف مصطفى كمال وجماعته بالكفر فيزداد سخط الناس على السطان والمفتي.

وبمعاهدات سرية واتفاقات خفية مع أتاتورك يقرر الحلفاء الجلاء عن استانبول.

المخطط التدميري:

إن هذه المخطط يكشف الصلة الوثيقة المبكرة بين مصطفى كمال وبين الإنجليز والحلفاء ، ويبين لك بوضوح سر إبراز مصطفى كمال وانسحاب جيوش الحلفاء.

وقد كشف عن هذه الوثيقة صديقه الحميم وأمين سره (مظهر مفيد قنصوه) في مذكراته فيقول: وفي (1919/7/7م) قرب الفجر وفي أرضروم بالأناضول أسر إلي مصطفى كمال وأكد كثيرا في وجوب كتمان السر وقال: هذا الدفتر سيبقي سرا حتى النهاية بيني وبينك وبين ثريا (شوكة ثريا ايدمير).

وبعد أن أكدنا له حفظ السر قال: إذن فسجل التاريخ أولا ... قال فسجلت التاريخ (8/7) تموز سنة (1919م) قرب الفجر بعد أن رأى أنني سجلت التاريخ على الصفحة قال: حسنا أكتب ثم تابع ..

أولا: ستكون الجمهورية هي شكل الحكومة بعد الانتصار. هذه واحدة.

ثانيا: سيؤخذ التدبير اللازم بحق السلطان والعائلة المالكية عندما يحين الوقت المناسب.

ثالثا: سيرفع الستر عن النساء.

رابعا: سيلغي الطربوش وسنلبس القبعة مثل سائر الأمم المتمدنة.

قال مظهر مفيد: هنا سقط القلم من يدي بدون إرادة ، تطلعت إليه كان يتطلع إلي قال لي: لماذا توقفت. قلت له: أرجو أن لا تؤاخذني يا باشا إذا قلت لك بأن لك جانبا خياليا. قال لي ضاحكا: سيكون الزمن هو الحكم في هذا. أما أنت فاكتب ، استمررت في الكتابة.

خامسا: سنأخذ الأحرف اللاتينية ... يكفي يا باشا يكفي.

ثم نفذ البرنامج التدميري، وبعد أن نفذ بعضه ، لمح مظهر مفيد فقال له: يا عزيزي السيد مظهر مفيد ما هو رقم الفقرة التي وصلنا إليها ؟ هل تلقي نظرة على دفترة ملاحظاتك؟ .

وفي (3) مارس سنة (1924م) ألغيت الخلافة:

إذ تقدم أتاتورك بمرسوم يقضي:

** **إلغاء الخلافة وفصل الدين عن الدولة، وبإلغاء المحاكم العتيقة وقوانينها، حيث يجب أن تستبدل بها محاكم وقوانين عصرية.**

** **مدراس رجال الدين يجب أن تخلي مكانها لمدارس حكومية غير دينية.**

وأقرت الجمعية الوطنية القانون بلا مناقشة. وبعد يومين حشد مصطفى كمال أمراء العهد القديم وأميراته ورحلوا إلى خارج البلاد، وكان قبلها بيوم أصدر قرارا بطرد الخليفة.

لقد اقتلع مصطفى كمال هذا الصرح الشامخ من الجذور ، هذا الصرح الذي بقي منارا للمسلمين في أرض تركيا لمدة خمسة قرون. وفرق الراية الإسلامية التي يأوي إليها المسلمين منذ أربعة عشر قرنا، وتشتت الناس متفرقين عي سبل شتى كالغنم في الليلة الشاتية ، وأصبحت الذئاب تنهش من هذه الفئام المتفرقة ، كل يسن سلاحه ويمتشق حسامه ليذبح من شاء وكيف شاء.

وبقى أتاتورك وفيا للإنكليز حتى الموت إذ أنه صمم وهو على فراش الموت أن يوصي برئاسة الجمهورية إلى السفير البريطاني (بيرس لورين).

وثيقة يوصي بها مصطفى كمال لسفير بريطانيا لورين برئاسة تركيا:

وقد نقلتها ننقلها بنصها الحرفي جريدة الأهرام التي قامت بنقلها من جريدة صندي تايمز في يوم الخميس (16) ذي القعدة (1387هـ) المصادف (15) فبراير (1968م) تحت عنوان (كمال أتاتورك يستدعي سفير بريطانيا ليخلفه في رئاسة الجمهورية التركية).

نشرت (صندي تايمز) أغرب صفحات التاريخ الدبلوماسي بعنوان: (كيف يرفض رجلنا أن يحكم تركيا ؟) قالت الصحيفة:

أنه في نوفمبر (1938م) كان (كمال أتاتورك) رئيس تركيا يرقد على فراش الموت وعلى امتداد (15) سنة حاول أتاتورك بدكتاتورية صارمة أن يجرجر تركيا رغم أنفها ويدخلها إلى القرن العشرين، ومنع لبس الطربوش والحجاب وحطم سلطان الدين وأدخل نظام اللغة التركية بالحروف اللاتينية.

وعندما رقد أتاتورك على فراش الموت، كان يخشى ألا يجد شخصا يخلفه يكون قادرا على استمرار هذا العمل الذي بدأه، فاستدعى السفير (بيرسي لورين) السفير البريطاني إلى قصر الرياسة في استانبول، أما ما دار بينهما فقد ظل سرا أكثر من ثلاثين عاما وها هو اليوم يكشف النقاب عنه على يد (بيرز ديكسون) عن حياة والده (بيرسون ديسكون) فقد كان بين أوراق (ديسكون) برقية بعث بها (بيرسي لورين) إلى (اللورد هاليفاكس) وزير الخارجية وربما كانت هذه البرقية أغرب وثيقة في التاريخ البريطاني المعاصر

على الإطلاق، ففيها يروي (لورين) تفاصيل مقابلته غير المألوفة مع الديكتاتور المحتضر.
وها هي الوثيقة:

[عندما وصلت وجدت صاحب الفخامة يجلس على فراشه تسنده بعض الوسائد ويحط به طبيب وممرضات، وما أن دخلت حتى صرف الطبيب والممرضتين قائلا إنه سيضرب الجرس إذا احتاج لهم. وعندئذ بدأ فخامته يتحدث ببطء ولكن بعناية شديدة، وقال لي: إنه أرسل في طلبي لأنه يريد أن يطلب مني طلبا عاجلا راجيا أن أعطيه جوابي عليه بطريقة قاطعة.

ثم قال السفير : لقد كانت صداقتي ونصيحتي إليه هي الوحيدة التي كان يحفل بها ويقدرها أكثر من أية نصيحة أخرى. لأنها كانت ثابتة لا تتغير، وكان هذا هو السبب الذي جعله يستشرني في مناسبات متعددة .. بحرية تامة كما لو كنت وزيرا في مجلس الوزراء التركي، ثم قال: وقد كان من سلطاته (كرئيس للجمهورية) أن يختار خليفة له قبل وفاته، وقد كان أخلص رغبة له أن أخلفه في منصب الرئيس. ومن ثم فقد كان يريد أن يعرف رد فعلي على الاقتراح].

ثم بعد التفكير العميق اعتذر السفير وشكر العميل الذي ظهر عليه التأثر، ومال بظهره إلى الوسائد.

تقييم موجز لدولة الخلافة العثمانية

يمكن تقسيم مرحلة الدولة العثمانية إلى ثلاثة أطوار:

1- طور القوة : ويمتد من تأسيسها إلى نهاية عهد السلطان الغازي مصطفى خان الثالث (1774م). وقد كان أوج الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول وابنه سليمان القانوني (1512-1566م) .

2- طور الضعف والتراجع : وابتدأ منذ عهد السلطان عبد الحميد خان الأول (1774م) حيث دفعت السلطنة الجزية للمرة الأولى في حياتها، لروسيا (1777م) ، وأقرت بجملة من الإمتيازات لنصارى الدولة العثمانية وصلاحيات تدخل الأجانب في شؤونها إلى نهاية عهد عبد المجيد خان (1861م).

3- طور الإنهيار ومؤامرات اليهود والماسون وسقوط الدولة العثمانية: ويبدأ منذ عهد السلطان عبد العزيز خان (1861م) الذي عزله المفتي لفسوقه، وينتهي بخلع السلطان عبد الحميد (1909م)، ثم استلام الماسون، ثم إسقاط أتاتورك للخلافة العثمانية وإلغائها حيث ختمت بالسلطان مُحَمَّد السادس سنة 1924م.

أسماء الخلفاء العثمانيين ومدة حكمهم:

أولا – طور القوة :

- (1) – السلطان عثمان مؤسس الدولة العثمانية (1300- 1317م).
- (2) – السلطان الغازي أورخان الأول (1317- 1360م).
- (3) – السلطان الغازي مراد خان الأول (1360-1389م).قتل في حرب الصرب.

- (4) – السلطان الغازي بايزيد خان الأول (1389- 1402م). قتل أسيرا بيد تيمورلنك.
- (5) – السلطان مُحَمَّد جلبي الغازي (1410-1421 م).
- (6) – السلطان مراد خان الثاني (1421 – 1451م).
- (7) – السلطان الغازي مُحَمَّد الثاني فاتح القسطنطينية (1451-1481م)
- (8) – السلطان الغازي بايزيد خان الثاني (1481- 1512م). خلعه الإنكشارية.
- (9) – السلطان سليم الأول الغازي (1512- 1520م).
- (10) – السلطان الغازي سليمان خان الأول القانوني (1520- 1566م).
- (11) – السلطان الغازي سليم خان الثاني (1566-1577م).
- (12) – السلطان الغازي مراد خان الثالث (1574-1595م).
- (13) – السلطان الغازي مُحَمَّد خان الثالث (1995- 1603م).
- (14) – السلطان الغازي أحمد خان الأول (1603- 1617م).
- (15) – السلطان مصطفى خان الأول (1617- 1618م). عزله المفتي والإنكشارية.
- (16) – السلطان عثمان خان الثاني (1618- 1622 م). عزله الإنكشارية وقتلوه.
- (17) – السلطان الغازي مراد خان الرابع (1623- 1640م).
- (18) – السلطان الغازي إبراهيم خان الأول (1640- 1648م). خلع وقتل.
- (19) – السلطان الغازي مُحَمَّد خان الرابع (1648- 1687م). عزله المفتي.
- (20) – السلطان الغازي سليمان خان الثاني (1687- 1691 م).
- (21) – السلطان الغازي أحمد خان الثاني (1691- 1695م).

- (22) – السلطان الغازي مصطفى خان الثاني (1695- 1703م). عزله الإنكشارية.
- (23)– السلطان الغازي أحمد خان الثالث (1703 – 1730م). عزله الإنكشارية.
- (24) – السلطان الغازي محمود خان الأول (1730- 1754م).
- (25) – السلطان الغازي عثمان خان الثاني (1754- 1757 م).
- (26) – السلطان الغازي مصطفى خان الثالث (1757- 1774م).

ثانيا – طور الضعف :

- (27) – السلطان الغازي عبد الحميد خان الأول (1774- 1789م)
- (28) – السلطان الغازي سليم خان الثالث (1789- 1807م): عزله المفتي.
- (29) – السلطان الغازي مصطفى خان الرابع (1807- 1808م)... خلع وحجز.
- (30) – السلطان الغازي محمود خان الثاني (1808 – 1839م).
- (31) – السلطان الغازي عبد المجيد خان (1839- 1861م).

ثالثا – طور الانهيار والموت :

- (32) – السلطان الغازي عبد العزيز خان (1861- 1886م) عزله المفتي.
- (33) – السلطان مراد الخامس (مايو 1886- أغسطس 1886 م). عزله المتآمرون.
- (34) – السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني (1886- 1909م). عزله المتآمرون بدسائس اليهود.

- (35) - السلطان مُحَّد رشاد خان الخامس (1909- 1924م).
- (36) – السلطان مُحَّد السادس (وحيد الدين) (1918- 1924م). أسقطه الماسون بتخطيط اليهود والإنكليز والأوربيين ، وتنفيذ أتاتورك. وهو آخر الخلفاء العثمانيين.

وبه انتهى مسمى الخلافة الذي استمر زهاء ثلاثة عشر قرنا ونصف القرن.

أولا: المناحي الإيجابية في دولة الخلافة العثمانية:

إبتداءا يجب أن نلفت النظر إلى أن معظم المراجع التاريخية المعاصرة التي أرخت للعثمانيين، قد ظلمت هذه الدولة المجيدة، وزورت تاريخها وتاريخ المسلمين في أيامها. وذلك لأن معظم كتاب التاريخ بعدها من المستشرقين، وتلاميذهم من ذراري المسلمين بما فيهم الأتراك والعرب كانوا حاقدين عليها. حيث ينتمي معظم كتاب السياسة والتاريخ المعاصرين من المنسوبين للمسلمين هم من العلمانيين، والقوميين. وقد تولى أتاتورك وأتباعه إلى اليوم الحجر على وثائق كثيرة هامة من أرشيف الدولة العثمانية، وخاصة عن المرحلة الأخيرة من تاريخها والتي تولى فيها الماسون إسقاط الدولة.

وأذكر أننا درسنا في بلادنا العربية منذ الطفولة في المدارس الابتدائية ثم ما تلا ذلك من مراحل الدراسة شيئا من تاريخ تلك المرحلة تحت عنوان (الاحتلال العثماني) !!.

ولما درست في قسم التاريخ من جامعة بيروت دراستنا المناهج - التي وضعها التربويون والكتاب بحسب أهواء فراعنة بلادنا من عملاء اليهود والنصارى —درسونا تاريخ الذين تآمروا لإسقاطها وتعاونوا مع الكفار من الإنكليز وحلفائهم، من القوميين والماسون العرب، ومعظمهم من نصارى الشام، على أنهم أبطال القومية العربية ..، وشهداء الإستقلال !! كما قدمت لنا الذين قادهم لورنس الجاسوس الإنكليزي على أنهم قادة الثورة العربية الكبرى على الاحتلال العثماني!

ومن هنا نقول أنه يجب أن تقرأ تلك التأريخات بعين الاتهام، ومنهج التمحيص. لتميز حقيقة ما كان في تلك الدولة من سلبيات – سأذكر لاحقا أهمها – عما هو افتراءات وتزوير من وضع المستشرقين وعملائهم من المرتدين العلمانيين.

فإذا ما جئنا إلى إيجابيات دولة الخلافة العثمانية ..

فيأتي في طليعتها الحفاظ على مسمى الخلافة الإسلامية، وحمل مشعل حماية المسلمين ضد هجمات أعدائهم، وتوحيد معظم ممالكهم الرئيسية في دولة واحدة قوية، بعد أن كانت الخلافة قد تحولت لمسمي رمزي في مصر حيث كان الخليفة لا يسيطر حتى على قصره في ظل سلطان دولة المماليك منذ سقوط بغداد، بل حتى قبل ذلك عندما كان القادة الأتراك يسيطرون على مقدرات ما بقي من الخلافة في بغداد فيما كانت عشرات الممالك والإمارات المستقلة تتقاسم رقعة العالم العربي والإسلامي.

وأما الفضيلة الثانية لها، فهي إنهاء دولة الروم البيزنطيين، وتردد أصداء الأذان في عاصمة ملكهم (القسطنطينية)، التي صار اسمها مدينة الإسلام (إسلام بول)، والتي انبعثت منها رايات الفتح والجهاد لتُدخل الإسلام إلى ربوع أوربا الشرقية بكاملها (اليونان وبلغاريا ، ورومانيا والمجر، وبلاد الصرب والبوسنة والهرسك ...، فمدت دولة الإسلام إلى بلاد البلقان بكاملها ، ووصلت كما رأينا تفصيلا إلى وسط النمسا ، وشمال إيطاليا، وملكت جزر المتوسط بكاملها ، وأخذت الجزية والضرائب من معظم عظماء ملوك أوربا في حينها ..

أما ثالث فضائلهم فلقد اعتبر العثمانيون أنفسهم حماة المسلمين، واعتبر الخليفة العثماني واجب حمايتهم مسؤولية في عنقه، فدافع عن شواطئ شمال إفريقيا من ليبيا وحتى مراكش، وأرسل الجيش والمدد، برئاسة وزير حربيته حتى إلى بلاد ما وراء النهر ليدافع عن بخارى وترمذ وطشقند !!، وردت هجمات الصفويين عن العراق وشرق الأناضول، وبلاد القفقاس. وطردت البرتغاليين من شواطئ البحر الأحمر وبحر العرب وبحر الهند ..

لقد وصلت الدولة العثمانية إلى أوج من الحضارة والسيطرة والقوة إلى مستوى لم تصل له دولة إسلامية في تاريخها ..، لقد تمكن العثمانيون من دك أسوار القسطنطينية بقنابل تزن أكثر من 2000 (كيلو غرام) وترميها من الشاطئ الآسيوي لمسافة 2 كيلو متر !! وذلك أواسط القرن الخامس عشر! وجابت أساطيل العثمانيين البحر المتوسط وما حوله من البحار، وكانت تهاجم أساطيل الأوربيين وموانئهم أحيانا بأكثر من ألف سفينة محملة

بالمدافع الثقيلة ! حتى استطاع خليفتها العثماني (السلطان عبد المجيد) في القرن الثامن عشر أن يسمي البحر الأبيض المتوسط : (بحيرة عثمانية). فلما سأله أحد الصحفيين الإنجليز مستغربا ذلك الاسم قائلا : (إذا كنت تعتبر المتوسط بحيرة عثمانية ! إذن ماذا تدعون البحر الأسود الذي تحيط مملكتكم وجيوشكم به ؟ فأجابه مبتسما : ذاك مسبح قصري على شوطئ إسلام بول!)

أما البحر الأحمر فقد اعتبره الأتراك العثمانيون حملة مشعل الإسلام (بحر الحرم)، وجعلوه محرما على السفن الصليبية حتى التجارية المدنية، كي لا يمر صليب من أمام مدينة جدة ، فيدنس الماء الذي يلمس شواطئها وهي في الحرم!! الله أكبر .. جدة هذه ..التي أطلقت البوارج الأمريكية تحت رعاية آل سعود اليوم صواريخ كروز منها على أفغانستان وبغداد من .. (بحر الحرم) أي البحر الأحمر.. من شواطئها التي عمرها آل سعود بالملاهي ومرافق الفسوق .. وسبحان مقلب الأحوال.

ولقد كانت الهوية الإسلامية لراية العثمانيين ظاهرة، رغم ما اعتراهم من البدع والإنحرافات كما سنذكر لاحقا. وكانوا معظمين لشعائر الله، مهتمين بحماية الحرمين، والإنفاق على خدمتهما، وحراسة سبيل الحجيج ..، كما نشروا المساجد في كل الأصقاع التي وصلها سلطانهم، وأوقفوا الأوقاف، وبنوا التكايا ومنشآت الخدمات المختلفة، وما تزال آثارهم بطابعها المعماري التركي بارزة شاهدة في مشارق بلاد المسلمين ومغاربها.

وفي الوقت الذي كانت أوربا الشرقية مسرح معظم مواجهاتهم مع أوربا كما رأينا .. ازدهرت الحياة الإقتصادية والتجارية والصناعية تبعا لقوتهم وما فرضوه من الأمن والاستقرار.. وصارت استانبول عاصمة الدنيا تليها في ذلك عواصم مصر والشام والحجاز، وموانئ جزيرة العرب وشمال إفريقيا. وتحركت قوافل التجارة على الطرق التجارية القديمة (طريق التوابل ، وطريق الحرير) ، ونقلت البضائع من وإلى تلك العواصم ، لتنقلها سفن المسلمين إلى شواطئ المتوسط ، وحتى إلى موانئ أوربا.

ثانيا: المناحي السلبية في دولة الخلافة العثمانية :

إن أول سلبية تذكر لسلاطين بني عثمان الأتراك هي أن تسلل التشريع الوضعي إلى نظام الحكم، على وجه التشريع والتقنين والحكم بغير ما أنزل الله، قد حصلت في زمانهم ولأول مرة في تاريخ الإسلام والمسلمين. في حين كان ذلك قبلا من بعض فساق ملوك وأمراء المسلمين وبعض خلفائهم، على وجه الاحتيال والتهرب والمراوغة. ولم يتجرأ أحد أن ينتقل للتشريع والتقنين ، إلى زمان العثمانيين. وقد بدأ هذا كما رأينا زمن سليمان القانوني، بل منذ أيام الفاتح بشيء قليل إن صح ما روي في ذلك. وتطور بعد ذلك مع تسلل الضعف والإعجاب والافتتان بأوربا لكثرة احتكاكهم بها. مما فتح باب التغريب وضياع الهوية ، وإفساد النخبة التي تولت في النهاية إسقاط الدولة.

ويشترك سلاطين بني عثمان مع من سبقهم من خلفاء وملوك وأمراء الدول والممالك الإسلامية السابقة بمعظم السلبيات التي طبعت قصور الحكم منذ تحول نظام الحكم من الخلافة إلى الملك عضوض ثم الملك جبري. ومن ذلك:

الصراع على الملك بين الأبناء والإخوة. وكثرة القتل والخلع بين الإخوة ومن التف حمل كل واحد منهم من حاشية السوء. إلا أن سلاطين العثمانيين زادوا على ذلك رذيلة لم يسبقهم إليها أحد من المتصارعين على الملك في تاريخ المسلمين ؛ إلا وهي بدعة قتل إخوة السلطان عند توليه ، واجتثاثهم جميعا حتى الرضع !! وذلك بدعوى تلافي فتنة منافسة الخليفة على الملك مما يفسد الدولة ويضعفها أمام أعدائها ! وقد وجد السلاطين بحسب ما ذكر بعض المؤرخين من بعض شياطين الإنس من يفتيهم أن لهذا حجة في قوله تعالى (والفتنة أشد من القتل) ! فهم يرتكبون قتل الإخوة خوف فتنة الخلاف والفرقة !!

تدخل الأمهات الأجنبيات في صراعات القصر، وزاد الطين بلة أن العديدات منهن كن من بنات ملوك الكفار أو من صفيات السبايا بين روسية وصربية وإيطالية ...، اللواتي عملن لصالح بلادهن وزاحمن إخوة أولادهن على ولاية العهد.

البذخ والترف والاستكثار من القصور والفرش والرياش، والمطابخ والحمامات الملكية، ولقد تيسر لي أن أزور بعض تلك الآثار في استانبول حيث يرى الناظر العجب العجاب من بقايا آثارهم التي سرق أنفسها في العهد الأتاتوركي.

الأثرة وظلم الرعايا وكثرة المكوس والضرائب التي فرضها الضامنون لمهمات جمع الضرائب والمتصدرون لشؤون العامة ، وقد زاد هذا في أواخر الدولة بتحولها إلى النظام الإقطاعي، حيث أقطع السلطان (الباشاوات) و(البيكاوات) الأراضي، فملكوها بمن عليها من الزراع والفلاحين وساموا الناس خسفا وظلما سارت بأخباره الركبان، وصار مادة للمسلسلات والأفلام فيما تتالى من أيام حتى وصلت إلى (غوار الطوشة!).

ولقد كان للمرحلة العثمانية سلبيات خاصة بها فوق ما اشتركوا به مع غيرهم، من السلبيات آنفة الذكر. ومن ذلك:

أن اتجاههم الحضاري كان أحاديا وتجلى بالمنحى العسكري ..، ولم يولوا المناحي الأخرى للتقدم الحضاري في مجال العلوم الإسلامية والتطبيقية ، ومجالات الفكر والأدب .. أهمية ، فطبع العالم الإسلامي بالجهل والتخلف فمنذ القرن السبع عشر - فيما كانت أوربا تشهد التحول الكبير في ثوراتها الفكرية والسياسية والاجتماعية، والصناعية -مما أوجد هوة حضارية بين الشرق والغرب ساهمت في انتقال راية الحضارة البشرية من شرقنا إلى غربهم.

التخلف الديني ، والتقوقع والتعصب المذهبي (إذ حكم الأتراك وتعصبوا لمذهب الإمام أبي حنيفة - رحمه الله-)، في حين أنهم حكموا رقعة إسلامية تتعدد مذاهبها الأصيلة في المسلمين. كما شهدت مرحلتهم، تشجيعا للتصوف ومدارس الدراويش .. فقد كان سلاطين العثمانيين ، وشيوخ السلاطين من الصوفية ..، وقد ساعدت أجواء التخلف والفقر والظلم التي طبعت تلك الفترة الناس على الاندفاع وراء الطرقية الصوفية فرارا من واقعهم المرير، وزادت الصوفية الأمة جهلا على تخلف ولاسيما في ثلثها الأخير.

العنصرية التركية، والتي وجدت منذ البداية، حيث تولى الأتراك معظم المناصب الهامة، والغريب أن الإهمال للعنصر العربي، والعناصر العرقية المشرقية الأخرى كان ملحوظا في حين

تمكن بعض المسلمين من البلاد الغربية المفتوحة أن يجدوا فسحة في المناصب. وقد أوجد هذا هوة بين العثمانيين والمكون الأساسي للأمة الإسلامية عددا وأهمية وهم العرب. وقد زادت حدة هذه الظاهرة في الطور الأخير من الخلافة العثمانية عندما وجدت الفكرة القومية – بعد الثورة الفرنسية – طريقها إلى المفتونين من الترك والعرب على حد سواء، وبرزت القومية الطورانية (التركية) بحدة ، وتسلم جبابرتها من الماسون واليهود مقاليد الأمور، فأوجدوا المبرر للمتآمرين من ماسون العرب ، ومن المغرر بهم من المثقفين، ومن الطامعين بالملك، أن يرفعوا نعرتهم القومية العربية أيضا. وكان هذا أكبر المعاول التي هدمت صرح الخلافة.

وهكذا تجمعت السلبيات رغم ما أسلفنا من الإيجابيات العظيمة لترسم النتيجة المحتومة بقدر الله. ويمكن تلخيص مجمل أسباب السقوط بالنقاط التالية باختصار.

ثالثا: الأسباب العامة لانهيار الدولة العثمانية:

دخول التشريع الوضعي على الشريعة الإسلامية بدعوى التقين والتنظيم وهبوب رياح التغريب جراء الإعجاب ببهارج الحضارة الغربية، وهذا من أهم أسباب ضياع المسلمين قديما وحديثا.

الترف والبذخ في حياة السلاطين، ولقصور الحاشية. ورجال الأجهزة الحكومية وكبار طبقات المجتمع وهو ثاني أهم أسباب انهيار الممالك والدول.

الظلم والطغيان والنظام الاستبدادي الفردي الفئوي القومي. وكثرة المكوس على الرعية. وتفشي النظام الإقطاعي بأسوأ صوره وسيئاته. وتفشي الطبقية في المجتمع. وهو ثالث أهم أسباب الزوال والبوار.

الجمود الفكري والفقهي والديني، والتقوقع المذهبي، والاتجاه الأحادي العسكري للحضارة العثمانية على حساب المناحي الحضارية الأخرى.

تدخل قناصل وسفارات الدول الأجنبية في شؤون البيت العالي (ديوان الخلافة) ودعم الأقليات لاسيما النصرانية للعبث بوحدة الدولة.

طغيان الشعور القومي لدى الأتراك. واعتماد سياسة التتريك والتميز العنصري وقمع القوميات ولاسيما في البلاد العربية.

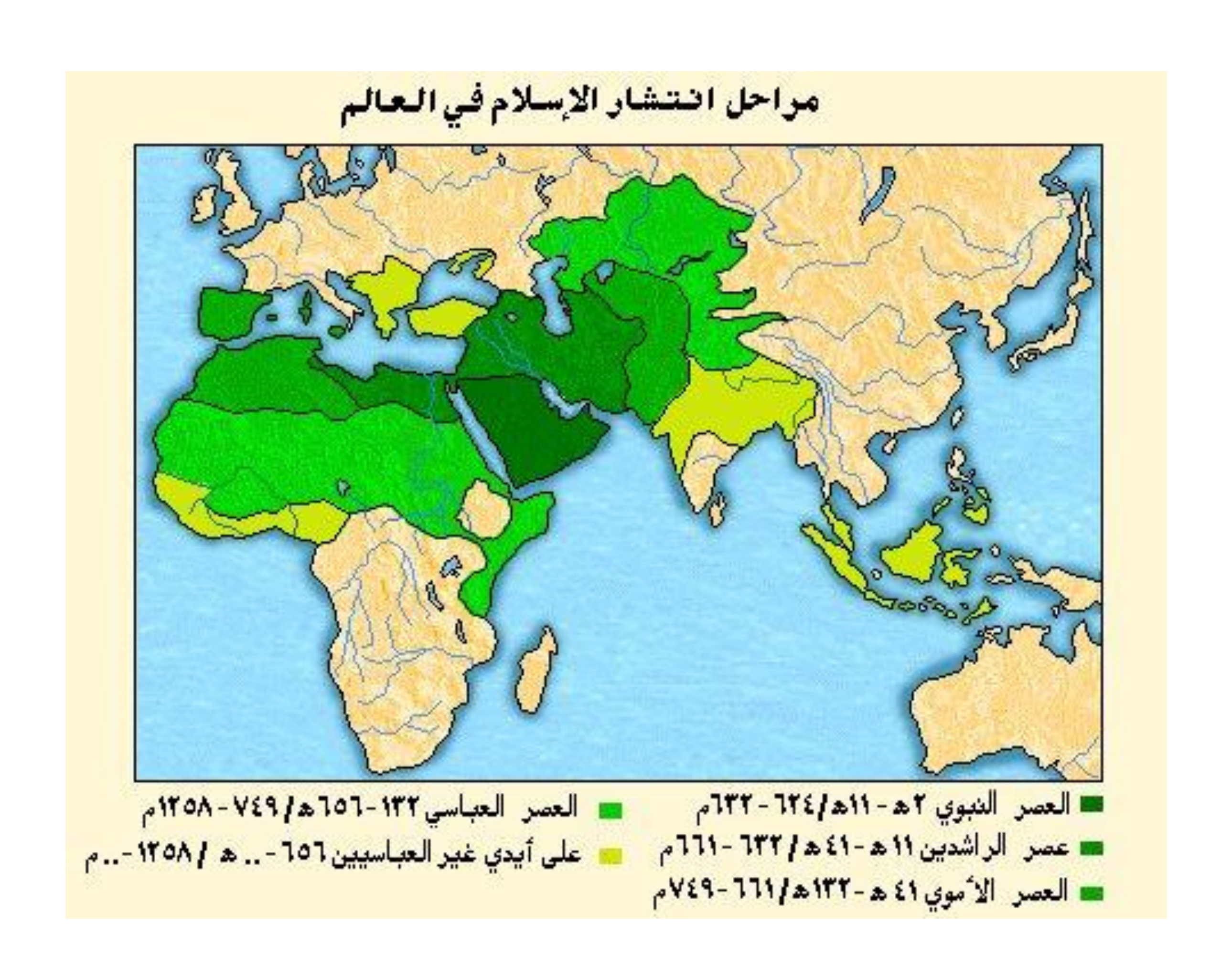
سيطرة يهود الدونمة والماسون على إدارة الدولة في الثلث الأخير من حياة الدول العثمانية ولاسيما القرن الأخير.

تفشي روح الشعوبية والقومية لدى العرب وغيرهم كرد فعل على سياسة التمييز التركي. والاتجاه لمقاومة الخلافة العثمانية ، ومحاربتها ومعاونة الإنكليز عليها !.

افتتان نخبة الطبقة السياسية ، والعسكرية ، والثقافية والفكرية في الدولة العثمانية عامة بالحضارة الغربية ، وسعيهم لتقليدها ، وفقدان روح العزة الإسلامية.

وأخيرا السبب الخارجي :

وهو تآمر الدول الأوربية وخاصة الإنكليز والروس والفرنسيين والطليان وغيرهم. وتعاونهم مع اليهود وإصرارهم على إسقاط الدولة العثمانية وتحالفهم ضدها. من أجل إيصال اليهود إلى فلسطين، وتقاسم الأوربيين ولاسيما تلك الدول الثلاثة لإرثها. وتقطيع أوصال العالم الإسلامي والعربي وابتلاعه.



استعراض لأحوال دول وممالك العالم العربي والإسلامي منذ انهيار الخلافة العثمانية

(منذ 1214هـ - 1800م وإلى 1425هـ - 2004م)

أعتقد أنه حتى تكتمل الفائدة ويتحقق الغرض المقصود، من سرد خلاصة التاريخ الإسلامي في مقدمة بحث غرضه التأسيس لدعوة مقاومة إسلامية عالمية، يقودها طلائع واعية مستوعبة لعقيدتها الجهادية، فاهمة لمعطيات واقعها، مدركة لدروس تاريخها. أن من المفيد أن نختم هذا الفصل التاريخي بخلاصة تاريخ ما حل ببلدان العالم العربي والإسلامي بعد انفراط عقد الخلافة. وهو ما يصطلح عليه بالتاريخ الحديث للعرب والمسلمين. ورغم أن أكثر تلك الأحداث المأسوية قد حل بالمسلمين بعد انفراط عقد الخلافة العثمانية وتناهب الغرب الأوربي وروسيا لتركتها وذلك بعد سقوطها الرسمي بعد الحرب العالمية الثانية وخسارتها إلى جانب ألمانيا لتلك الحرب.

إلا أن تلك الأحداث التي تعتبر الجولة الثانية من الحملات الصليبية ، كانت قد بدأت قبل ذلك حيث قضمت البلاد الأوربية الاستعمارية ما استطاعت من بلدان المسلمين في الأطراف البعيدة للعالم الإسلامي وقد بدأ ذلك منذ القرن السادس عشر ، إلا أنه يمكن التأريخ لبدايته الجدية منذ حملة نابليون على مصر سنة 1798 ميلادية، وهو التاريخ الذي يوافق بدايات الضعف والتقهقر في الخلافة العثمانية كما رأينا آنفا.

ونظرا لعدم تمكني من المراجع المعاصرة وأنا أخط هذا البحث في مرحلة المخابئ، حيث لا تتوفر لي الكتب اللازمة .. ونظرا لعدم توفر المراجع التي كنت أتمناها ولاسيما كتاب (موسوعة التاريخ الإسلامي) للأستاذ المؤرخ العبقري محمود شاكر- رحمه الله – حيث أرخ لسائر بلاد المسلمين منذ انطلاق دولة الإسلام وإلى مطلع الثمانينات من القرن العشرين. وغيره من الكتب التاريخية المتخصصة في التاريخ السياسي المعاصر.. فلذلك ستكون هذه الفقرة موجزة أعتمد في جلها على ما علق في ذاكرتي مما قرأت أو درست. أو مما عشته

وشهدته من تاريخنا خلال هذا الربع الأخير من القرن العشرين. وهي صفحات ربما يكون من الأفضل أن نصفها بأنها قاسية مريرة حتى نفر من وصفها بأنها سوداء..، ولو قلنا ذلك لما عدونا الواقع.

وإن كنت أعتقد أنه سواد ليل أذن بالرحيل إن شاء الله، حيث ألمح انبعاث طلائع من الشباب المجاهد الظاهرين على الحق، ينسجون بأشلائهم خيوط الفجر ليشرق صباحه المنير قريبا– إن شاء الله – في سماء عالمنا العربي والإسلامي الكبير ..

وما هذا السهر الدؤوب الذي أستعين الله عليه في كتابة هذا البحث الكبير منذ ثلاثة سنين، ونحن في مرحلة الخوف والتنقل والاختفاء هذه .. إلا مساهمة متواضعة في حياكة حصة متواضعة في نسيج ذلك الفجر العظيم المنشود، القادم لا محالة بإذن الله.

وأسأل الله الإخلاص والقبول، وخاتمة بالشهادة في سبيل الله. بعد أن نشهد إطلال إشراقاته الأولى لننعم بدفئ وضياء ذلك النور، بعد أن تطاولت علينا عقود ذلك الليل البهيم شديد الظلمة قاسي الصقيع.

وسأسرد خلاصة ذلك التاريخ الحديث على قسمين، بلاد العالم العرب ، ثم أهم بلاد العالم الإسلامي. وسأبدأ بالعالم العربي مسلسلا الدول من المشرق إلى المغرب. ومن آسيا إلى إفريقيا. فقد تفتت العالم العربي إلى اثنتين وعشرين دولة ! قابلة للزيادة هذه الأيام بحسب برامج جورج بوش ! وتجاوز عدد الدول الإسلامية خمسا وخمسين دولة !! وليس هذا لدخول مزيد من الدول في الإسلام بالطبع، وإنما لتقسيم قصعته على مائدة المستعمرين شذر مذر!

أولا : العالم العربي :

(1) – العراق :

كان العراق ولاية عثمانية منذ عام (922هـ – 1516م) وحتى (1335هـ – 1917م) ، وتنافست على احتلاله ألمانيا وفرنسا وإنجلترا، فبعد تحقيق الوحدة الألمانية ، اتجهت ألمانيا إلى سياسة التوسع شرقا على حساب الدولة العثمانية المنهارة ، ويتضح ذلك في مشروعها الخاص بمد سكة حديد برلين — بغداد.

وقد أدركت بريطانيا خطورة النفوذ الألماني فتصدت لمواجهته نظرا لتهديده الوجود البريطاني في الخليج.

ولما اندلعت الحرب العالمية الأولى سنة (1332هـ – 1914م) بدأت القوات البريطانية تتحرك من الهند لاحتلال العراق منتهزة فرصة انضمام الدولة العثمانية إلى ألمانيا ، ونجحت هذه الجيوش في الاستيلاء على الفاو والبصرة وسيطرت تدريجيا على جنوب العراق سنة (1333هـ – 1915م). وفي سنة (1335هـ – 1917م) احتلت بغداد والموصل وأعلنت بريطانيا نهاية تبعية العراق للدولة العثمانية.

وفي مؤتمر (سان ريمو) سنة (1338هـ – 1920م) تقرر وضع العراق تحت الحماية البريطانية.

أما عن تطور الحركة الوطنية العراقية ، فقد بدأت من قبل أعضاء (جمعية العهد) الذين عقدوا اجتماعا بدمشق أعلنوا فيه استقلال العراق واتحاده مع سوريا سياسيا واقتصاديا كما قاموا بتحركات عسكرية على الحدود السورية العراقية.

ولبى العراقيون في الداخل نداء المقاومة وقاموا بثورة سنة (1337هـ – 1920م) التي امتدت من الموصل إلى البصرة وشارك فيها سائر القبائل والطوائف ولم يبق في أيدي الإنجليز سوى البصرة وبغداد والموصل.

وكانت بريطانيا قد توجت الأمير فيصل بن الشريف حسين ملكا على العراق وذلك في عام (1339هـ – 1930م) فعمل على تحقيق الاستقلال عن طريق المفاوضات

وعقدت معاهدة (1350هـ -1932م) فحصلت العراق بمقتضاها على بعض المكاسب منها قبول العراق عضوا في عصبة الأمم سنة (1350هـ - 1932م).

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية سنة (1375هـ - 1939م) رأت بريطانيا الفرصة سانحة لتستفيد من امتيازات معاهدة (1348هـ - 1930م) وذلك باستعمال قواعد المواصلات العراقية وبعض القواعد العسكرية مما جعل الوضع بالعراق يزداد توترا إلى أن انفجر بثورة رشيد عالي الكيلاني سنة (1359هـ - 1941م) بالعراق.

وتفجر الصراع العسكري بين الإنجليز والعراقيين الذي انتهى بهرب رشيد عالي الكيلاني خارج العراق كما نجحت بريطانيا في استمالة الأمير عبد الإله ونوري السعيد لتنفيذ مخططاتها في دعم نفوذها بالعراق.

وفي سنة (1364هـ - 1944م) جرى تشكيل خمسة أحزاب عراقية تبنى بعضها معارضة السياسة البريطانية في العراق لكن استطاعت بريطانيا حلها.

وفي (1374/5/8هـ - 5 أبريل سنة 1955م) أعلن قيام (حلف بغداد) بين العراق وتركيا ثم انضمت إليه بريطانيا وإيران وباكستان والولايات المتحدة الأمريكية ، فكان ذلك نوعا من عزل العراق وبعض البلدان العربية عن التيار العربي التحرري الذي راج آنذاك.

ولمواجهة الحلف تشكلت لجنة وطنية من القوى القومية والشيوعية تصدت لقيادة الحركة الوطنية ، وانتهت جهودها إلى تفجير ثورة (1377/7/10هـ - 14 يوليو سنة 1958م) التي أطاحت بالنظام الملكي وأعلنت الجمهورية.

سنة (1965م) استولى (حزب البعث العربي الاشتراكي) على السلطة عبر الإنقلاب في العراق. ونصب (أحمد حسن البكر) رئيسا للعراق. وبعد ثلاث سنوات تمكن رجل حزب البعث النافذ (صدام حسين) نائب الرئيس البكر من إزاحته بهدوء وتولى رئاسة العراق. وابتدأ عهده بتصفية كافة مراكز القوى في الحزب والدولة بالبطش والإعدامات الدموية ، حتى سيطر بمفرده على الحكم كواحد من أقوى رؤساء الأنظمة العربية الديكتاتورية وأكثرهم بطشا وجبروتا. وقد تميزت فترة حزب البعث في العراق – كما

في سوريا – بتصفية كافة الاتجاهات السياسية الأخرى. واتبعت نهجا علمانيا إلحاديا يساريا مواليا لموسكو. وقد حارب صدام البعث الإسلام والإسلاميين وبطش بهم وسار بالعراق على طريق الكفر والظلم والطغيان ، ولكن الذي يحسب لصدام أنه سعى لبناء دولة قوية متطورة علميا وتكنولوجيا ، وأسس جيشا قويا كثير العدد موفور العتاد ، وطور الصناعات العسكرية ولاسيما الصاروخية ، بل طمح لأن يمتلك القدرات النووية. وشهد العراق في عهده الديكتاتوري الدموي نهضة عمرانية وازدهارا اقتصاديا مستفيدا من الموارد النفطية الهائلة للعراق.

وبعد الثورة الشيعية الخمينية التي أطاحت بشاه إيران ، تبنت إيران مبدأ تصدير الثورة للدول العربية والإسلامية ، وحركت القوى الشيعية التي كان صدام قد اضطهدها كغيرها بقسوة. فبطش صدام بالشيعة ونكل بهم بوحشية. واستغلت أمريكا الحال بين الجارتين القويتين ونجحت في إشعال حرب ضروس بينهما اتهمت كل دولة فيها الأخرى بالتسبب في بدء الحرب التي استمرت من (1979م) وإلى (1987م) ودمرت موارد البلدين. ولكن العراق خرج بتجربة عسكرية كبيرة وطور جيشه. واستغلت أمريكا النزعة التوسعية لدى صدام ، واستدرجته السفيرة الأمريكية وزينت له احتلال الكويت. فتورط في حرب الخليج الثانية واحتل الكويت بسهولة سنة 1990م ، وبذلك بلع صدام الطعم الذي وضعته له أمريكا ليكون عذرها الواهي للتواجد الاستعماري في المنطقة. وهكذا زحفت أمريكا مع جيوش حلفائها بنحو مليون جندي لتحرير الكويت وإنقاذ أصدقائها من حكام الخليج كما ادعت وادعى أولئك الحكام الخونة. وأسفرت الحرب سنة 1991م عن تدمير الجيش العراقي ، وتركيع حكام الخليج وابتزاز مخزونهم المالي في بنوك أمريكا ، ووضع الأمريكان قدمهم في المنطقة. وفرضت أمريكا حصارا ظالما على الشعب العراقي بحجة احتواء نظام صدام ، وعبر 13 سنة من الحصار الوحشي قتل أكثر من مليون ونصف من الأطفال لانعدام الغذاء والدواء عدا ما هلك من الرجال والنساء ، فضلا عن الحرب التي قتل فيها أكثر من 300 ألف عسكري ومدني تحت القصف الأمريكي الوحشي ! وبعد أن تأكدت

أمريكا من انهيار العراق ونظامه ، نفذت الحلقة الثانية من البرنامج اليهودي الصليبي واحتلت العراق كاملا بشكل مكشوف في حرب الخليج الثالثة التي أسمتها حرب تحرير العراق وذلك بعد أن سهل لها ذلك لفيف من المعارضين العراقيين الذين ربتهم أمريكا وبريطانيا عبر سنوات الحصار وكان في طليعتهم القوى الشيعية التي تمركزت في إيران بالإضافة لقوى أخرى ، حيث أوصل صدام الشيعة والقوى الأخرى ببطشه إلى الاستعداد للتعاون مع الشيطان للإطاحة به ، وتداخلت المسائل السياسية المتشابكة – وليس هنا محل استقصائها – لتكون بداية البرنامج الإستعماري الكبير الذي تجتاح به أمريكا وحليفتها بريطانيا الشرق الأوسط برمته من بوابة العراق ، بعد أن احتلت أفغانستان وفرضت نفسها كقوة استعمارية إمبراطورية جديدة على العالم بأسره. وهكذا سقط نظام صدام وحكم البعث الذي استمر زهاء 35 سنة. لتتولى هذه الأيام حكومة عميلة معينة من قبل أمريكا حكم العراق الذي يعيث فيه فسادا أكثر من 150 ألف جندي أمريكي ، ونحو 50 ألف جندي بريطاني عدى جيوش بقية الحلفاء الصليبيين.

(2) سوريا :

بقيت سوريا خاضعة للحكم العثماني نحو 400 سنة. ومع تهلهل أحوال الدولة العثمانية بدأت بذور العمل التحرك القومي العربي في سوريا من جراء دسائس تلاميذ المستشرقين الصليبيين ، ومعظمهم من النصارى ، حيث لاقت أفكارهم رواجا نتيجة سياسة (التتريك) التي اتبعها الماسون الذين استولوا على الدولة العثمانية في أواخر عهدها. وقد بدأ النشاط القومي في صور جمعيات ثقافية الطابع داخل سوريا وخارجها نذكر منها جمعية النهضة العربية التي أسست في دمشق سنة (1324هـ -1906م) وجمعية العربية الفتاة التي أسست سنة (1329هـ - 1911م) في باريس وانتقلت لدمشق وبقيت بها حتى سنة (1337هـ - 1920م). ثم عقد في باريس المؤتمر العربي الأول سنة (1331هـ -1913م) والذي مثل اتحادا عربيا ضمن إطار القومية العربية.

أعقب هذا المؤتمر محاولة الأتراك للتقرب من العرب ، واستجاب لهم العرب في محاولة لصد أخطار المطامع الأوروبية. لكن حركتي (التتريك) و(القومية العربية) كانتا تمضيان قدما ، ولم يكن من المستطاع التوفيق بين قوميتين في نطاق دولة واحدة. ومنذ ذلك الوقت حدث انفصام بين الأمتين وساد سوء الظن. وعندما قامت الحرب العالمية الأولى سنة (1332هـ/1914م) دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا؛ وهنا قامت ما يعرف بالثورة العربية الكبرى على تركيا، حيث قادها الأمير حسين بن علي والي الحجاز ضد الأتراك ، حيث خدعه البريطانيون فتحالف معهم. واشترك معه أهل الشام. وانتهت الحرب العالمية بهزيمة ألمانيا وحلفائها ، وانتصار بريطانيا وفرنسا اللتان قسمتا المنطقة فيما بينهما بموجب اتفاقية سيكس – بيكو ، ووعد بلفور الذي منح فلسطين لليهود.

وفي عام (1338هـ/ 1920م) عين المؤتمر السوري العام فيصل بن الحسين ملكا على سوريا. وفي نفس السنة صدرت قرارات مؤتمر سان ريمو الذي كان من بين قراراته أن توضع سوريا تحت الانتداب الفرنسي، ووجهت فرنسا إنذارا للملك فيصل تطلب منه قبول الانتداب الفرنسي وتسريح الجيش السوري خلال 48 ساعة.

وقبل انتهاء الإنذار زحفت القوات الفرنسية إلى دمشق ؛ فأعلن الملك فيصل الجهاد ؛ وهاج الشعب والتف حول حكومته والتقى الجيش الفرنسي بالجيش السوري والمتطوعين بقيادة وزير الدفاع يوسف العظمة في معركة ميسلون البطولية في يونيو (1338هـ - 1920م) ولكنها انتهت بانتصار الجيش الفرنسي ليحتل دمشق ومن ثم سائر المدن السورية.

وعلى إثر ذلك غادر الملك فيصل دمشق وسيطر الفرنسيون على البلاد سيطرة كاملة ، واتبعت فرنسا سياسة طائفة فقسمت سوريا إلى أربع دويلات هي: دمشق ، وحلب ، ودولة العلويين ، ودولة الدروز.

ولم يستسلم السوريون لهذه التدابير ؛ فقامت بعض حركات المقاومة. وفي سنة (1343هـ /1925م) ثار الدروز على الفرنسيين ثم امتدت الثورة إلى حماة ودمشق ، وانتصر الثوار في عدة معارك لكن الفرنسيين قمعوها بوحشية.

وأمام ضغوط الثوار وافقت فرنسا على تشكيل حكومة وطنية بدمشق حاولت عن طريق المفاوضات عقد معاهدة تنص على تكوين جيش وطني وإصدار دستور للبلاد ، لكن المقيم الفرنسي عمل على حل الحكومة سنة (1348هـ /1930م).

شكلت فرنسا حكومة عقدت معها معاهدة سنة (1354هـ /1936م) . ثم اعترفت فرنسا بمنح سوريا استقلال مشروطا.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية سنة (1357هـ /1939م) أعادت فرنسا الحكم العسكري في سوريا ، وأدى استمرار المقاومة الوطنية والتنافس البريطاني الفرنسي إلى إجبار فرنسا على منح سوريا الاستقلال سنة (1359هـ /1941م). مع بقاء قواتها فيها.

وفي سنة (1361هـ /1943م) تم انتخاب (شكري القوتلي) رئيسا للجمهورية السورية المستقلة ثم اضطرت فرنسا إلى سحب قوتها من سوريا سنة (1365هـ/1946م) ليكتمل تحريرها واستقلالها.

بعد الإستقلال قامت في سوريا سلسلة من الانقلابات العسكرية بمؤامرات وتخطيط ودعم من السفارة الأمريكية في دمشق. وفي سنة 1958م قامت الوحدة بين مصر وسوريا في عهد جمال عبد الناصر ، ثم انفصلت سوريا عن مصر ، بانقلاب عسكري بعد ثلاث سنوات على الوحدة ! ثم جاء الدور على (حزب البعث العربي الاشتراكي) ليقوم بانقلاب 8 آذار 1963م. وكان جل قيادات الحزب من الطوائف غير الإسلامية ، فكانوا من النصارى والدروز والإسماعيلية والنصيرية ..، وقد أعلن البعثيون الكفر والإلحاد وحرب الإسلام بلا خفاء ولا موارية ، كما انفردوا بالسلطة وبطشوا بالقوى السياسية الإسلامية والقومية واليسارية الأخرى. ثم انقسموا على بعضهم ، وأعدم بعضهم بعضا ، وقام انقلاب سنة 1965م على الرئيس (أمين الحافظ) ذي الأصل السني ، ليزداد نفوذ النصيرية

والدروز في الحكم. وفي 5 حزيران من سنة 1967م خسرت سوريا ومصر الحرب مع إسرائيل وهزمتا هزيمة منكرة ، واحتلت إسرائيل مرتفعات الجولان من غير قتال ، حيث تولى وزير دفاع سوريا آنذاك (حافظ الأسد) بيع الجولان لإسرائيل واشتهرت قصة الفضيحة دوليا وإقليميا. ومن ثم كوفئ حافظ الأسد والنصيرية بتسليمهم مقاليد الحكم في سوريا بدعم من القوى العالمية والصهيونية. وكان ذلك بعد آخر الانقلابات في سوريا ، وهو ما سمي بالحركة التصحيحية ، يقصدون تصحيح مسار حزب البعث !

ومنذ ذلك الوقت تحكم الطائفة النصيرية سوريا حكما طائفيا استبداديا.

حكم حافظ أسد سوريا خلال (1970- 1998م). حكما عسكريا استخباراتيا بقبضة من حديد ، وبطش بكل همسة معارضة لحكمه من أي هوية سياسية كانت ، وضعف نفوذ البعثيين المرتدين المنحدرين من أصول الطائفة السنية التي تشكل 80 % من سكان سوريا. وسارت البلاد في دروب الكفر والإلحاد والعلمنة بوتيرة متسارعة، كما دب الفساد والرشوة في كافة مفاصل الحياة السياسي والإدارية والقضائية والاقتصادية، وذاق الشعب فيها ألوان العذاب !

قامت في سوريا ثورة إسلامية مسلحة على نظام حافظ أسد بقيادة الشيخ مروان حديد ، وامتدت أحداثها من (1973م) إلى (1983م). ولاقت انتشارا في صفوف المسلمين السنة ، ولكن النظام بطش بالشعب بقسوة وبكافة ألوان الإسلاميين ولاسيما بالجهاديين، وبالإخوان المسلمين ، وامتد عدوانه لكل ما يمت للإسلام بصلة، حتى دوهمت المساجد ومزقت المصاحف ، وقتل المصلون ..، وفي فبراير 1982م بلغت الثورة أوجها وتركزت في مدينة حماة ، فقام النظام النصيري البعثي بدك المدينة بالمدافع والطائرات وقتل أكثر من (50 ألف مسلم) خلال 14 يوما ! وسط صمت إعلامي دولي مريب عجيب. وتابعت الحكومة الاعتقالات التي كانت قد اشتدت منذ 1979م وأعدم في السجون

أكثر من 25 ألف مسلم في حملات إعدام ومجازر منظمة ! دفن أصحابها في مقابر جماعية. وانتهت الثورة.[8]

أراد حافظ الأسد تولية ابنه باسل لخلافته في رئاسة الجمهورية ، ورتب ذلك مع أمريكا والقوى الإقليمية، وفي طليعتها إسرائيل ، ولكن باسل هلك فجأة في حادثة سيارة كما قيل، فرتب استخلاف ابنه بشار على عجل مع نفس القوى ، وحضرت وزيرة خارجية أمريكا ، اليهودية الشمطاء (أولبريت) إلى دمشق وأشرفت على تصويت البرلمان السوري على تعديل الدستور بالإجماع خلال 40 دقيقة. وعلى نقل ولاية العهد لبشار الذي مازال يحكم سوريا عبر أجهزة الإستخبارات التي أسسها أبوه إلى اليوم.

(3) **لبنان** :

كانت لبنان جزء من بلاد الشام التي كانت ولاية عثمانية ، ولما تقاسمت بريطانيا وفرنسا الشرق الأوسط ، خرجت لبنان في حصة فرنسا باعتبارها جزءا من سوريا ، ولكن فرنسا أعطت لبنان وضعا خاصا لوجود طائفة مسيحية كبيرة فيه ، أرادت فرنسا الاعتماد عليها في نفوذها في المنطقة. ولما قسمت فرنسا سوريا إلى عدة دويلات ، كانت لبنان إحدى لك الدويلات ، فوضعت لبنان تحت الانتداب الفرنسي تطبيقا لمعاهدة (سان ريمو) وبدأ الجنرال غورو إعادة تقسيم سوريا ولبنان، وفي أغسطس سنة (1338هـ/1920م) صدر قرار بإعلان قيام دولة لبنان ، كما أعلن استقلالها عن سوريا ، ثم اقتطعت فرنسا أجزاء من الأقاليم المجاورة لإقليم لبنان وألحقتها به وأسمته (دولة لبنان الكبير!!). علما أن هذا (الُّبنان الكبير)!! بلغت مساحته بعد ما ألحق به (10 آلف كم مربع فقط) !

ثم قام الفرنسيون باستغلال لبنان ، وعمدوا إلى تمزيق شمل المواطنين والدس بينهم لتمكين أقدامهم في البلاد ، لكن بعض اللبنانيين لم يستكينوا لفرنسا فقامت بعض الثورات

---

[8] (راجع كتاب الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا, وكتاب المسلمون و النصيرية في بلاد الشام – للمؤلف).

من حين لآخر ؛ ومن أشهرها ما حصل في سنة (1338هـ/1920م) ثورة جبل عامل التي أخمدها الفرنسيون. ولكن الفرنسيين اعتمدوا على ولاء النصارى الموارنة لبسط نفوذهم.

ثم توالت الثورات وتلاقت مع ثورات سوريا خاصة في ثورة عام (1343هـ/1925م) في جبل الدروز. ثم حكم الفرنسيون بعد ذلك لبنان حكما مباشرا وإن أوجدوا مجلسا تمثيليا – حتى عام (1344هـ/1926م) حيث أعطوا البلاد دستورا. وتم انتخاب رئيس للجمهورية اللبنانية هو شارل دبَّاس الذي بقى حتى وفاته سنة (1350هـ/1932م).

وفي سنة (1351هـ/1933م) تم تعيين حبيب باشا السعد رئيسا جديدا ثم تبعه عام (1936م) إميل أده. وفي سنة (1355هـ/1937م) تم الاتفاق بين فرنسا واللبنانيين على أن يكون رئيس الجمهورية ، مارونيا ورئيس الوزراء مسلما سنيا.

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية عبثت السلطات الفرنسية بالنظام السياسي والإداري في لبنان ، وعملت على انتشار الفساد في البلاد.

وفي سنة (1354هـ/1936م) تقدم الشيخ مُحَّد توفيق خالد مفتي المسلمين إلى المفوض السامي بعدة مطالب لتحقيق الإستقلال الشامل والاعتراف بسيادة لبنان ووحدته مع سوريا ، بينما تقدم بطرس عويضة زعيم الطائفة المارونية بمطالب تهدف إلى تحقيق الاستقلال والسيادة ، وتوطيد العلاقات مع سوريا ، ووضع دستور للبلاد.

وفي سنة (1361هـ/1943م) تشكلت حكومة تمثل الطوائف الرئيسية في لبنان وهي: (الموارنة ، والسنة ، والشيعة ، والروم الأرثوذكس ، والروم الكاثوليك ، والدروز) معبرة في ذلك عن شكل من الوحدة الوطنية وكان رئيس الجمهورية (بشارة الخوري). ثم أعطت فرنسا لبنان الاستقلال سنة (1364هـ/1945م) وتم جلاء القوات الفرنسية عن لبنان سنة (1365هـ/1946م).

استمر الاضطراب الطائفي في دويلة لبنان الإصطناعية !، وانفجرت الحرب الأهلية بين الموارنة والطوائف الإسلامية والملحقة بالإسلامية والقومية سنة 1958م. وسكنت الأحداث لتنفجر ثانية سنة 1975م بين تحالف النصارى الموارنة المدعومة من إسرائيل

علنيا، والقوى القومية والإسلامية والفلسطينيين المقيمين في لبنان ، ودخل النظام النصيري بإجازة أمريكية في الحرب بين الأطراف ، ونفذ الجيش السوري بالتعاون مع الطيران الإسرائيلي مذبحة مخيم تل الزعتر الفلسطيني وقتل زهاء 50 ألف نسمة في تلك المذبحة ! ثم أحدث النصيرية مذبحة أخرى في المسلمين في طرابلس شمال لبنان ، ونمت قوة الطائفة الشيعية والنصيرية اللبنانية خلال تلك الحرب بدعم من سوريا وإيران ... ودمرت الحرب الأهلية لبنان وهلك زهاء مأتي ألف من مختلف الطوائف ، ثم تدخلت إسرائيل علنيا وزحفت جيوشها برئاسة شارون آنذاك واحتلت بيروت ! ونفذت مجازر مهولة فى الفلسطينيين في سنة 1982م وخاصة فيما عرف بمذابح صبرا وشاتيلا. وأجبرت المنظمات الفلسطينية على الرحيل من لبنان.

ثم عقد مؤتمر القمة العربية في الطائف وأرسى دعائم اتفاق هش، أطلق فيه يد سوريا في لبنان بإجازة أمريكية إسرائيلية ..، والآن وبعد احتلال العراق ، تغير البرنامج الأمريكي الصهيوني حيث تعيد أمريكا ترتيب خريطة المنطقة ، لتطالب سوريا برفع يدها عن لبنان ، حيث يبدوا أن الطوائف وعلى رأسها الموارنة سيلعبون دورا جديدا في برنامج بوش لإعادة تقسيم ما قسمته سيكس بيكو ورسمها من جديد وإعادة تقسيمها وتركيبها تحت المجهر.

(4) فلسطين :

لفلسطين منزلة كبرى عند المسلمين نظرا لوجود بيت المقدس ثاني الحرمين وأولى القبلتين ، وقد اتفق الشريف حسين بن علي مع بريطانيا على أن تكون فلسطين ضمن الدولة العربية الكبرى التي وعدوه بها قبل الحرب العالمية الأولى ، لكن بريطانيا كانت تريد ضمها إلى إمبراطوريتها لإعطائها لليهود بموجب وعد بلفور سنة الصادر سنة (1335هـ/1917م) والذي تعهدت فيه بريطانيا بتبني قرار المؤتمر الصهيوني الأول سنة (1314هـ/1897م) بأن تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود.

انتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار الحلفاء – ومنهم بريطانيا – وتم وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني سنة (1338هـ/1920م). في مؤتمر سان ريمو. وتنكرت بريطانيا لوعودها للعرب بالاستقلال بينما التزمت بوعدها للصهاينة بالوطن لليهود في فلسطين. وخلال فترة الانتداب من (1338هـ/1920م) – (1367هـ/1948م) مكنت بريطانيا الصهاينة من امتلاك الأراضي ، وفتحت أبواب فلسطين لاستقبال يهود العالم ، فرفعت عدد اليهود الأصليين الذي كان 15 ألف نسمة من السكان اليهود الأصليين ،إلى مئات الآلاف قبل سنة 1948م. وجعلت اللغة العبرية لغة رسمية ، وسمحت لهم بتكوين فرق عسكرية ، بينما اتبعت خطة من شأنها التضييق على العرب.

خلال تلك الفترة قامت ثورات شعبية فلسطينية وأبرزها ثورات (1338هـ/1920م) (1347هـ/1929م) (1354هـ/1936م) فكان الحاج أمين الحسيني مفتي القدس أبرز القادة في تلك الفترة ، وكنوع من التهدئة طرحت بريطانيا مشروع تقسيم فلسطين لثلاث مناطق: يهودية، وعربية ، وبريطانية. رفض الفلسطينيون هذا التقسيم واندلعت الثورات من جديد.

وكانت ثورة (1355هـ/1937م) التي قادها الشهيد عز الدين القسام أشدها ولكن بريطانيا أجهضتها بتوسط من بعض زعماء العرب ولاسيما الأمير فيصل بن عبد العزيز ملك السعودية !. واضطرت بريطانيا عام (1356هـ/1937م) للتخلي عن الفكرة. وبعد الحرب العالمية الثانية تراجعت بريطانيا إلى دولة من الدرجة الثانية ، وبرزت الولايات المتحدة الأمريكية لتصبح إحدى القوتين الأعظم في العالم ؛ وركز اليهود جهودهم لاستمالة الولايات المتحدة. وأثبت الرئيس الأمريكي ترومان للصهيونية أن الولايات المتحدة حليف أفضل حين مارس ضغطا على بريطانيا كانت نتيجته السماح بدخول 100 ألف يهودي إلى فلسطين وهي العملية التي جعلت بريطانيا تعجل بتدويل القضية وبتحويلها إلى الأمم المتحدة عام (1947م).

وأوصت اللجنة الخاصة للأمم المتحدة بشأن فلسطين بقسيمها إلى دولتين إحداهما عربية والأخرى يهودية مع تدويل القدس وجرى التصويت على ذلك وقامت بذلك دولة إسرائيل عام (1948م) وانسحبت بريطانيا من فلسطين بعد أن سلمت الصهاينة كل مقومات الدولة إداريا وعسكريا ، وبعد أن مكنتهم من السيطرة على مساحات من أرض تزيد على المساحات التي حددها تقسيم الأمم المتحدة ، وفي (1367/7/7هـ) (15مايو سنة 1948م) جرى إعلان قيام دولة إسرائيل وواصلت المنظمات الصهيونية غاراتها للتوسع على حساب المناطق التي يسكنها العرب.

أدى إلى ذلك القيام الحرب الأولى بين العرب وإسرائيل سنة (1367هـ/1948م) التي انتهت بهزيمة الجيوش العربية بفعل خيانات الرؤساء والملوك العرب ولاسيما في الدول المجاورة والسعودية. وتأكد قيام دولة إسرائيل. واستولى اليهود على مزيد من الأراضي بحيث لم يبق من فلسطين سوى الضفة الغربية التي وضعت تحت الحكم الأردني وقطاع غزة الذي وضع تحت الحكم المصري. وفي سنة (1375هـ/1956م) كان اعتداء إسرائيل على غزة وسيناء بالتواطؤ مع إنجلترا وفرنسا الذي انتهى بتوسيع دولة إسرائيل وضم أراضٍ جديدة إليها بعد مذابح شنيعة ضد عرب فلسطين.

وفي عام (1382هـ/1963م) كان إعلان قيام (منظمة التحرير الفلسطينية) التي أسست جيشا فلسطينيا نجح في إلحاق بعض الخسائر بإسرائيل في الداخل وفي خارج حدودها مع لبنان والأردن. وفي عام (1386هـ/1967م) اندلعت الحرب بين العرب وإسرائيل للمرة الثانية وخسر على أثرها العرب الجولان والضفة الغربية وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء التي احتلتها إسرائيل. نتيجة خيانة النظام السوري ، واختراق الإستخبارات الإسرائيلية لقيادات جيش عبد الناصر من الزناة الماجنين..!

وفي عام (1392هـ/1973م) قامت حرب أكتوبر حيث انتصرت الجيوش العربية على إسرائيل ، لكنها لم تستطيع تحرير تلك المناطق المحتلة نظرا لتدخل الولايات المتحدة

ووقوفها إلى جانب إسرائيل ولخيانة الرئيس السادات الذي أوقف الهجوم ، وتكرار النظام السوري لخياناته المألوفة..

وبعد أن تحصلت منظمة التحرير الفلسطينية ، على كونها المثل الشرعي والوحيد للقضية الفلسطينية ، بدأت بسلسلة مفاوضات سرية وعلنية مع إسرائيل برعاية من الأنظمة العربية الخائنة ، وإشراف دولي. من أجل إنهاء الصراع العربي الإسرائيلي. وقد بدأ ذلك من اتفاقيات كامب ديفد بين مصر وإسرائيل والفلسطينيين برعاية أمريكية سنة 1980م، ثم حصلت قفزة استسلامية في مؤتمر مدريد للسلام (1991م) والذي تبعه اتفاقيات أوسلو بين المنظمة ولإسرائيل ، ثم تتابعت المؤتمرات والمؤامرات .. بإشراف أمريكي وتعاون من الأنظمة العربية ، ومنظمة المؤتمر الإسلامي التي تضم الدول (ذات الشعوب الإسلامية). إلى أن تولى بوش وضع ما سمي بـ (خارطة الطريق) لتسوية القضية الفلسطينية سنة 2002م، ولإقامة دولة شكلية للفلسطينيين في غضون سنة 2005م ولكن إسرائيل مازالت تتملص وتتابع مسلسل القتل والمجازر في الفلسطينيين، وأمريكا مازالت تزداد علنية في انحيازها. فيما يبدو مخططا مكشوفا لتهجير ما تبقى من الفلسطينيين، وهدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه.

وقد انفجرت الإنتفاضة الفلسطينية ضد اليهود في سنة 2000م وانتقلت للعمل المسلح وبرزت المنظمات الجهادية الإسلامية لتملأ فراغ الساحة بعد انكشاف إفلاس الخط اليساري القومي العلماني وخيانته لقضية المسلمين ، وعجزه. وتشهد هذه الأيام صدامات عنيفة بين قوى الجهاد الفلسطينية واليهود ، فيما تتابع السلطة الفلسطينية بعد هلاك عرفات تعفنها و تفسخاتها بقيادة الخونة من أمثال محمود عباس (أبو مازن) المرشح لإطلاق رصاصة الرحمة على قضية فلسطين هذه الأيام.

(5) الأردن :

كانت الأردن جزءً من ولاية الشام عبر التاريخ الإسلامي. ولكنها بدأت تاريخها كدولة مستقلة منذ عام (1339هـ/1921م) بموجب اتفاقية سيكس بيكو التي جعلتها في حصة الإنكليز. فرسمت حدوده على الرقعة الجغرافية الممتدة شرق نهر الأردن ما بين السعودية والعراق وسوريا. وقد كانت الأردن متصرفية تتبع سوريا في العصر العثماني، ووفق اتفاقية سان ريمو وضع شرق الأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطاني ، ثم قررت بريطانيا فصل شرق الأردن عن فلسطين ، وعينوا عليها الأمير عبد الله بن الشريف حسين على أن يكون حكمه مستقلا إداريا و(مستنيرا) ! برأي مندوب بريطاني يقيم في عمان.

وفي سنة (1346هـ /1927م) عقدت معاهدة أردنية – بريطانية اعترفت بريطانيا فيها باستقلال شرق الأردن شكليا ، وتكون حكم فيها ملكي مطلق ، ثم عدلت سنة (1352هـ /1933م) بحيث حصلت المملكة على قدر من السيادة والاستقلال. وخلال الحرب العالمية الثانية وقف الأردن إلى جانب الحلفاء ، وشاركت القوات الحربية الأردنية في المجهود الحربي ثم أعلنت بريطانيا إنهاء انتدابها للأردن. في (1365هـ/1946م) و تم إعلان قيام (المملكة الأردنية الهاشمية) ، وبويع الأمير عبد الله ملكا دستوريا على البلاد.

في عام (1368هـ/1948م) انفجرت الحرب بين العرب واليهود وكان الملك عبد الله هو القائد الأعلى للجيوش العربية ! ولكن الضابط الإنكليزي (غلوب باشا) كان القائد الفعلي !!! ...! وهكذا انتهت الحرب بالنكبة واستيلا ء اليهود على قسم من الأراضي ، وقيام إسرائيل. وفي عام (1369هـ/1950م) أعلن الملك عبد الله ضم الضفة الغربية من فلسطين إلى الأردن وذلك بعد قيام دولة إسرائيل.

وفي عام (1370هـ/1951م) قتل الملك عبد الله وتبعه ابنه الملك طلال الذي قام في سنة (1371هـ/1952م) بوضع دستور يساير الواقع الجديد. ولكنهم أعلنوا اختلاله العقلي ، وخلفه في سنة (1372هـ/1953م) ابنه الملك حسين بن طلال.

استمر حسين في الحكم لأكثر من 46 سنة ! وكان داهية محنكا ، وعميلا خائنا ماهرا ، أجاد اللعب على متناقضات المنطقة وعرف بممالأته للإنكليز الذين صنعوا العرش الأردني ثم للأمريكان الذين ورثوا النفوذ في المنطقة. كما أن اتصالاته القديمة جدا باليهود الصهاينة كانت شبه معلنة. وقد تولى كشفها بنفسه وأعلن قدمها وأنها تعود لأيام صداقته مع بنغوريون مؤسس إسرائيل !

تتمتع الأردن باقتصاد ضحل جدا ، فهي بلد صحراوي قليل الموارد وتعتمد في استمراريتها على المساعدات الإقليمية والدولية. ويتكون ثلثي السكان من الفلسطينيين المهجرين إبان الحروب المتتالية في فلسطين. ولذلك فالتوازن السياسي الداخلي فيها حرج ، وقد فقد توازنه سنة 1970م حيث وقع القتال بين الفلسطينيين والنظام الأردني وراح ضحيته أكثر من عشرين ألف فلسطيني ! وأخرجت المنظمات الفلسطينية من الأردن ليستقر معظمها في لبنان ، حيث أخرجت كما رأينا بعد الحرب الأهلية المجازر سنة 1982م.

وقع الحسين معاهدة صلح مع إسرائيل أقام علاقات دبلوماسية معها ورفرف العلم الإسرائيلي في سماء عمان جهارا نهارا فوق رؤوس شعبها ذي الأغلبية الفلسطينية !

هلك الحسين إثر إصابته بالسرطان سنة 1998م – على ما أذكر – وتولت أمريكا تغيير ولاية العهد ، فأبعدت أخاه وولي عهده لعشرات السنين ، وولت ابنه (الملك عبد الله الحالي) الذي قضى معظم حياته في بريطانيا. ليتابع سياسة أبيه. فتوطدت علاقاته وزياراته لإسرائيل. وعندما غزت أمريكا العراق واحتلته ، قدمت حكومة الأردن لأمريكا خدمات لوجيستية هامة ، وتحركت القوات الأمريكية من الأراضي والأجواء الأردنية. بعد مناورات مشتركة مع الجيش الأردني. وترتكز البرامج الأمريكية الإسرائيلية اليوم في انطلاقتها الشاملة في المنطقة اليوم إقتصاديا وثقافيا وسياسيا.. على ما يقدمه النظام الأردني من خدمات خيانية جليلة للأعداء.

وفيما كنت أضع اللمسات الأخيرة على الكتاب. أوردت الأنباء خبرا طريفا يذكرنا بأيام المماليك ودول الطوائف ! حيث أعلن الملك عبد الله عزل أخيه حمزة عن ولاية العهد، وتولية ابنه البالغ من العمر 9 سنوات، وتهافتت الشخصيات الأردنية لإعلان إشادتها بهذا الإنجاز الشرعي ! والعظيم. وحسبنا الله ونعم الوكيل على زمان المهازل الذي نعيشه !!.

(6) بلاد الحرمين . المسماة بـ (السعودية !!) :

خلال المرحلة العثمانية كانت البلاد المعروفة باسم (السعودية) اليوم مكونة من أجزاء شبه مستقلة. أهمها نجد ، ولم تخضع عمليا للحكم العثماني ، والحجاز التي حكمها الأشراف وتبعوا فيها العثمانيين وكانوا تحت حمايتهم ورعايتهم. والشمال المتاخم للشام والعراق ، وكان يخضع لحكم آل الرشيد بتوكيل من العثمانيين أيضا.

وقد مر قيام الدولة السعودية الحالية منذ القرن الثامن عشر الميلادي بثلاثة أدوار:

الدور الأول: الدولة السعودية الأولى:

ويبدأ من سنة (1157 هـ - 1744م) وهي السنة التي هاجر فيها الداعية الشيخ (مُحَمَّد بن عبد الوهاب) إلى بلدة الدرعية وعقد الاتفاق بينه وبين أميرها الإمام (مُحَمَّد بن سعود على النصرة والتعاون على نشر الدعوة . ويعتبر الأمير الإمام سعود بن مُحَمَّد بن مقرن (1725م - 1765م) مؤسس الدولة السعودية الأولى. ثم انتشر صدى الدعوة الوهابية في أنحاء الجزيرة.

توفي الأمير مُحَمَّد بن سعود سنة (1178هـ/1765م) فبويع على الإمامة ابنه الأمير عبد العزيز بن مُحَمَّد، فوسع دولتهم ووصل في الجنوب إلى وادي الدواسر وفي الشمال إلى السماوة في شرق العراق، وقد اغتيل الإمام عبد العزيز بن مُحَمَّد سنة (1228هـ /1813م)

وكان قد عين ابنه سعودا خلفا له فبايع الناس سعود على الإمامة ، فتمكن سنة (1228هـ/1813م) من فتح مكة والقضاء على نفوذ الأشراف في الحجاز.

ولم ترض الدولة العثمانية عن ضياع سلطانها على الحجاز ، ثم إن النشاط المتزايد للحركة السلفية في نواحي العراق زاد من مخاوف العثمانيين ، وبعد أن استنجد الشريف غالب بالعثمانيين كلف السلطان محمود الثاني وإليه على مصر(مُحَّد على باشا) باستعادة الحجاز فاستولى على مكة والطائف.

الحملة المصرية الثانية:

ثم خرج مُحَّد على بنفسه إلى الحجاز سنة (1228هـ/1813م) واستطاع تمكين سلطانه في مكة والمدينة والطائف ودخل تهامة وعسير. وفي تلك الأثناء توفي الإمام سعود بن عبد العزيز وخلفه ابنه عبد الله سنة (1230هـ/1814م) ثم أعد مُحَّد علي حملة قوية جديدة جعل عليها ابنه إبراهيم باشا فتقدم إبراهيم باشا نحو واستولى على الدرعية عاصمة السعوديين بعد حصار طويل وقتال مرير ، ووقع الصلح بينهما وذهب الإمام عبد الله إلى مصر مع من بقي من أنصاره لتوقيع الصلح مع مُحَّد علي واستطاعت قوات مُحَّد على أن تمد نفوذها إلى منطقة القطيف.

وينتهي الدور الأول أو الدولة السعودية الأولى باستسلام الإمام عبد الله سنة (1818م).

الدور الثاني أو الدولة السعودية الثانية:

يبدأ عندما استطاع الأمير مشاري بن سعود الكبير الهرب من مصر، ثم بويع إماما سنة (1235هـ/1236هـ) (1819م/1820م) ، وأقام تركي بن عبد الله بن مُحَّد بن سعود والذي كان قد لاذ بالفرار عند تسليم الدرعية – أميرا على الرياض ثم خلف الأمير تركي

ابنه الأمير فيصل بن تركي سنة (1250هـ/1834م) واستمر في كفاحه مع منافسي بيته من ناحية ، ومع المصريين من ناحية أخرى.

وكان الإمام فيصل بن تركي قد أعطى إمارة حائل لأحد رجاله الذين ساعدوه في القضاء على قاتل والده تركي ، وهو عبد الله بن الرشيد الذي سيكون مؤسسا لإمارة بيت الرشيد. ويقسم عهد فيصل بن تركي إلى دورين: الأول يبدأ بتوليه الإمارة بعد مقتل والده (1250هـ/1834م) وهو دور الفتن و الاضطرابات ، وينتهي بتسليم فيصل لخورشيد باشا والي مصر على نجد والحجاز بعد تسع سنين من المقاومة — حيث أخذه إلى مصر وولى مكانه عمه خالد ابن سعود جاء يحكم نجدا حكما عصريا. فنفر منه أهل نجد ، وعدوه أجنبيا ، ثم أجمعوا على خلعه فخلعوه بعد أن قاوموا سنتين، ثم تولى الإمارة بعده عبد الله بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان بن سعود سنة (1257هـ/1842م) ولكن حكمه لم يدم فقد كان مُحَمَّد علي قد أطلق سراح الإمام فيصل بن تركي فبايعه أهل نجد سنة (1259هـ/1843م) واستمر في الدور الثاني أربعا وعشرون سنة فبسط سيادته على الشطر الأكبر في شبه الجزيرة فدانت له الأحساء والقطيف ووادي الدواسر وعسير والجبيل والقصيم. وبوفاته سنة (1282هـ/1865م) ينتهي الدور السعودي الثاني أو الدولة السعودية الثانية حيث تنازع أبناء فيصل بن تركي الملك ، وكانت الدولة العثمانية قد أنهكت أهل نجد بحملاتها المتعددة. واستمر الخلاف بين سعود وعبد الله و مُحَمَّد أبناء فيصل، ولكن في سنة (1291هـ/1874م) توفي الإمام بن فيصل وتولى الإمامة بعده أخوه عبد الرحمن ، واستطاع أن يعيد أخاه الكبير عبد الله ويصالحه ، وبايع أخاه عبد الله ولكن أبناء سعود انشقوا عن العائلة. وكان آل رشيد إلى ذالك الحين في طاعة آل سعود.

ولكن في سنة (1299هـ/1881م) حدثت وقعة الحمادة والتي أدت إلى استيلاء ابن رشيد على نجد وأخذه للإمام عبد الله وأخيه عبد الرحمن سجينين إلى حائل مع عشرة آخرين من آل سعود ، وأقام سالم بن السبهان أميرا على الرياض والذي قام بقتل أبناء سعود مُحَمَّد وسعدا وعبد الله وأجلى أهلهم إلى حائل.

وفي سنة (1308هـ/1889م) مرض الإمام عبد الله ؛ فأذن له وأخيه عبد الرحمن بأن يعودا إلى الرياض ؛ ولكن الإمام عبد الله مات في نفس السنة ، وبويع أخوه عبد الرحمن بالإمامة. ثم استولى ابن الرشيد على نجد ، فأخرج عبد الرحمن حريمه وأولاده فارتحلوا منها إلى الأحساء ثم إلى قطر وأخيرا إلى الكويت حيث بقوا فيها إلى أن فتح ابنه عبد العزيز الرياض وأقام الدولة السعودية الثالثة.

الدور الثالث– الدولة السعودية الثالثة:

كانت بريطانيا قد بسطت سلطانها في الكويت كما سيأتي ، وكانت أطماعها تمتد للسيطرة على جزيرة العرب وبلاد الحرمين ، ولكنها بمعرفتها الواقعية لمكانة بلاد الحرمين في نفوس المسلمين ، ونفرتهم من وجود قوات أجنبية فيها ، عمدت إلى احتلالها بصورة غير مباشرة ، وذلك بتولية أسرة مالكة تابعة لها فيها. وهذا ما فعلته بعد دراسة في تاريخ المنطقة والقوى القبلية فيها.

وقد نصح حاكم الكويت التابع للإنكليز (مبارك الصباح) البريطانيين باعتماد عبد الرحمن بن فيصل آل سعود – الذي كان لاجئا عنده – لهذه المهمة. وبعد اجتماع المندوب البريطاني بعبد الرحمن آل سعود ، أقنعه عبد الرحمن بأن كبر سنه لا يناسب المهمة، وقدم له ولده (عبد العزيز) ليقوم بالبرنامج البريطاني. وأعجب المندوب بعبد العزيز الذي كان في العشرين من عمره، وتوسم فيه القدرة والنجابة. ومن تلك النقطة يبدأ تاريخ الدولة السعودية الثالثة والتي مازالت مستمرة إلى يومنا هذا. أخزاهم الله وأهلكهم.

زودت بريطانيا عبد العزيز بالذهب اللازم وبالمستشارين وبخبير عسكري يساعده في إعداد قواته. وقام بحلته الأولى سنة 1901م تحت دعوى استعادة ملك آبائه ، ولكنه مُنيَ بفشل ذريع. وعاد للكويت.

وبعد تدارس الأمر قرر عبد العزيز أن يعاود الكرة ولكن تحت دعوى إحياء دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب وأن يتستر تحت هذه الدعوة الدينية المحبوبة من أهل نجد. وفعلا لاقت دعواه التأييد من الناس وتمكن عبد العزيز سنة (1319هـ/1902م) من العودة إلى نجد والاستيلاء على الرياض وإعلان نفسه أميرا. وبدأ بإزالة كل أثر لسلطان بني رشيد في حائل.

ثم بدأ عبد العزيز بجمع أنصار الدعوة الوهابية وكون منهم ما عرف باسم (**إخوان من طاع الله**) ، وكانت أشبه بميليشيا مسلحة من المجاهدين العقائديين الذين عرفوا بالبأس وشدة الأيمان. وتوسعت قوات عبد العزيز فتحرك بهمة ونشاط وأثبت كفاءته ودهاءه.

ثم فتح القصيم سنة (1321هـ/1903م) بعد انتصارين حاسمين في (البكرية والشنانة) وتم الانتصار النهائي على ابن رشيد في موقعة (روضة مهنا) بالقرب من مدينة بريدة في سنة (1334هـ/1913م) وبذلك انتهى حكم الأتراك للأحساء والذي دام 42 سنة.

وبعد الحرب العالمية الأولى ... لقب عبد العزيز بسلطان نجد وملحقاتها.

وكان لبريطانيا في تلك الأوقات عميل آخر يعمل في منطقة الحجاز مع الأشراف هو العميل الشهير (لورنس العرب) ، وكان قد خدع الشريف حسين –كما مر معنا – بأنهم سيساعدوه على قيام خلافة عربية في الجزيرة العربية والشام والعراق إن هو حارب الخلافة العثمانية إلى جانبهم ، وهو ما فعله تحت اسم الثورة العربية الكبرى. ثم خدعته بريطانيا وقسمت مملكة أحلامه بينها وبين فرنسا. وأصبح على البريطانيين أن يختاروا لجزيرة العرب أحد العميلين (عبد العزيز) و (الشريف حسين) ، وبعد مداولات ومشاورات ، وقع خيار وزارة المستعمرات البريطانية على أتعس التعيسين ، فاختاروا عبد العزيز ، ونفوا المخدوع الآخر ليقضي بقية حياته ويموت منفيا في قبرص !

وبعد ذلك أرسل حملتين إلى الحجاز واستولى عليها وصار لقبه (ملك الحجاز وسلطان النجد وملحقاتها. وكان عزم الإنكليز معقودا على تمليك السلطان عبد العزيز جميع أجزاء

الجزيـرة العربيـة فاسـتطاع أن يـدخل عسـيرا ونجـران في حـدود مملكتـه. وفي عـام (1350هـ/1932م) أصدر الملك عبد العزيز مرسوما وحد به أجزاء المملكة الحجازية والسلطنة النجدية والإمارات الأخرى وأسماها البريطانيون هذا الإسم المنكر العجيب باسم أسرة عميلهم فولدت الدولة التي سميت (**المملكة العربية السعودية**) !

كان إخوان من طاع الله قد صدقوا دعاوى ابن سعود الدينية، وهموا بالاستمرار بنشر دعوة التوحيد في الجوار نحو العراق والكويت واليمن والشام ..، ولكن البرنامج البريطاني كان غير ذلك ، ولم يرد الإنكليز من دعوة التوحيد إلا ستارا لبرنامجهم في تمليك آل عبد العزيز أل سعود المنطقة التي رسموا حدودها. فبدأت النفرة بين عبد العزيز و(إخوان من طاع الله) الذين كانوا وقود قيام ملكه ! كما أنكر الإخوان على عبد العزيز عدو أشياء منها تسميه بالسلطان صاحب الجلالة ، ومنها كثرة مستشاريه الإنكليز والتزامه مشورتهم، ومنها ما لاحظوه من بدء تسلل النكهة العصرية لنظامه ، وآل الأمر للحرب بين عبد العزيز والإخوان ، فساعده الإنكليز بضرب تجمعاتهم بالطائرات ، وزحف بمن والاه من القبائل والأعوان فقضى عليهم في الموقعة الشهيرة باسم (**موقعة السِبِيْلَة**) فذبح دعاة التوحيد وقتل أكثرهم، وتفرق من بقي حيا في القرى والقفار ..، وبعد السبيلة طار المستشارون الإنكليز فرحا ورموا كوفياتهم العربية في الهواء استعلنوا بملابسهم وهويتهم.

بعد ذلك أبرم عبد العزيز مع الإنكليز معاهدة تلتزم بموجبها حكومة جلالة الملكة اليزبيت بحصر ملك السعودية في عبد العزيز وذريته من بعده ، على أن لا يبرم أمرا ولا قرارا سياسيا إلا بمشورتهم، ووقع المندوب البريطاني والملك عبد العزيز بذلك وثيقة نشرت من قريب فيما نشلا من وثائق وزارة الخارجية البريطانية ، وتناولتها الكتب ووسائل الإعلام ! ، كما اشتهرت وثيقة أخرى اعترف فيها عبد العزيز بحق اليهود في فلسطين ، حيث ساعدهم ولده ووزير خارجيته (فيصل) على إجهاض الثورة الكبرى ضد المهاجرين اليهود سنة (1936م) كما مر ذكر ذلك في الفصل الأول. ثم ظهر النفط وتناهبته الشركات البريطانية، ثم الأمريكية.

وبعد الحرب العالمية الثانية ، وبروز أمريكا كقوة عظمى ، وتراجع حجم ودور بريطانيا نسبيا. ورثت أمريكا السيطرة على معظم المستعمرات البريطانية بعد أن غابت عنها الشمس وحتى القمر وصارت ذيلا لأمريكا !

وبدهائه أدرك عبد العزيز التحولات الدولية ، واجتمع بالرئيس (اليهودي) روزفلت على ظهر بارجة حربية أمريكية ، وتعهدت له أمريكا ولورثته بما تعهدت به بريطانيا ، كما تعهد لهم وذريته بما كان قد تعهد للإنكليز من قبل من الولاء والطاعة والعمالة ، وهو ما حصل وما يزال يحصل مما شهدنا في هذه الأيام النحسات الأخيرة ! وفي عام (1373هـ/1953م) توفي الملك عبد العزيز.

ثم خلف الملك سعود أباه سنة (1953م) وبايعته الأسرة والعلماء، ولكن سعود اقتنع بالأفكار القومية التي ازدهرت في بلاد العرب آنذاك ، كما استعلن بأفكاره العصرية وسلوكياته الفاسقة المجاهرة، فاجتمعت الأسباب على خلعه ، وما قامت به الأسرة والعلماء. فخلع سنة (1964م). وخرج أبناؤه ليقيموا في الغرب، ولتصبح بناته وأحفاده مادة لمجلات أخبار الجنس والخلاعة والبذخ الفاجر مما نهبوه من حصتهم من أموال المسلمين. حتى نشرت بعض المجلات صورة لبعض أولاد بناته من السفاح والزنا.

ثم تولى الحكم الملك (فيصل بن عبد العزيز) الذي استمر حكمه إلى عام (1975م).

ويعد الملك فيصل مؤسس السعودية الحديثة ، ومؤسس العلمانية فيها ، فقد شهدت المملكة في عصره طفرة النفط ، وتدفقت الأموال الطائلة على خزينته. ولكونه قد عمل وزير خارجية لأبيه أكثر عمره، فقد كان محنكا متمرسا بالسياسات الدولية ، وقد شهدت البلاد في عهده ثراء وعمرانا ، وتطويرا في التعليم ، وأنشأ الإذاعة والتلفزيون السعودي على الأسس العصرية وما فيها من الفسوق والعصيان والموسيقى وتكشف النساء والفتن ..، ولما ثار على ذلك بعض الأمراء من أولاد إخوته ممن فيهم بعض النخوة والصلاح قمعهم وقتل زعيمهم. ولكي يكبح جماح العلماء الوهابيين ورئيسهم العالم الصالح- كما نحسبه - (مُحَمَّد

بن إبراهيم آل الشيخ) ، تفتقت عبقرية فيصل عن تقنين المؤسسة الدينية فنشأت في عهده فروع المؤسسة الدينية الرسمية ، وعلى رأسها هيئة كبار العلماء ، ولجان الفتوى والدعوة والإرشاد ، وهيئة القضاء الأعلى ، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ... إلى آخر تلك الهيئات. ومن أجل الدور العالمي الذي ستلعبه السعودية لمكانة الحرمين فيها ولقدراتها المالية ، ولكي ينافس عبد الناصر الذي سعى لتزعم العرب، وأنشأ لذلك المؤسسات والإذاعات ... تفتقت عبقرية السعوديين بمشورة أسيادهم عن إنشاء مؤسسات دينية عالمية لزرع مشروع الهيمنة الروحية على العالم الإسلامي، فأنشئت: (رابطة العالم الإسلامي) و (الندوة العالمية للشباب الإسلامي) و (الهلال الأحمر السعودي) و (هيئة الإغاثة العالمية) ...

وبنيت المؤسسات الدينية في الداخل على طريقة هيكل الـ (فاتيكان) وجعل على رأسها ما يشبه الـ (بابا) ، فاستحدث منصب مفتي الديار ، ورئيس هيئة كبار العلماء .. وصرفت المليارات في هذه المؤسسات داخليا وخارجيا لفرض حضورها الإعلامي وإثبات هيبتها في الداخل والخارج ونجحوا في ذلك لأسباب كثيرة ، منها أن أكثر العاملين في تلك المؤسسات كان من الصادقين المخلصين الصالحين ، الذين رأوا الآثار القريبة المنظورة لأعمال البر والخير، ولم يدركوا أهداف من أوجدها وأهداف أسيادهم.

وفي أخر عهده شهد فيصل – كما يقول بعض الناس – تحولا نحو النخوة والصلاح ، وصار يأمل في استرداد القدس ، وحاولت المملكة في عهده لعب دور أساسي في السياسات العربية والإقليمية والدولية .. دخل الملك فيصل في حرب مع التيار القومي واليساري في العالم العربي، ومثلت السعودية طليعة ما سمي بـ (الرجعية العربية) ، أو التيار (اليميني العربي) الموالي لأمريكا والغرب ، في مواجهة قوى اليسار الاشتراكي والقومي والشيوعي العربي ، الذي تزعمه عبد الناصر، والبعثيون في سوريا والعراق وأمثالهم ..، ودخل فيصل مع مصر عبد الناصر في حرب بالوكالة على أرض اليمن حيث دعمت السعودية الإماميين ودعم عبد الناصر الجمهوريين.

وفي حرب 1973م بين العرب وإسرائيل ، قرر العرب استعمال سلاح النفط ضد إسرائيل وأعوانها في الغرب ، فنفذ الملك فيصل قرار حظر النفط عن الغرب ، فارتبك الاقتصاد العالمي ، وظهر أثر هذا السلاح الاقتصادي الخطير ، وقررت أمريكا قتل الملك فيصل. كما وضعت سياسات بعيدة المدى لإحتلال الخليج والسيطرة على منابع النفط عسكريا وهو ما ينفذ منذ 1990م. وفعلا استطاعت أمريكا تجنيد أحد أولاد أخوة فيصل ، وكان من أحد الأمراء المتسكعين في مواخير أوربا وأمريكا من الزناة الخمارين ، وما أكثرهم في آل سعود وأشباههم. في الأسر الحاكمة في عالمنا الإسلامي المنكوب .. فتسلل لقصر عمه واغتاله ، وهكذا قُتل فيصل وانتهى عهده. والله أعلم بحاله وعلى أي حال ونية لاقى ربه.

ثم تولى الحكم بعد وفاة الملك فيصل أخوه خالد بن عبد العزيز. وبويع لأخيه فهد بولاية العهد من بعده. واستمرت المملكة في عهده على النهج التبعي لأمريكا والغرب ، وبلغت النهضة العمرانية والتحديث في عهده ذروتها في مختلف المجالات.

وخلال حكم خالد كان الحاكم الفعلي هو فهد ولي العهد ، ثم توفي خالد فجأة ، وقيل أنه مات مسموما ، ليحل الأعور الدجال مكانه ويتولى كبر الكفر والعمالة على أرض الحرمين.

وبعد وفاة الملك خالد ، تولى الحكم الملك فهد بن عبد العزيز الذي كان مشهورا بمجونه وفسقه ولياليه الحمراء في منتجعات أوربا وأمريكا الراقية المعدة لأمثاله من أغنياء الداعرين. كما اشتهر كواحد من أكبر المقامرين في صالات القمار في أوربا وأمريكا ، حتى كتبت عنه إحدى الصحف البريطانية تحت عنوان : (الأمير الذي خسر ستة ملايين باوند وخرج يضحك !!) وذلك عندما خسر في إحدى صالات لندن ما يعادل عشرة ملايين دولار ! وصورته الصحافة مبتسما ، لم تهزه تلك النازلة ، لا بارك الله فيه.

تولى فهد والصحوة الإسلامية في المملكة تعيش عصرها الذهبي ، بعد أن صارت المملكة ملجأ للإسلاميين الفارين من الحكومات العسكرية المجرمة في مختلف بلاد العالم

العربي والإسلامي ، ولاسيما من مصر ثم سوريا حيث خاض الإخوان المسلمون وما انشق عنهم من التنظيمات الجهادية مواجهات مسلحة. وأدى لجوء كبار الإسلاميين إلى السعودية إلى تمازج صحوتها السلفية الوهابية بالأفكار الحركية السياسية والجهادية الإسلامية الوافدة من مصر والشام وغيرها ، وكانت سياسة السعودية استيعاب تلك الظاهرة باعتبار الهوية التي ترفعها ولظروفها الخاصة.

ثم تبنت المملكة بإيعاز من أمريكا دعم الجهاد الأفغاني ، وفتحت الباب على مصراعيه لمن أراد النفير بماله وبنفسه ، وأدى هذا لارتياد عشرات الآلف من السعوديين لأفغانستان وتأثرهم بالأفكار الجهادية المعاصرة التي بنيت على مسائل الحاكمية ، وأدى كل هذا إلى تطور الصحوة الإسلامية في المملكة في تلك الفترة ، في نفس الوقت الذي فتح فيه فهد الباب على مصراعيه لتيار الحداثة والعلمنة ، وأدى هذا إلى حالة من الفرز في المجتمع السعودي بين هذه التيارات ، بالإضافة للتيار الديني الرسمي المتحالف مع الملكية الديكتاتورية المطلقة. وما يزال هذا الصراع على أشده إلى اليوم بين هذه التيارات الثلاثة.

وبعد غزو العراق للكويت وتهديده السعودية ، كما برمجت أمريكا مع صدام واستدرجته لذلك ، حضرت القوات الأمريكية والمتحالفة معها وضربت بجرانها في السعودية وما حولها من إمارات النفط ، وأدى هذا لحالة غليان في السعودية بعد عودة الجهاديين من أفغانستان إلى قواعدهم سالمين. مما أدى لطرح فكرة جهاد الحكومة السعودية والخروج عليها لعمالتها للأمريكان ولتفشى التشريعات الوضعية في قوانينها. ونتيجة تراكم مختلف مظاهر الفساد نشأت دعوات إصلاحية سياسية سلمية عديدة بين إسلامية وعلمانية ، وبدأت الأوضاع السياسية في مملكة فهد تضطرب منذ مطلع التسعينات ، ليصل الأمر إلى ذروته بخروج الشيخ أسامة بن لادن على الحكومة ودعوته لجهادها بعد أن أطلق شعار **إخراج المشركين من جزيرة العرب**.

وبعد أحداث سبتمبر 2001م التي نفذها استشهاديون سعوديون في معظمهم. وبعد احتلال أمريكا للعراق، وتواجدها الكثيف في المنطقة ، كشرت أمريكا عن أنيابها وكشفت

عن برامجها التي من ضمنها إحداث تغييرات في الأوضاع في السعودية ، مما وضع مستقبل الأسرة السعودية منذ سنة 2003 م على كفّ العفريت الأمريكي. وصدق رسول الله ﷺ ، **فمن أعان ظالما على ظلمه سلطه الله عليه.**

وفي مطلع سنة 2004م تفجرت أحداث ثورة جهادية مسلحة تستهدف الأمريكان والتواجد الغربي في السعودية ، كما تستهدف الأسرة الحاكمة وأجهزتها الأمنية على حد سواء ، لتصبح السعودية ميدانا جديدا للمواجهة المكشوفة بين المسلمين وطليعتهم الجهادية وصحوتهم الإسلامية وبين أمريكا وحلفائها وطليعتهم من قوى الردة والنفاق من حكام العالم العربي والإسلامي ، حيث تأتي الأسرة الحاكمة في السعودية ومؤسستها الدينية الرسمية في طليعة هذه الجبهة من المرتدين والمنافقين.

ويحتاج التأريخ للدولة السعودية المعاصرة وعلماءها المنافقون ، في عهد عبد العزيز وذريته إلى مجلدات كبيرة متخصصة تسجل تاريخهم الأسود وما ألحقوه من المصائب بأمة مُحَمَّد ﷺ ، محليا ، وعلى الصعيد العربي والإسلامي والدولي. فقد قام ملوك هذه الأسرة الذين بلغوا خلال القرن العشرين (1901- 2004م) زهاء (7000) أمير، وكونوا قبيلة (يأجوج ومأجوج) مصغرة محلية في جزيرة العرب وبلاد الحرمين. فأذلوا العباد وأظهروا في الأرض الفساد، وإذا كان يأجوج ومأجوج سيشربون الفرات وبحيرة طبريا كما في الآثار ، فقد شرب يأجوج ومأجوج آل سعود، بحيرة نفط الجزيرة ، وضخوها في شرايين اليهود والنصارى ، وقاموا بكل أشكال حرب الله ورسوله والمؤمنين.

فعلى صعيد المملكة التي أسموها باسم من خلَّفهم ، دسوا التشريعات الوضعية في ثنايا قوانينهم ، وضربوا بعرض الحائط بكل ما راجعهم فيه بعض علمائهم الصالحين من أمثال مُحَمَّد بن إبراهيم الذي كتب فيهم وفي أمثالهم (رسالة تحكيم القوانين) وأفتى وحكم كما كثير ممن عاصره من علماء الجزيرة بكفر من حكم القوانين الوضعية. أو خلطها بالشريعة الإسلامية. كما شهدت سياساتهم الداخلية والخارجية موالاة مطلقة للغرب ولاسيما لأمريكا ، إلى أن ظهر هذا منهم جليا في معاونتهم والقتال معهم وتقديم الخدمات

العسكرية وغيرها لهم في الحروب الأمريكية الأخيرة في المنطقة. وأما على صعيد قتل وسجن الذين يأمرون بالقسط من الناس فحدث ولا حرج عن جرائمهم ، وأما فسادهم وفسوقهم وهدرهم لأموال المسلمين في مغامراتهم الفاسقة على موائد الخمور والقمار ، ومواخير المترفين ، فقد صاروا مادة للإعلام. ويكفي أن نورد خبرا نشرته إحدى الصحف التي تعنى بأخبار الأغنياء في العالم ، حيث قالت أن مصروف الأمير سلطان اليومي ، (وانتبه : اليومي !) هو 3 مليون دولار ! ، وأما فهد فهو الأمير الذي خسر 10 مليون دولار وخرج يضحك ، قبحهم الله ! ، وما زال يدفع – بحسب ما تواتر من أخباره في وسائل الإعلام والكتب – شيكات الابتزاز للعديد من المومسات ومضيفات الطيران ، والغانيات من عميلات أجهزة الاستخبارات اللواتي قضى في أحضانهن أيام شبابه ، فأخذت له الصور التذكارية سرا ، ليدفع ثمنها ابتزازا في المواقف والسياسات الداخلية والخارجية للمملكة ، وليسدد للمومسات حقوق التقاعد والشيخوخة !

كما دعم ملوك السعودية المتوالين على الحكم ، بمئات ملايين الدولارات كل طاغوت من طواغيت بلاد العرب والمسلمين اهتز عرشه في مواجهة المجاهدين له ، فساندوا النصيرية إبان الجهاد في سوريا ، وساندوا حكومة الجزائر في مواجهة المسلمين ، وساندوا الشيوعيين في اليمن في حربهم مع الشماليين ، وساندوا النصارى الموارنة ضد المسلمين والفلسطينيين في الحرب الأهلية في لبنان ، وساندوا حتى (الديكتاتور ماركوس) في الفلبين ضد المسلمين، وساندوا (بوتين) ضد المجاهدين الشيشان ، ودعموا حكومة الهند وهي تذبح المسلمين في كشمير وآسام، ومولوا حرب أمريكا ضد الطالبان ، ... وقائمة جرائمهم العلنية فضلا عن السرية تطول.

وأما جريمتهم الكبرى في تبديد مليارات المليارات من أموال النفط، فمن يتأملها يتملكه الجزع والقهر ، فالسعوديون أكبر بلد منتج للنفط في التاريخ ، إذ تصدر المملكة أكثر من 10 مليون برميل يوميا ، عدا الصادرات الأخرى وموارد الترانزيت ، أي ما يربو على نصف مليار دولار يوميا كلما أشرقت الشمس وغربت .. ومعظم هذه الموارد تصب في

بنوك اليهود والصليبيين ، وتدفع منها السعودية فواتير طائلة في تنفيذ السياسات الأمريكية. وهذا بحث يطول ، والمنشور منه في الكتب والمؤلفات كثير جدا لمن أراد استقصاءه ، ويكفي أن نذكر أن من آخر ما تسرب للإعلام خبر دفعهم رشوة مالية كبيرة للحكومة الأسبانية في عهد (أثنار) لكي تتحالف مع بوش في غزوه لإحتلال العراق سنة 2004م، والله أعلم بكمية المبالغ ! فتأمل. فقاتلهم الله. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(7) الكويت :

كانت منطقة الكويت تعرف باسم " القرين" ، أما " الكويت" فهو تصغير لكلمة "كوت" وهي منطقة مجاورة لها. وهي ميناء صغير بناه (مُحَمَّد بن عريعر) زعيم قبيلة بني خالد التي كانت تسيطر على المنطقة.

بدأ تاريخ الكويت الحديث بهجرة " **آل الصباح**" من نجد. حيث اتفقوا مع بني خالد على إدارة شئون البلاد إدارة مشتركة. لكن آل الصباح استقلوا بحكم الكويت سنة (1170هـ/1756م) ، وترأسهم الأمير (صباح الجابر) الذي لقب بصباح الأول.

وحصل خلفه (الشيخ عبد الله المبارك) عام (1292هـ - 1876م) على لقب قائم مقام في المنطقة من الأتراك العثمانيين ، ثم تولى بعد ذلك الشيخ (مبارك بن صباح الثاني) الحكم خلال (1313هـ -1896/1334م-1917م) .

وقد رأى الشيخ مبارك كي يحفظ الملك في أسرته بدعم من بريطانيا، أن يوقع معاهدة حماية مع بريطانيا عام (1316هـ/1899م). وأصبحت بريطانيا بعد هذه المعاهدة مسؤولة عن علاقات الكويت الخارجية!.

وفي سنة (1915م) توفي الشيخ (مبارك الصباح) الذي يلقبه المبشرون والمنصرون الأوربيون في كتبهم بلقب (مبارك العظيم) ، ويثنون على خدماته في تسهيل دخول النشاط التنصيري إلى جزيرة العرب ومنطقة الخليج العربي !. كما يثني عليه الإنكليز كواحد

من أخلص أعوانهم ومستشاريهم ، وقد أسلفنا أنه كان وراء اقتراح آل سعود وجبارهم عبد العزيز لمهمة السيطرة على بلاد الحرمين ونجد وتوابعها ضمن البرنامج الإنكليزي للسيطرة على جزيرة الإسلام والمسلمين. وتكفيه هذه مفخرة موبقة بالإضافة لخدماته الجليلة بوضع الكويت تحت الحماية البريطانية ليحافظ على حكمه ، وتسليمهم قرارات البلاد الخارجية وسياستها الداخلية ، ودعمه للمنصرين.

وفي سنة (1921م) تولى (الشيخ أحمد الجابر) الحكم وشهدت فترة حكمه التنقيب عن البترول وتصدير أول شحنة من النفط الكويتي سنة (1946م). وكذلك نظمت في زمنه الإدارات الحكومية المختلفة ، وتم استقدام البعثات التعليمية. ودخل النفوذ الأمريكي إلى جانب النفوذ البريطاني.

ثم خلف (الشيخ أحمد الجابر) ابن عمه (عبد الله السالم الصباح) عام (1950م) وقد أحدث في الكويت انتفاضة اجتماعية وثقافية وسياسية. وفي عهده أعلن استقلال الكويت في (يونيو 1961م) لتنضم للجامعة العربية والأمم المتحدة سنة (1382هـ/1963م).

ثم خلفه الأمير الحالي (جابر الصباح) ، وفي عهده صارت الكويت أفسد دول الخليج العربي في مجالات الدين والأخلاق والسياسات العلمانية ، حتى صار الدين والشريعة مادة للهزء والسخرية في صحفها الرسمية. حتى أعلن فيها عن تولى كويت متنصر مرتد رتبة في الكنيسة ، وحتى حكمت محكمة على كاتبة كويتية تنقصت من الذات الإلهية ، بغرامة 100 دينار كويتي والسجن شهرا مع وقف التنفيذ !! – تعالى الله عن جحود الجاحدين.

وأما تحول الكويت لقاعدة أمريكية حقيقية ، وممرا ومرتكزا لعبور القوات الأمريكية لإحتلال المنطقة. فأشهر من أن نضيع الصفحات في شرحه هنا. فقد منحت الكويت القوات الأمريكية والبريطانية 60% من أراضيها كقاعدة عسكرية للمناورات للهجوم لاحتلال العراق سنة 2003 م. والتفاصيل مشهورة. وأما دعم حكومتها كما حكومة

السعودية وكافة دول الخليج بالأموال الطائلة لحرب الإسلام والمسلمين ، فمشهور ، ويكفي أن نورد مثالا على ذلك مما يحضرني من الذاكرة ما اشتهر من دعم الكويت لحكومة موسكو الشيوعية بـ (4 مليار دولار) فيما كان المجاهدون الأفغان يدقون أبواب كابل قبيل سقوطها سنة 1992م وكان الإفلاس يهدد الجيش الأحمر بالإنحلال ..

(8) **قطر**:

تقع شبه جزيرة قطر داخل الخليج العربي ، وعاصمتها "الدوحة" وهي منطقة غنية بالبترول والغاز. وكانت قطر جزءا من ساحل الخليج العربي الذي كان يسمى البحرين. وفي عام (1360هـ/1842م) عين الشيخ مُحَّد خليفة (أحد رؤساء القبائل) واليا على قطر فحاول أن يستقل عن آل خليفة ، واشتبك معهم في قتال هزم فيه ، وعاد آل خليفة لحكم قطر.

تنازع السعوديون مع آل خليفة على حكم قطر ، واشتبكوا معهم في قتال عنيف انتهى لصالح السعوديين الذي أصبحوا يحكمون قطر. وكان أول المبايعين مُحَّد بن ثاني الذي تولى زعامة قبيلته ؛ ومنذ ذلك الحين ظهر آل ثاني في قطر. و حاول الشيخ مُحَّد بعد ذلك الانفصال عن حكم آل خليفة والانفراد بالحكم فجرت معارك بين الطرفين. انتهت عام (1299هـ/1882م).

على أن محاولة الشيخ مُحَّد أثمرت في عهد ابنه قاسم الذي اعتبر مؤسس إمارة آل ثاني المستقلة تحت سيادة الخلافة العثمانية في قطر ؛ إذ إنه وحد قطر واستقل عن البحرين.

ثم تولى بعده ابنه الشيخ عبد الله من (1331هـ/1913م) إلى (1368هـ/1949م).

وفي عهد الشيخ عبد الله فقدت قطر سيادتها واستقلالها وأصبحت تحت الحماية البريطانية، كجاراتها. وعقدت معاهدة حماية سنة (1334هـ - 1916م) وفي فترة

حكمه تم اكتشاف البترول في قطر. ثم توفي الشيخ عبد الله ، وخلفه ابنه الشيخ علي من (1368هـ/1949م) إلى 1379هـ/1960م) وانسحبت بعد ذلك بريطانيا من الخليج لتعلن قطر استقلالها عام (1390هـ/1971م). حيث دخلت كليا في النفوذ الأمريكي كما حصل لجيرانها.

وفي سنة (1391هـ/1972م) قام الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني بالاستيلاء على السلطة في البلاد ، وأعطتها بريطانيا الاستقلال عن الحماية البريطانية. وتحسنت أحولها الإقتصادية والاجتماعية مستفيدة من ثروة النفط الذي بدأ إنتاجه وتصديره منذ عام (1949م).

ثم ظهر الغاز في قطر وصارت من أولى الدول المصدرة له في العالم. ثم عزل أمير قطر الحالي أباه أواخر التسعينيات وتولى السلطة، وبدأت قطر في عهده تحاول لعب دور إقليمي في المنطقة ، وتناوئ السياسات السعودية. وتشهد تحولات سياسية تطويرية جريئة مقارنة بنظم الحكم الشمولية في الخليج العربي. وكان من أنجح سياساتها تلك ، إنشاء قناة الجزيرة الفضائية الجريئة المشهورة ذائعة الصيت.

وفي حرب احتلال العراق سنة 2003م ، نقلت أمريكا كما هو معروف قيادة جيوشها قواتها التي تتحرك فيما تسميه منطقة العمليات الوسطى إلى الدوحة في قطر ، وهي القيادة المسؤولة عن زهاء مليون جندي في المنطقة الممتدة من وسط آسيا إلى المغرب الأقصى. وقد أدارت أمريكا من قاعدة (السيلية) قرب الدوحة عمليات القصف الجوي والصاروخي والحرب الإلكترونية ، ثم الإحتلال البري للعراق والذي زحف من خلال أراضي الكويت. كما كان فيها المركز الإعلامي للقوات الأمريكية أثناء الحرب. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(9) البحرين :

هي مجموعة جزر تقع في الخليج العربي بين شبه جزيرة قطر وساحل الأحساء، وتحتوي على إحدى عشرة جزيرة أكبرها جزيرة البحرين ، وكانت من قبل تعرف باسم جزيرة "أوال" حكمها آل خليفة من قبيلة العتوب ، وقد وطدوا علاقتهم بآل سعود ضد العثمانيين.

ثم توطد مركز بريطانيا في البحرين بعد الحرب العالمية الثانية ، ففي سنة (1365هـ / 1946م) أصبحت البحرين قاعدة للاستعمار البريطاني في الخليج.

ثم أعلنت بريطانيا سنة (1390هـ/1971م) استقلال البحرين وصدر قرار بتسميتها " دولة البحرين " في عهد عيسى بن سلمان أمير البحرين ، ثم توفي أمير البحرين وخلفه ولده حمد بن عيسى ، وفي سنة 2002 م قرر هذا (الحمد) تحويل البحرين إلى مملكة ! وسن دستورا وأعطى بعض الحريات ، ولقب نفسه بصاحب العظمة ملك مملكة البحرين ! (العظَمة بفتح الظاء دفعا للحرج ! مع استحقاقه للسكون على ظائه بجدارة) علما أن مملكة عظمته لا تزيد مساحتها عن 600 كم مربع. أي ما يزيد قليلا عن مساحة ملعب كولف متوسط ، ولله في خلقه شؤون.

وقد حول الأمريكان البحرين إلى ماخور لاستجمام واستراحة عساكرهم المحاربين في المنطقة حيث ، نقلوا إلى هناك فرق من العاهرات من دول أوربا الشرقية ومختلف الدول الخليفة ومنها بعض العربية ! إبان حرب تحرير الكويت ، وحرب تحرير العراق ، وما ننتظره من تحريرات تالية – والله أعلم – ببركات أصحاب العَظْمة والجلْلالة والسيادة والمعالي .. وعلمائهم المنفوخين من أصحاب السماحة .. قبحهم الله.

(10) الإمارات العربية المتحدة :

تقع هذه الدولة على طرف الجزيرة العربية الشرقي محاذية للخليج العربي وخليج عمان لتشمل سبع إمارات هي:- أبو ظبي ، ودبي ، والشارقة ، وأم القوين ، وعجمان ، ورأس الخيمة ، والفجيرة. وقد سادت قبيلة القواسم هذه المناطق ، وقامت بنشاط بحري ضخم ؛

إذا سيطرت على الملاحة في الخليج في عهد زعيمها رحمة بن مطر القاسمي عام (1159هـ/1747م). وقد نجحت في هزيمة البرتغاليين ، وامتد نفوذها، في المنطقة.

ثم تمكنت بريطانيا بعد حملات من القضاء على القواسم. وعقدت معاهدة مع شيوخ الإمارات. وبموجب ذلك صار المقيم السياسي البريطاني يدير شئون (الإمارات المتصالحة) كما أسموها ، من مركزه في إيران منذ عام (1823م) وحتى عام (1934م). ثم انتقل المقيم السياسي للبحرين عام (1948م) وعين أول ضابط سياسي بريطاني مقيما سياسيا في الشارقة.

ثم أنشئت هناك عام (1953م) دار الاعتماد البريطاني ، وانتقلت لدبي عام (1954م). وفي عام (1968م) أعلنت الحكومة البريطانية انسحابها من منطقة الخليج في مواعد لا يتجاوز (1971م). وبدأت مساعي توحيد الإمارات في دولة واحدة. وفي نفس العام (1968م) اتفق الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبو ظبي مع الشيخ راشد بن سعيد المكتوم حاكم دبي ، وبحث معه اتحاد الإمارتين. تم دعوة الإمارات السبع الأخرى والبحرين وقطر للاجتماع في دبي. وانبثقت من هذا الاجتماع الاتفاقية المعروفة باتفاقية دبي. وتم اختيار الشيخ زايد رئيسا للمجلس الأعلى للاتحاد.

لكن الخلاف دبّ بين الأمراء حول وضع الدستور. وفي سنة (1971م) تم التوصل إلى صيغة اتحاد سباعي يضم إمارات الساحل العماني ، وأعلن مولد " **دولة الإمارات العربية المتحدة** " سنة (1971م) التي ضمت ست إمارات هي : أبو ظبي ، ودبي ، والشارقة، وعجمان، وأم القوين ، والفجيرة ، ثم انضمت بعد ذلك إمارة رأس الخيمة (1972م) إلى الدولة الجديدة التي كونتها بريطانيا واعترفت بها، كما وافقت الجمعية العمومية للأمم المتحدة على قبولها عضوا فيها. فيما نأت البحرين وقطر بنفسها عن الاتحاد الوليد.

يبلغ عدد سكان الإمارات رغم كبر مساحتها النسبية زهاء 250 ألف مواطن فقط ، ويقيم فيها منذ عشرات السنين زهاء مليون هندي معظمهم من الهندوس ، بالإضافة لمليون

آخر من الأجانب فيهم جالية فلبينية نصرانية كبيرة ، وعدد كبير من الأوربيين ولاسيما البريطانيين. وتعتبر الإمارات مركزا لنشاط المنظمات التنصيرية في المنطقة بأسرها. كما أصبحت بعد دخول النفوذ الأمريكي قاعدة جوية وبحرية رئيسية للقوات الأمريكية والبريطانية المحالفة لها. وصارت دبي إحدى أكبر العواصم التجارية العالمية ، ووكرا للفساد والمجون والدعارة على المستوى العالمي ، كما صارت مقرا رئيسيا لإدارة مكافحة الإرهاب ، وفيها مكاتب أمنية أمريكية رئيسية يديرها الأمريكان والبريطانيون بالتعاون مع بعض الإستخبارات العربية ولاسيما المصرية ذات الخبرات الواسعة في حرب الإسلاميين. كما أن القيادة العليا لجيش الإمارات الصغير هم من البريطانيين ، والرتب المتوسطة من المرتزقة الباكستانيين ، والدنيا من متطوعين شتى ! ويرأسهم بعض الجنرالات الفخريين من أبناء الأسرة الأميرية!

(11) عُمان :

تقع عمان في الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه جزيرة العرب. وتعد معقلا للخوارج الإباضية الذي أسسوا بها دولة منذ أواخر العصر الأموي.

وقد تعرضت عمان للخطر البرتغالي ، فتصدى العثمانيون لمواجهتهم ، كما تعرضت لتنافس تركي فارسي نظرا لأهمية موقعها الإستراتيجي. لكن ضعف العثمانيين والبرتغاليين فتح الباب للنفوذ البريطاني والفرنسي. وفي عهد السلطان سعيد بن تيمور ، تمكن من إقرار وحدة عمان بضم واحدة " البوريمي" بمساعدة بريطانيا سنة (1954م) ثم تولى الحكم السلطان قابوس بن سعيد عام (1970م) بعد أن قتل أباه واستولى على السلطة. وقد شهدت البلاد في عهده نهضة سياسية واقتصادية. وفي عهده دخلت سلطنة عمان الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة بعد استقلالها. وتعتبر عمان أحد أهم القواعد العسكرية البريطانية والأمريكية في المنطقة.

(12) **اليمن :**

لم يخضع اليمن خضوعا كليا لحكم الدولة العثمانية ، وفشلت كل الحملات التي نفذت من أجل تحويله إلى إدارة عثمانية ، نظرا لحصانة الطبيعة والتفاف أهله على الأئمة الزيدية في صنعاء.

وقد قامت الأسر الزيدية بالحكم في اليمن من سنة (1506م) في العاصمة صنعاء. وخلال تلك الفترة حدث صراع طويل بين الأتراك والأسرة الزيدية ، وفي القرن التاسع عشر الميلادي اقتصر نفوذ العثمانيين على تهامة وجنوبي اليمن وصنعاء وما حولها.

واستمر الحال إلى أن حصلت هدنة بين العثمانيين واليمنيين ، وعرفت باتفاقية (الدعان) وأثناء ذلك كان الإنجليز يحاولون تثبيت قدمهم في عدن وتوسيع رقعة نفوذهم ؛ وبعد الحرب العالمية الأولى وخسارة تركيا تعهد العثمانيون بالجلاء عن بلاد العرب – ومنها اليمن – فاستولى الإمام يحيى حميد الدين على الملك واستقل بالبلاد سنة (1923م) واعترف العثمانيون باستقلال اليمن. وظل الصراع في اليمن ضد بريطانيا إلى أن أبرمت معاهدة سنة (1934م) التي اعترفت فيها بريطانيا باستقلال اليمن.

ولكنها أبقت مشكلة الحدود في الجنوب. وهكذا بقى النزاع قائما، وبقيت بريطانيا موجودة في الجنوب العربي في عدن. وكررت بريطانيا هجومها على اليمن سنة (1956م). وفي (1957م) ثار عبد الله بن الزير على الإمام يحيي وتمكن من اغتياله واستولى على الحكم في صنعاء. ولكن الإمام أحمد بن يحي نجح في هزيمته واسترداد الحكم.

وفي مارس سنة (1955م) قام انقلاب ضد الإمام أحمد ، لكنه فشل.

وفي سبتمبر سنة (1962م) تفجرت الثورة التي قادها عبد الله السلال باليمن بمساعدة من مصر ، ونجحت في إعلان نظام الجمهورية في اليمن الشمالي.

وكانت بريطانيا قد انسحبت من عدن وسلمت الحكم فيها للشيوعيين ، فاستقلوا في اليمن الجنوبي ، وحاربوا الإسلام والمسلمين. واستعلنوا بالإلحاد وهدموا المساجد وقتلوا العلماء. ثم سلطهم الله على بعضهم فأفنوا بعضهم في حرب ضروس خلال مدة قصيرة.

وكان قد تولى الحكم في اليمن الشمالي (الجاويش) علي عبد الله صالح ، وما زال في السلطة إلى الآن، وقد تمكن بدهائه من الإمساك بزمام الأمور. ثم استغل ضعف الجنوبيين، وسن حرب الوحدة بالتعاون مع الإسلاميين وقبائل الشمال. وتوحدت اليمن بعامته سنة 1993م.

ثم بدأ عبد الله صالح سياسة التقرب من أمريكا ، وتحجيم الإسلاميين وقمع كل أشكال مناوئيه. وبعد أحداث سبتمبر تحالف صالح علانية مع أمريكا في حملاتها لمكافحة الإرهاب. وشن حملات تصفية على الجهاديين ، وخاض الجيش اليمني عددا من المعارك الطاحنة لإخراجهم من حصونهم القبلية – نيابة عن أمريكا - حيث ألحق بالجهاديين خسائر كبيرة ، وما تزال الأحداث متكررة جارية في اليمن إلى الآن.

لتذكرنا بكل مرارة بما قاله شاعرها البردوني وكأنه يصف البلاد ورئيسها ومن امتطى من كبار شيوخها وعلمائها عندما قال يعارض بائية أبي تمام:

ماذا أُحدثُ عن صنعاءَ يا وطني مليحةٌ عاشقاها السلُّ والجربُ

ماذا تَرى يا أبا تمامْ ؟.. هلْ كذبتْ أحسابنا ؟ أمْ تناسى عرقةُ الذهبُ

تَأبى الرُؤوسُ العَوالي نارَ نخوتها إذا امتطاها إلى أسيادهِ الذنبُ

وما زال الأمل بالله أن يبعث من اليمن ببركة دعاء حبيبه المصطفى ﷺ ، من يشبهون جند المعتصم الذين وصفهم البردوني في نفس قصيدته فقال:

سُتونَ ألفاً كآسادِ الشَّرى انطلقتْ وللمنجمِ قالتْ: إنَّا الشهبُ

ولا يحتاج الأمرُ ستون ألفا .. وأسأل الله أي يسلط على (الجاويش) من شباب الإسلام من يشفي بهم صدور قوم مؤمنين ... وما ذلك على الله بعزيز ..

(13) **مصر:**

تنافست إنجلترا وفرنسا لاحتلال مصر أواخر القرن الثامن عشر، نظرا لموقعها الإستراتيجي واهتمت بها بريطانيا خاصة ، لوقوعها في طريق مستعمراتها في آسيا.

ولذلك أرسلت بريطانيا أسطولا تمكن من هزيمة الفرنسيين – بعد احتلالهم مصر بحملة نابليون سنة (1212هـ - 1798م) – في معركة أبي قير البحرية سنة (1212هـ - 1798م)، وبعد جلاء الفرنسيين عن مصر سنة (1801م) ، أرسلت بريطانيا أسطولا لغزو مصر عن طريق رشيد سنة (1212هـ - 1807م)، لكن مقاومة أهلها أدت إلى فشل هذا الغزو.

كان (مُحَّد علي) قد نجح بذكائه في التسلق على أكتاف الحركة الشعبية. واستطاع أن يقنع الناس به فاتخذ العثمانيون قرار بتعيينه واليا على مصر. ونجح في الاستقلال بمصر سنة (1219هـ -1805م) ثم أذعن السلطان سليم الثالث وأصدر فرمانا بتعيينه سنة (1806م)، وكون جيشا حديثا ، وأنفذ البعثات إلى فرنسا لتي أيدته ودست العملاء في مستشاريه في شتى الميادين ولاسيما في مجال التعليم والغزو الفكري الإستشراقي ، فتأسست العلمانية ومدارس الضلال العربية المعاصرة في عهده ، وكانت بوابة البلاء على مصر والعالم العربي كله ، كما سنرى في الفصل التالي.

وقد قام مُحَّد علي بحملات عسكرية ناجحة في السودان وشبه الجزيرة العربية والشام وبلاد اليونان ، لكن تحالف الدول الأوروبية خاف من طموحاته ، فوضعوا له حدا ، أدى إلى فقدانه أحلامه الإمبراطورية بعد هزيمته في معركة نوارين البحرية سنة (1827/1242م) مع البريطانيين ، وإرغامه على الانسحاب من كل الأقاليم التي استولى عليها ما عدا مصر وفق مؤتمر لندن سنة (1255هـ /1840م).

ومع ذلك نجح مُحَّد علي في تأسيس أسرة حاكمة في مصر إذ تولاها بعد وفاته عباس الأول ، ثم سعيد باشا ، ثم الخديوي إسماعيل، ثم الخديوي عباس ... وصولا إلى الملك فاروق أخر حكام الأسرة ، التي انتهت بقيام ثورة يوليو سنة (1271هـ /1952م) التي

تزعمها الرئيس جمال عبد الناصر ورفاقه الذين عرفوا بالضباط الأحرار ، وانتهى الأمر بالملك الفاروق منفيا في إيطاليا حيث عملت أسرته في الدعارة!.

وتجدر الإشارة إلى أنه في عهد الخديوي إسماعيل تعاظم النفوذ الفرنسي في مصر، و الذي كان من مظاهره حصول (فرديناند ديليسبس) على امتياز حفر قناة السويس لتوصيل البحر الأحمر بالبحر المتوسط، وكلف حفر القناة وافتتاحها مصر أرواحا كثير من المصريين وأموالا طائلة ، فوقعت الدولة تحت طائلة الديون ، الأمر الذي أدى إلى تدخل إنجلترا وفرنسا و نجاحهما في الإشراف على الشؤون المالية في مصر عن طريق (صندوق الدين) ، وتشكيل لجنة ثنائية فرنسية إنجليزية لضمان تحصيل الديون.

وكانت فرنسا وبريطانيا قد عقدتا اتفاقا وديا سنة (1801م) جلت بمقتضاه فرنسا عن مصر وتخلت عن أطماعها الاستعمارية في إخضاع مصر لسيطرتها.

وانتهزت بريطانيا فرصة قيام الثورة العرابية بقيادة أحمد عرابي ضد الخديوي توفيق لتحقيق هدفها في احتلال مصر.

فأرسلت بريطانيا حملة على مصر سنة (1299هـ - 1882م). ونجحت في الاستيلاء على الإسكندرية ، ثم هزمت العرابيين عند التل الكبير ، ثم احتلت القاهرة وقضت نهائيا على الثورة العرابية. ولكن حركة المقاومة السياسية ضد الإنجليز استمرت بعد ذلك بزعامة مصطفى كمال الذي حاول استغلال عداء فرنسا لبريطانيا وندد بالإنجليز في المحافل الدولية خصوصا بعد أن اقترفوا جريمة مذبحة دنشواي سنة (1323هـ - 1906م) كما أسس الحزب الوطني سنة (1324هـ /1907م). وكان قد أصدر صحيفة اللواء سنة (1318هـ/1901م) التي فجرت الحركة الوطنية في مصر ضد الإنجليز.

وفي سنة (1337هـ/1919م) قامت ثورة كبرى ضد الإنجليز بزعامة سعد زغلول مطالبة بالاستقلال وإلغاء الحماية البريطانية على مصر التي فرضها الإنجليز سنة (1332هـ/1914م).

وبعد فشل الثورة لجأ المصريون إلى أسلوب المفاوضات لتحقيق الاستقلال ، ثم عقد مصطفى النحاس معاهدة مع بريطانيا سنة (1354هـ/ 1936م) فحققت لمصر استقلالا غير تام.

وظلت إنجلترا تتعاون مع القصر والملك فاروق وأحزاب الأقلية التي شكلت حكومات ضعيفة نجم عن سياستها مزيدا من الفساد ، ثم قامت حركة الضباط الأحرار بزعامة جمال عبد الناصر بثورة (23 يوليوسنة 1952م).

وكانت قد نشأت في مصر أواخر العشرينات حركة إسلامية كان لها بالغ الأثر على مسار الأحداث في مصر والعالم العربي عموما. وهي حركة الإخوان المسلمين التي أسسها الشيخ حسن البنا، الذي وضع أسس حركته التي كانت تهدف إلى إعادة الخلافة الإسلامية وتصحيح أوضاع المسلمين والدعوة إلى العود إلى تحكيم الشريعة الإسلامية والدفاع عن قضايا المسلمين ، وما لبثت الحركة أن دخلت في صراع مع القصر ، والنفوذ البريطاني. وقد انتشرت الحركة مابين (1928م) ونهاية الأربعينات انتشارا واسعا في مصر، وامتدت إلى بلاد الشام وغيرها، وتوجف الإنكليز منها شرا ، ولاسيما بعد مساهمات مجاهدي الإخوان في مصر وسوريا في حرب اليهود سنة (1948م). ثم تآمر الإنكليز والملك فاروق على الحركة ، فأودع المجاهدون العائدون من فلسطين في السجون ، واغتيل الإمام حسن البنا – رحمه الله تعالى وغفر له – ثم كان للتنظيم الخاص (السري) الذي أنشأه دور في مقاومة الإنكليز في منطقة قناة السويس. ثم اتفق الإخوان مع الضباط الأحرار على إسقاط الملك فاروق ، ونجح انقلاب الضباط الأحرار في سنة 1958م، وتولى اللواء نجيب رئاسة الدولة، ثم انتقلت الرئاسة لجمال عبد الناصر الذي تنكر للإخوان وانقلب عليهم وأودع قياداتهم في السجون سنة 1954م، وأعدم بعضهم من أبطال مقاومة الإنكليز. ثم أعلن عبد الناصر تأميم قناة السويس وحصلت الحرب التي دعيت بالعدوان الثلاثي على مصر سنة 1956م. واشتركت فيها بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ، ووفرت هذه الحرب لعبد الناصر الدعاية الكافية لدعوته الحماسية للقومية العربية ، والوحدة العربية ، والأفكار الإشتراكية ،

والدعوات التحررية التي نادى بها ، وكانت كثير من بلاد العالم العربي تشهد حركات تحررية تحمل تلك الأفكار ، كما كان لعبد الناصر تحركا دوليا ، مع بعض الزعماء العالميين ، ولاسيما دعوة تجمع دول عدم الانحياز إلى جانب الزعيم اليوغوسلافي الشيوعي (تيتو)، والزعيم الهندي (نهرو) ، والإندونيسي (سوكارنو) حيث عقد في بلاده مؤتمر باندونغ (1954م) ، وكانت تلك الأفكار ميالة للإتحاد السوفييتي فيما عرف بسياسة الحياد الإيجابي في الصراع الأمريكي السوفيتي ... وقصة عبد الناصر تطول وهي مرحلة مهمة في تاريخ مصر والعالم العربي، وليس هنا محل استقصائها .. وسرت أفكار عبد الناصر ودعاياته في العالم العربي الذي كانت تروج فيه دعوة القومية العربية وتنشأ الأحزاب السياسية المختلفة على أساسها. وفي سنة 1958م توصل القوميون العرب في سوريا وعبد الناصر إلى إعلان الوحدة التي طبلت لها الجماهير وزمرت ، ثم انفصمت الوحدة خلال 3 سنوات. وقد حكم عبد الناصر مصر حكما استبداديا فرعونيا ، وأنشأ لذلك أجهزة أمنية واستخباراتية استباحت دماء العباد وأعراضهم وحرماتهم. وقد نشرت عشرات الكتب والدراسات عن تلك الحقبة السوداء بما يغني عن الشواهد هنا ..

وقد بطش (الزعيم الملهم) كما أسموه بكل معارض له ، وكان للحركة الإسلامية وخاصة الإخوان المسلمون النصيب الأوفر من ذاك البطش الذي بلغ ذروته سنة 1965 م، إذ أعلن عبد الناصر الحرب عليهم خلال زيارة له لموسكو ، وافتخر بأنه أدخل السجن (17 ألف) رجل منهم في ليلة واحدة ! ، ثم أعدم كوكبة من خيرة أبناء مصر كان على رأسهم الشهيد المعلم الأستاذ سيد قطب ، – رحمه الله وجمعنا به في عليين –. ودخل عشرات الألوف من الإخوان سجون عبد الناصر منذ 1954م على مراحل ، ولم يخرج أكثرهم إلا في عهد خلفه السادات أواسط السبعينيات!

وخلال حكم عبد الناصر ، عم الفساد أجهزة الدولة وانتشرت الخلاعة والمجون ولاسيما في قيادات الجيش وأجهزة الإستخبارات ، وتمكن الموساد الإسرائيلي من زرع العملاء في قيادات الجيش الذي غرق قادته وقادة الأمن في الدعارة و الانحلال. وفي

صبيحة الخامس من حزيران (يونيو) سنة 1967م ، كانت مصر على موعد مع نتائج تلك الحقبة التي عبد فيها أكثرهم الرجل الوثن ، وخلال أقل من نصف ساعة وفيما كان كبار قادة وضباط الجيش المصري يغطون في نومهم بعد ليلة حمراء قضوها زناة مخمورين ، كان الطيران الإسرائيلي يدمر سلاح الطيران المصري وهو في مطاراته على الأرض. وهكذا تُركت القوات البرية المصرية تحت رحمة الطيران الإسرائيلي الذي نفذ فيها مجازر مروعة. لتنجلي معركة الأيام الستة عن احتلال اليهود لصحراء سيناء وصولا إلى ضفة قناة السويس. فيما تكفل البعثيون والنصيريون في الجبهة السورية ببيع مرتفعات الجولان لإسرائيل، وتولى حافظ الأسد –كما مر معنا إعلان سقوط الجبهات والانسحاب الكيفي منها قبل وصول اليهود إليها بأربع وعشرين ساعة. ثم مرر عبد الناصر وعباده مسرحية استقالته بعد الهزيمة ، وخرج الغوغاء إلى الشوارع هاتفين بحياته وبقائه في السلطة. وبعد سنتين من الهزيمة توفي عبد الناصر سنة 1969م. وبعد وفاته نشرت الكثير من الكتب عنه بين من ذهب به مذهب التقديس. إذ انتشر ما عرف بالأحزاب الناصرية في مصر والعالم العربي ، وذهب البعض إلى الاعتقاد بما نشره بعض المتقاعدين من الإستخبارات الأمريكية وغيرها، حيث أثبتوا أنه كان عميلا للاستخبارات الأمريكية وأنه نفذ برنامجا معدا معهم منذ البداية وإلى النهاية ، ومن أشهر تلك الكتب كتاب (لعبة الأمم) لمؤلفه (كوبلاند) الذي فصَّل في تلك الفرضية التي رفضها محبوه واعتبروها دعاية صهيونية! ومهما يكن من أمر التكهنات ، فالوقائع التي لا مجال للمماراة فيها أنه كان طاغوتا جبارا ملحدا في دين الله ، ذاقت مصر وأبناؤها في عهده الويلات. وتركها بعده قاعا صفصفا من الفقر والفساد، وانتشار الفسوق والعصيان والأفكار الضالة المارقة.

ثم خلفه في السلطة (أنور السادات) ، وسرعان ما اتجه اتجاها معاكسا ، فنهج نهجا أمريكيا وأسمى سياسته (سياسة الانفتاح) ، فنمت الرأسمالية في عهده وتقلصت العلاقات مع الاتحاد السوفييتي. ولمواجهة المد اليساري الذي نمى نموا سرطانيا في عهد سلفه الهالك ، اتبع السادات سياسات كان منها إطلاق المجال للحركات الإسلامية، فأفرج عن الإخوان

المسلمين وسمح للدعوة الإسلامية بالنمو في الجامعات ، وسرعان ما ملأ الإسلاميون الجامعات والنقابات المهنية والعلمية ، واكتسحوا الشارع المصري ، فبدأ بكبح جماحهم.

وفي سنة 1980م فاجأ السادات العالم بطرحه فكرة الصلح مع إسرائيل وتطبيع العلاقات تحت ذريعة بناء مصر وتنميتها في جو السلم، وأتبع ذلك بزيارته الشهيرة لإسرائيل والقدس ، وعاد ليجد المارد المسلم الذي أطلقه من (قمقم) عبد الناصر بانتظاره في القاهرة. ثم أتبع خطواته السريعة باتفاقيات كامب ديفيد الشهيرة ، وعرضته وسائل الإعلام يصافح مناحيم بيغن جزار مذابح (دير ياسين الشهيرة) ، وبموجب تلك الاتفاقيات ، ردت إسرائيل صحراء سيناء لمصر بحيث تبقى تحت سيطرتها عمليا ، ورفرف العلم الإسرائيلي في سماء القاهرة على ضفاف النيل فوق أول سفارة لدولة إسرائيل في العالم العربي. فحمل عليه العلماء والخطباء الشرفاء ، فألقاهم في السجون. وأعلن الحرب على الإسلاميين سنة (1981م) ، وزج قادتهم في السجون ، وتحدى الخلق معلنا أنه ألقاهم في السجون كالكلاب !

وبعيد ذلك قيض الله له من أسود الإسلام من ألقاه تحت الكراسي صريعا كالكلب حقيقة لا مجازا ، إذ قتله المجاهدون من تنظيمي الجماعة الإسلامية والجهاد في حادثة المنصة الشهير ، وهو في يوم عزه واستعراض قواته ، إذ أنه كان قد خرج على قومه في زينته في استعراض عسكري كبير ، فخسف الله به ، وأرسله جند الله ليلحق بسلفه الفرعون ويكون لمن خلفه آية.

ثم خلفه الفرعون الحالي نائبه (حسني مبارك) لا بارك الله فيه ، فأكمل المشوار الذي رسمته أمريكا وسار في سياسات التطبيع مع اليهود قدما ، ومازال يحكم مصر بالحديد والنار وقبضة الأجهزة الأمنية. وقوانين الطوارئ العرفية منذ 1981م وإلى اليوم حيث يرتب مع الأمريكان توريث عرش الفرعونية لولده جمال مبارك !

وقد شهد عهد مبارك حربا ضروسا من النظام المصري على الإسلاميين ، وتصدت له الجماعات الجهادية ودخلت في صراع مرير لم يضع أوزاره إلا من قريب بعد أن نجحت

أجهزة الأمن بفضل سياسات التصفية والبطش ، وبتعاون علماء السلاطين أخزاهم الله معه، فأجهض الجهاد ، وخلا الجو لمبارك ورهطه يبيضون ويصفرون في أنحاء أرض الكنانة.

واليوم تعتبر مصر أحد أعمدة السياسات الأمريكية الصهيونية في المنطقة، ومستند الأنظمة العربية والإسلامية في كفاح الإسلاميين أمنيا وفكريا.

ورغم ذلك مازالت أمريكا تلوح ببرامجها التي تستهدف مصر بالتقسيم والتهديد بعد أن تغلغل عملاؤها في مختلف مناحي حياة المصريين.

(14) السودان:

نجح مُحَّد علي باشا حاكم مصر في إرسال عدة حملات إلى السودان بقيادة أصغر أبنائه إسماعيل كامل سنة (1819م/1821م) وتمكنت هذه الحملات من ضم السودان إلى مصر وتحقيق وحدة وادي النيل. فلما استولت بريطانيا على مصر سنة (1299هـ /1882م) خططت لفصل السودان عن مصر والوصول إلى منابع النيل.

وعندما قامت الثورة المهدية في السودان بزعامة السيد مُحَّد أحمد المهدي، طلبت بريطانيا من مصر سحب قواتها من السودان وأرسلت حملة بقيادة (غوردون) لكن الثوار هزموه وقتلوه بالخرطوم سنة (1302هـ -1885م) وفي سنة (1313هـ -1896م) أرسلت بريطانيا حملة (كتشنير) إلى السودان واستعانت بجهود عساكر مصريين ! ونجحت الحملة في هزيمة الثوار المهديين سنة (1315هـ - 1898م) بعد الاستيلاء على أم درمان وبذلك تحقق لبريطانيا ضم السودان إلى إمبراطوريتها.

واتفقت بريطانيا والحكومة العميلة لها في مصر سنة (1316هـ - 1899م) على حكم السودان حكما ثنائيا رغم احتجاجات الوطنيين المصريين وأخذت بريطانيا في إثارة الصراع بين المصريين والسودانيين لكنها لم تنجح. إذ بعد قيام ثورة سنة (1337هـ - 1919م) في مصر قامت ثورة في السودان بزعامة (عبد القادر ود. حبوبة) تطالب بجلاء بريطانيا عن وادي النيل.

وبرغم قضاء بريطانيا على الثورة تصاعدت الحركة الوطنية في السودان. ففي عام (1340هـ -1922م) تشكلت جمعية الاتحاد السوداني وجمعية اللواء الأبيض ، وأخذتا تعملان سرا لطرد بريطانيا وتحقيق وحدة مصر والسودان.

لكن الحركة الوطنية السودانية ظلت تقاوم الوجود البريطاني ، وتشكل حزب الأمة بزعامة المهدي ، والحزب الوطني الاتحادي بزعامة الأزهري ليقودا النضال ضد بريطانيا. وبعد قيام ثورة يوليو في مصر سنة (1371هـ - 1952م) وعقد اتفاقية الجلاء سنة (1375هـ - 1956م) اتفقت مصر وبريطانيا على ترك الخيار للسودانيين لتقرير مصيرهم؛ فاختاروا الإستقلال الذي تم عام (1956م) وقامت دولة وفق النظام الجمهوري اعترفت بها جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة.

وتتالت الحكومات المدنية والعسكرية على السودان ، إلى أن تسلم الحكم جعفر النميري بانقلاب عسكري. وفي عهده نمت الحركة الإسلامية التي كان أبرزها حركة (الجبهة القومية الإسلامية السودانية) التي تزعمها حسن الترابي ، وقامت على أسس الإخوان المسلمين ثم فصلها الترابي مستقلا لها بفكر جديد يرتكز إلى أفكاره واجتهاداته الحركية والفقهية الخاصة. ثم تحالف الترابي والنميري على أساس تحكيم الشريعة في السودان ، ثم رتب الترابي انقلابا عسكريا أطاح بالنميري وجاء بحكم ما عرف بثورة الإنقاذ من الضباط المنتمين للترابي بزعامة الرئيس (عمر البشير). ثم وقع الطلاق بين الترابي وتلاميذه الضباط فاعتقلوا شيخهم مرات ، حيث تحول للمعارضة !

وقد حاول البشير ورفاقه النهوض بالسودان ، وتطبيق الشريعة ، ولكن المؤامرات الأمريكية أنهكتهم بدعم حركات التمرد المسلحة جنوب السودان وشرقه ثم في غربه مؤخرا. وآل الأمر بزمرة البشير لاختيار سياسة الرضوخ لأمريكا وطلباتها التي لم تنتهي. فطردوا الجهاديين ، ثم طردوا بن لادن ، ثم وقعوا اتفاقيات مهينة مع النصارى الجنوبيين ، ثم افتتحوا مكاتب معلنة لل (FBI) وعقدوا الاتفاقيات الأمنية لمكافحة الإرهاب ، وبلغ بهم الأمر أن يسلموا بض المجاهدين المطاردين من قبل نظام ليبيا لحكومة القذافي وهم

يعلمون أنهم يسلمونهم للإعدام ، كما سلموا عددا من الإخوة السعوديين لأجهزة أمن بلدهم سنة 2004م. ورغم التنازلات اللامتناهية ، مازالت الحكومة الأمريكية تطارد حكومة السودان بالتهديد والوعيد ، إلى أن بلغ الأمر هذه الأيام بإعلان أمريكا والدول الغربية ومنها بريطانيا وفرنسا وغيرها التدخل المباشر السياسي والعسكري في غرب السودان، بدعوى المنازعات القبلية في إقليم دارفور ، في مخطط مكشوف لتقسيم السودان، لتثبت سياسة المداهنة والتنازلات أنها لا تسفر إلا عن افتراس الوحش للثور الأسود بعد أن أكل الثور الأبيض فيما كان ينظر إليه ويخذله. وسبحان الديان فكما تدين تدان. وإن في ذلك لعبرة لأولي الألباب. إن كان ثم هناك بقية منهم.

(15) ليبيا :

بعد تحقيق الوحدة الإيطالية سنة (1285هـ/1870م) تطلعت إيطاليا إلى المشاركة في حركة الاستعمار الأوروبي. ونظرا لقربها من ليبيا فقد اعتبرتها مجالا حيويا ، لذلك هاجر الكثيرون من الإيطاليين إلى ليبيا، وشكلوا جالية أخذت تنشر الثقافة واللغة الإيطالية في البلاد وتمهد للنفوذ السياسي والاقتصادي الإيطالي.

ثم مهدت إيطاليا لاحتلال ليبيا بعد موافقة القوى الدولية مثل إنجلترا وفرنسا وروسيا وألمانيا على طموحاتها ، فأرسلت حملة احتلت طرابلس وبنغازي بعد إخفاق الحامية العثمانية في القتال سنة (1329هـ/1911م) ، وقدر للأقاليم الأخرى السقوط في يد الغزاة سنة (1912م). أما مدينة أجدابية فسقطت سنة (1923م) ، كما سقطت فزان سنة (1928م).

وفي سنة (1929م) أصدر موسوليني مرسوما بتوحيد برقة وطرابلس في ولاية واحدة ، كما احتلت قواته واحة الكفرة سنة (1930م).

ولما قامت حركة الجهاد ضد إيطاليا ، قمعتها بوحشية وقوة. فاستنفرت المسلمين في الدولة العثمانية والعالم العربي ، وأخذ المتطوعون يتدفقون على ليبيا بقيادة عزيز المصري وأنور باشا. كما قام السنوسيون (وهم حركة دينية صوفية جهادية) في إقليم برقة بدور هام في الجهاد وضيق الثوار الخناق على الإيطاليين ، وشدوا من أزر الحاميات العثمانية في ليبيا.

وبعد إخفاق الدولة العثمانية في حربها مع إيطاليا في البلقان ، خضعت لمطالب إيطاليا بسحب قواتها نهائيا من برقة وطرابلس.

فتصدى السنوسيون لمقاومة الاحتلال ، واتبعوا أسلوب الغارات الخاطفة (حرب العصابات) وكادوا ينتصرون على الإيطاليين لولا دعم بريطانيا عسكريا واستمالتها أحمد السنوسي الذي غادر ليبيا إلى الآستانة سنة (1918م).

وفي سنة (1920م) عقدت إيطاليا معاهدة مع مُحَمَّد إدريس السنوسي ، اتفق فيها الطرفان على إنهاء الحرب واعترف السنوسي بسيادة إيطاليا على برقة ، كما اعترفت له إيطاليا بالسيادة على الأراضي التي كانت تحت نفوذه.

ومع ذلك واصلت الحركة الوطنية النضال خصوصا بعد وصول موسوليني إلى الحكم في إيطاليا سنة (1922م). فقد أعلن أن ليبيا إيطالية وألغى جميع الاتفاقات السابقة.

ثم قاد المجاهد الشيخ الشهيد عمر المختار رحمه الله حركة النضال متبعا أسلوب الحرب الخاطفة ، مما أنهك الجيوش الإيطالية. لكن إيطاليا أرسلت قوات جديدة إلى ليبيا ونجحت بعد عناء وخسائر كبيرة في الإيقاع بالثوار ، وقبض على عمر المختار وشنق شهيدا – كما نحسبه – رحمه الله سنة (1350هـ/1931م).

ولما قامت الحرب العالمية الثانية وانضمت إيطاليا إلى ألمانيا ، عاد مُحَمَّد إدريس السنوسي إلى ليبيا بصحبة قوات بريطانية تمكنت من تحرير ليبيا سنة (1943م) بعد هزيمة قوات المحور ، وأصبح الوضع ممهدا لاستقلال ليبيا ، والذي أعلن في عام (1951م). وقام بذلك النظام الملكي في ليبيا.

وفي سنة (1968م) قام العقيد القذافي بانقلاب عسكري (يعتقد أنه رتبه مع المخابرات البريطانية) ، واستولى على السلطة في ليبيا وما زال فيها حتى الآن وأطلق على ليبيا اسم الجمهورية الشعبية العربية الليبية العظمى ...

وقد اشتهر العقيد بمزاجه المتقلب ، وحكمه الديكتاتوري الدموي القمعي ، كما اشتهر بمغامراته العسكرية والسياسية في الجوار ، وفي القضايا الإقليمية ، مما أنهك اقتصاد ليبيا وكبد جيشها الصغير العدد نظرا لقلة عدد سكانها خسائر فادحة. ثم سولت للقذافي شياطينه ن يخرج على العالم بنظريات سياسية عجيبة ، فأظهر كتابا نسب تأليه لنفسه ودعاه الكتاب الأخضر. وزعم أنه النظرية الثالثة للحكم بين النهج الاشتراكي والديمقراطي. والكتاب مزيج من الغرائب والتفاهات والكفر والضلال والسماجة التي تثير الغثيان .. وقد قرأت أكثره بالجهد والعناء وكثير من الصبر رغم صغره. وعجبت من قدرة كاتبه على جمع ذاك القدر من السخافة والبلادة والحقارة ..

ثم استعلن القذافي بالكفر والآراء الدينية الشاذة ، فأنكر السنة ، وحذف بعض الكلمات من القرآن ، وشرع وفنن وافترى على الله الكذب .. واتخذ من بعض الغانيات حرسا شخصيا له. وله غرائب وتفاهات يطول لها الخطاب تذكر بصرعات الحاكم بأمر الله الفاطمي العبيدي الزنديق الأحمق صاحب العجائب.

وقد قامت على القذافي انقلابات عديدة كادت تطيح به لولا تدخل الإستخبارات الأمريكية والبريطانية لإنقاذه رغم دعاويه الثورية. كما قامت في ليبيا حركة جهادية ضده سنة 1989م فقمعها بقسوة ودموية ، ثم قامت حركة جهادية أواسط التسعينيات تمكن من القضاء عليها أيضا. وملأ سجون ليبيا بخيرة الشباب المسلم وأطلق عليهم لقب الزنادقة!

– قاتله الله – وقد زاود القذافي طوال سنين حكمه العجاف على الدنيا بشعارات العروبة والإشتراكية والوحدوية. إلا أنه طلع على الأمة مؤخرا بدعاويه الإفريقية وعزمه على الانسلاخ عن العالم العربي والانسحاب من الجامعة العربية.

ثم لبس قميصا عجيبا مزينا بصور بعض الرؤساء الأفارقة ، وصور رؤوس تشبه الغوريلات .. ثم أعلن مؤخرا انبطاحا كاملا للسياسات الأمريكية والغربية ، فسلم جميع مخزون بلاده الإستراتيجي من الصواريخ وبدايات مشروع الأبحاث النووية وزعم أنه مخزون ليبيا من أسلحة الدمار الشامل. وصار بوش يضرب به المثل كنموذج يحتذى يريد من رؤساء العرب والعالم الإسلامي وغيره اقتفاء أثره.

وتقوم ليبيا هذه الأيام بدفع التعويضات الهائلة لكل دولة أوربية تزعم أنها تعرضت لعمل إرهابي كان مدعوما من ليبيا ، حيث يعلن الساسة الأوربيون عودة العلاقات مع ليبيا. كما أعلن بوش أنه راض عن ليبيا ، وأعلن موافقته على أن تستأنف شركات النهب الاستعماري نهب بترول ليبيا كمكافأة للقذافي على استخذائه المهين قبحه الله.

(16) تونس :

دخلت تونس سنة (980هـ/1573م) تحت حكم العثمانيين كغيرها من البلاد العربية التي سبقتها. وبقى فيها الأتراك زهاء 300 سنة. ونظرا لضعف الدولة العثمانية ، فقد تنافست كل من فرنسا وإيطاليا لاحتلال تونس. لكن فرنسا نجحت في مد نفوذها من خلال عقد معاهدة ودية مع باي تونسٍ سنة (1245هـ/1830م) حصلت بمقتضاها على امتيازات تجارية داخل تونس.

كما استطاعت فرنسا أن تحول دون تدخل بريطانيا في أمور تونس بأن اتفقت معها على أن تطلق إنجلترا يدها في قبرص مقابل عدم منافسة إنجلترا لفرنسا في تونس.

وانتهزت فرنسا فرصة عبور قبيلة تونسية إلى الجزائر ، وأرسلت جيشا إلى تونس تمكن من هزيمة الباي مُحَمَّد الصادق سنة (1298هـ/1881م) وأرغمته على توقيع معاهدة يعترف فيها بتحويل تونس إلى محمية فرنسية.

ثم اندلعت حركة الجهاد والمقاومة الإسلامية والوطنية التونسية سنة (1881م) بتكوين حركة " الجامعة الإسلامية " التي لجأت إلى التنديد بالاحتلال وإثارة المشاعر الوطنية من

منطلقات إسلامية وتحرك بعض العلماء من علماء مسجد الزيتونة للدعوة للجهاد. وبالفعل تحرك الثوار من مراكز التجمعات القبلية في الجنوب ، وامتدت الثورة إلى مدن القيروان وسوسة و قابس و زغوان و صفاقس ، وتمكن الثوار من السيطرة التامة على جنوب البلاد لكن فرنسا اتبعت أسلوب وحشيا في قمع الثورة والتنكيل بالثوار. وفي سنة (1908م) " تأسس حزب تونس الفتاة " الذي طالب بالدستور والتحم رجاله في معارك مع الفرنسيين سنة (1911م) لكن فرنسا قمعتهم بوحشية.

وفي مارس سنة (1920م) تأسس " الحزب الحر الدستوري التونسي" الذي تمكن من الاستيلاء على قيادة النضال ضد الاستعمار الفرنسي دعائيا وسياسيا واجتماعيا ، واستطاع تجنيد المثقفين والعمال، حيث أبرمت فرنسا عه اتفاقية استقلال تونس سنة (1956م). وبذلك سلمت تونس لعميلها الماكر (الحبيب بورقيبة) الذي استطاع خداع العلماء ، بهوية إسلامية مزيفة ، ثم استعلن بهويته العلمانية المارقة لما تمكن من الأمر، وجاهر بمحاربة التشريع الإسلامي والسير بتونس بسرعة في طريق التغريب ونشر الفسوق ومسح الهوية الدينية.

وفي مطلع الثمانينات هبت رياح الصحوة الإسلامية على تونس من المشرق ، وأسس عدد من الدعاة (حركة الإتجاه الإسلامي) بزعامة الشيخ راشد الغنوشي ، ودخلت الحركة معترك المنافسة السياسية السلمية ، ولكن بورقيبة قمع الحركة وسجن شيوخها واستطاع تقسيم قيادتها واستمالة بعضهم. ثم دخلت الحركة الإنتخابات العامة أواسط الثمانينيات ، وفازت بأكثرية أدهشت الأوساط المختلفة وضربت لها أجهزة الإنذار في أوربا ولاسيما فرنسا. فقعت الحركة ، تابعت عملها السياسي ، وكانت تعد لانقلاب عسكري مفاجئ. ولكن البرنامج كشف.

ثم رتب وزير داخليتها آنذاك (زين العابدين بن علي) انقلابا أبيضا على عجل بالترتيب مع الأمريكان تفاديا لنجاح انقلاب الإسلاميين. واستولى بذلك على السلطة. وخسف بالإسلاميين وغيرهم وحكم تونس حكما ديكتاتوريا متابعا مسار تغريب هذا البلد

الإسلامي العريق. وتشردت الحركة الإسلامية وقياداتها في البلاد الأوربية ، وطورد مؤيدوهم شر مطاردة. وصارت تونس إحدى ركائز السياسة الأمريكية الاستعمارية في العالم العربي. ثم أجرى فرعون تونس في أوكتوبر 2004م انتخابات هزلية لتجديد ولايته ففاز بـ 95.96 % في مشهد ديمقراطي يثير الغثيان.

(17) الجزائر:

حكمت الدولة العثمانية الجزائر مثل باقي الدول العربية الأخرى. واستمر حكمهم زهاء 300 سنة. وقد مر الحكم العثماني للجزائر بعدة بمراحل بدء من عصر (البالارباي) من عام (1546م) إلى (الدايان) عام (1081هـ/1671م) والذي انتهي عام (1930م). وفي نفس الوقت كانت فرنسا تطمع في احتلال الجزائر الاستراتيجي ، خصوصا وأنها كانت تتمتع بامتيازات تجارية فيها منذ القرن السادس عشر.

وفي سنة (1315هـ - 1801م) وقعت فرنسا مع الجزائر معاهدة تنص على حرية التجارة بين الطرفين. وعجلت باحتلال الجزائر لتحول دون تغلغل النفوذ البريطاني فيها ، ومن أجل ذلك عقدت معاهدة سرية مع روسيا سنة (1223هـ /1808م) حظيت فيها فرنسا بموافقة روسيا على احتلال الجزائر.

لكن انشغالها بمشكلاتها الأوروبية أجل الغزو حتى سنة (1245هـ/1830م). ثم تذرعت فرنسا بمسألة تافهة مؤداها إهانة الداي حسين لقنصلها حين صفعه بمنشته على وجهه لتتخذ من الحادثة ذريعة للغزو والإحتلال.

وبالفعل أرسلت فرنسا أسطولها الذي حاصر سواحل الجزائر مدة ثلاثة أعوام.

وفي عام (1245هـ/1830م) انتهزت فرنسا ضعف الدولة العثمانية وأرسلت حملة عسكرية نجحت في الاستيلاء على الجزائر سنة (1245هـ/1830م) بعد طرد الحامية العثمانية منها. ثم تطورت حركة المقاومة الجزائرية المناهضة للاحتلال بزعامة الأمير عبد

القادر الجزائري الذي التفت حوله القبائل وبايعته في وهران سنة (1832م). كما أيده رجال الصوفية واتفق الجميع على الجهاد.

ومن مدينة " المعسكر " في غرب الجزائر أخذ الأمير عبد القادر، يغير على الأراضي الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي بعد أن فرض نفوذه على الأقاليم الغربية من البلاد. وقد انتصر الثوار على جيوش فرنسا في " معركة المقطع " سنة (1250هـ/1835م). ثم لجأ إلى حرب العصابات، وتمكن من إنزال هزائم متوالية بالفرنسيين. وفي مايو سنة (1252هـ/1837م) عقد الفرنسيون معاهدة مع الأمير عبد القادر هي "معاهدة تافنا " وفيها اعترفت فرنسا بسيادة الأمير عبد القادر على غربي الجزائر ، كما اعترف هو بسلطة فرنسا على الأراضي التي احتلتها.واستفاد الأمير من المعاهدة التي أتاحت له تنظيم قواته وتحصين المدن والثغور ، كما اهتم بتنظيم شؤون دولته. ولما أخلت فرنسا بشروط المعاهدة وهاجمت الثوار ، تمكن الأمير عبد القادر من الاستيلاء على المناطق المحيطة بمدينة الجزائر سنة (1255هـ/1840م).

فكان رد الفعل الفرنسي في الإغارة على مدن غربي الجزائر ، فاستولت على تلمسان ومستغانم وغيرها من المدن في إقليم وهران ، فاضطر الأمير عبد القادر إلى الهرب إلى الصحراء. وانتهى مصيره بالقبض عليه وسجنه في الجزائر سنة (1268هـ/1852م) ثم سمح له الفرنسيون بالخروج من الجزائر ، فتوجه إلى دمشق لتكون منفى له ، وظل بها حتى وفاته (1300هـ/1883م).

ثم اتبعت فرنسا سياسة توطين الفرنسيين في الجزائر بعد نزع أملاك الأهالي وأراضيهم ، وعمدت إلى إثارة الفرقة بين العرب والبربر في محاولة لطبع البلاد بالطابع الفرنسي و إلغاء هويتها العربية الإسلامية.

ثم قيض الله للجزائر رجلا فذا هو الشيخ (عبد الحميد بن باديس)، الذي أسس (جمعية العلماء المسلمين) ، التي حفظت بأعمالها التربوية والعلمية هوية الجزائر الإسلامية وعروبتها ، وكونت الجيل الذي حمل لواء الثورة الكبرى التي انطلقت سنة (1954م). والتي

استمرت إلى أن تحقق الإستقلال سنة (1963م) ، بعد أن دفعت الجزائر أكثر من مليون نسمة من الضحايا والشهداء.

ولكن الذي حصل أن فرنسا بدهائها ، بعد أن أيقنت أن استقرارها في الجزائر مستحيل ، وأن الإستقلال لابد حاصل ، اختارت العمل على أن يكون الأمر من بعدها لثلة من التنظيمات والأحزاب التي كان روادها قد تربوا على الأفكار الوافدة من أوربا ولاسيما من التيارات القومية والاشتراكية والليبرالية الغربية ، والتي كانت قد كونت بمجموعها ما عرف باسم (جبهة التحرير الوطني) التي بدأ نفوذ الإسلاميين فيها يتضاءل مع الوقت. وهكذا حددت فرنسا من سيخلفها على الجزائر ، وقيدتهم ببنود اتفاقية (إيفيان). وقال الرئيس الفرنسي ديغول أيامها:

(يريدون استقلال الجزائر؟ حسنا ! سنعطيهم إياها ونستردها بعد ثلاثين سنة !).

واستقلت الجزائر ، وآلت رآستها إلى (هواري بومدين)، وكان قوميا عربيا ، ويساريا قريبا من الفكر الشيوعي..، وسارت الجزائر في عهده الطاغوتي البوليسي إلى الإفلاس والهاوية. وازداد نفوذ العسكر من أعضاء (حزب جبهة التحرير الوطني) الذين كان العديد منهم يحمل الجنسية الفرنسية ، وأصبح هذا الحزب منذ ذلك الوقت حزب السلطة الحاكمة الأوحد. وتولى هذا التيار الذي عرف (بالتيار الفرانكفوني) مهمة حرب الإسلام وتصفية الإسلاميين في الجزائر.

وبعد هلاك بومدين خلفه الرئيس (الشاذلي بن جديد) ، واستمر (حزب جبهة التحرير) في سياسة الحزب الواحد ، وزاد الشاذلي على سيئات سلفه سياسة العودة إلى أحضان فرنسا ،حيث كان بومدين عربيا ويساريا قوميا معاديا لفرنسا. وهكذا ازداد نفوذ التيار الفرانكفوني وكبار العسكر المتنفذين.

وازدادت أحوال الجزائر سوء وإفلاسا رغم أنها واحدة من كبريات الدول المصدرة للنفط والغاز في العالم..

وفي مطلع السبعينيات ، نهض الشيخ (مصطفى بويعلي) ، يطالب حكومة الشاذلي بوقف زحف الفساد ، وبالعودة بالبلاد إلى أصالتها الإسلامية ويذكرهم بمبادئ ثورة 1954م التي رفعت شعار الإسلام والجهاد ، حيث كان الشيخ أحد المجاهدين الذين شاركوا فيها. ثم ما لبث الشيخ (بويعلي) أن أعلن الجهاد وأسس (حركة الدولة الإسلامية). وحمل السلاح وصعد الجبال في ثلة من أنصاره يجاهدون النظام الجزائري. ثم تمكنت الحكومة في سنة 1976م من قتله رحمه الله، واعتقلت العديد من أنصاره وساقتهم إلى السجون.

وفي أواخر الثمانينات بلغت الأزمة الإقتصادية في الجزائر مداها ، وانفجر الشعب الجزائري في ثورة تظاهرات عامة عرفت بـ (مظاهرات الخبز)..، وأدرك النظام الجزائري ورئيسه الشاذلي أنه لابد من إحداث تغير جذري في الأوضاع ، فأعلن الشاذلي سنة (1988م) سلسلة من الإصلاحات الشاملة كان من أهمها ، إنهاء سياسة الحزب الواحد ، وإطلاق المسار الديمقراطي وحرية تشكيل الأحزاب السياسية.

وهكذا أقبل الجزائريون بحماس على تشكيل الأحزاب وإنشاء الصحف ، وازدهرت الحركة السياسية. وكان في طليعة الذين تحركوا بحماس في هذه الفسحة من الحرية ، مختلف مكونات الصحوة الإسلامية في الجزائر والتي كانت تشهد ازدهارا مكبوتا منذ أواسط السبعينيات ، شأنها في ذلك شأن باقي البلاد العربية والإسلامية التي كانت تشهد صحوة إسلامية عارمة، بعد أن بدأ يتبدى إفلاس سراب الأفكار القومية واليسارية التي ازدهرت خلال الخمسينيات والستينيات.

وهكذا أعلن الشاذلي عن إجراء انتخابات بلدية (1988م) ، تتبعها انتخابات برلمانية سنة (1989م) من أجل بدء المسار الديمقراطي في الجزائر. وبدأت الأحزاب المتنوعة استعدادها لخوض تلك التجربة.

تكونت الساحة السياسية في الجزائر إبان الإنتخابات سنة (1989م) من ثلاث محور، هي:

1- حزب السلطة وهو حزب (جبهة التحرير الوطني)، الذي حكم الجزائر منذ الإستقلال بطريقة بوليسية وانفرد بالسلطة ربع قرن من الزمن.

2- قوى الصحوة الإسلامية.

3- الأحزاب العلمانية التي شكلت آنذاك.

وكانت الجبهة الإسلامية للإنقاذ أقوى التكتلات الإسلامية وتزعمها الشيخ (عباسي مدني) ، وبرز إلى جانبه الشيخ (علي بلحاج)، أحد دعاة التيار السلفي. وتكونت الجبهة من خليط من مدارس الصحوة وقياداتها والتنظيمات الإسلامية والدعاة المستقلين .. بالإضافة لقواعد عريضة من عوام المسلمين الذين آمنوا بعموميات مشروع الإسلام السياسي. وأما القوى العلمانية الناشئة بعد حرية الأحزاب:

فقد تعددت تلك القوى والأحزاب ، بعد أن أطلقت الحريات ، ولكن أبرز تلك القوى بحسب ما أثبتته الإنتخابات التالية كانت:

- أولا: حزب جبهة القوى الإشتراكية : وهو حزب ينتشر في منطقة القبائل ويحمل فكرا غربيا ليبراليا ، وقد تزعمه (آيت أحمد). وقد سير المظاهرات بعد فوز الإنقاذ يبدد بها ويخوف الحكومة والغرب من زحف الأصولية.

- ثانيا: حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية: وهو حزب شديد العداء للإسلاميين ينادي بالحل الإستئصالي لهم. وقد وتزعمه (سعيد سعدي).

- ثالثا: الحزب الشيوعي: وتزعمته (لويزا حنون). تبنت الطرح الديمقراطي.

ومع انصرام الإنتخابات البلدية ، تبين أن الجهة الإسلامية للإنقاذ، قد سحقت أقوى الأحزاب السياسية العلمانية في الجزائر ، وهو حزب السلطة ! (حزب جبهة التحرير الوطني) ، وأن الأحزاب العلمانية حديثة التشكيل لم تحصل إلا على الفتات.

وتولت بذلك جبهة الإنقاذ معظم بلديات الجزائر ، وبدأ عناصرها في خدمة الناس بروح طيبة وإخلاص افتقدتها الجزائر منذ عهود طويلة، مما رفع في أسهم الجبهة شعبيا وأهلها للنصر التالي. وهو الإنتخابات التشريعية (البرلمانية). وتمخض الدور الأول فيها عن

فوز الجبهة بأغلبية ساحقة من دورها الأول ، وبدا أن ذلك سيمكنها خلال الشوط الثاني من الدورة الإكمالية من الأغلبية الساحقة ، التي تأهلها لتشكيل الحكومة منفردة ، والترشح بذلك لرئاسة الدولة !!

وضربت نواقيس الخطر في مشارق الأرض ومغاربها .. وأعلنت الدول الصليبية الكبرى عن استعدادها للتدخل لقطع الطريق على الإسلاميين من الوصول للسلطة. بل صرح (فرانسوا ميتران)، الرئيس الفرنسي في حينها ، أن فرنسا على استعداد للتدخل العسكري للحيلولة دون وصول الإسلاميين للسلطة. وكان الحل الوحيد أمامهم هو إحداث إنقلاب عسكري مدعوم من قبل الغرب ولاسيما فرنسا لقطع الطريق على الإسلاميين من أن يصلوا لحكم الجزائر.

وحصل الإنقلاب. وجاء العسكر بجنرال سابق هو (مُحَّد بوضياف) ليتولى رآسة الدولة. واعتقلت قيادات الجبهة الإسلامية للإنقاذ وأودعت السجون ، وقمعت المظاهرات بالعنف ، وفتح النظام العسكري الذي استولى على السلطة وسحق الديمقراطية بدعم من الغرب المنافق ، فتح العديد من السجون الصحراوية لعشرات آلاف المعتقلين من الإسلاميين .. وكان هذا سبب بداية الإنتفاضة الجهادية المعاصرة في الجزائر، وبداية لفصل دموي فيها لم تنته ذيوله إلى الآن. فصل كبد ذلك البلد الحبيب إلى الآن زهاء ربع مليون ضحية من المسلمين الأبرياء. ورحبت فرنسا والغرب بالانقلابيين الذين خططوا لهم ودعموهم ، لينقضوا معهم على نتائج هذه الكذبة الكبرى التي يسمونها (ديمقراطية). [وقد كتبت في تفاصيل هذه الأحداث كتابا فيه تفصيل عنها بعنوان (شهادتي في أحداث الجهاد في الجزائر 1989- 1996م) لمن أراد استزادة في التفاصيل].

ويرأس الجزائر حاليا الرئيس (عبد العزيز بوتفليقة)[9]، وقد فاز بتأييد شعبي كاسح في الإنتخابات الرئاسية ، معتمدا على مشروع مصالحة وطنية تبناه لإنهاء إرهاصات تلك

[9] ذلك أن الكاتب كتب كتابه في عصر عبد العزيز بوتفليقة ولكن تم خلعه مؤخرا وتعيش الجزائر اليوم ثورة لتنصيب حكومة مدنية بدل العسكرية الجاثمة على صدور الجزائريين منذ عقود.

الأحداث. وقد بناه على مشروع قانون (الوئام المدني) الذي طرحه سلفه والذي يقضي بالعفو عن المسلحين الذين يسلمون أنفسهم للسلطات.

وتشهد الجزائر التي عرفت بروابطها المتينة مع فرنسا ، في عهد بوتفليقة ، تزايدا في روابطها مع أمريكا. التي اعتبرتها من الحلفاء المفضلين لديها في مكافحة الإرهاب ، حيث يعلن بوش رضاه بين الحين والآخر عن سياسات بوتفليقة في تصفية التيارات الأصولية وحصارها. وما تزال أحداث الجزائر مستمرة وإن كانت حدتها قد خفت بعد القضاء على الجماعات المسلحة التي انحرف كثير منها عن جادة الصواب بفعل اختراق المخابرات لها ووقعت في استهداف الأبرياء مما أفقدها شعبيتها وأوردها دروب الهزيمة والتشرذم. وأسأل الله أن يقيض لهذا البلد الحبيب أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته. إنه على ذلك قدير.

(18) المغرب :

ظلت مراكش مستقلة عن العثمانيين وإن قامت بينهما علاقات التعاون وتبادل المنافع بين حين وآخر. وكذلك بقيت مناهضة لأطماع أسبانيا والبرتغال حتى أوائل القرن العشرين. وبعد احتلال فرنسا الجزائر سنة (1830م) وتونس (1881م) توجهت بأنظارها نحو المغرب الأقصى الذي كانت تحكمه دولة الأشراف العلويين. وفي نفس الوقت كانت أسبانيا تطمع في احتلال البلاد. وأما فرنسا فقد عقدت مع إنجلترا " الاتفاق الودي" سنة (1904م) الذي أتاح لها موافقة بريطانيا على احتلال المغرب الأقصى.

وفي مؤتمر الجزيرة سنة (1906م) تقرر إقامة نظام دولي خاص في طنجة ، كما تقرر إطلاق يد أسبانيا وفرنسا لبث نفوذها في المغرب. وبينما نجحت أسبانيا في الاستيلاء على منطقة "الريف" في الشمال ، وجهت فرنسا حملة على المغرب الأقصى سنة (1907م) مقابل إطلاق فرنسا يد إنجلترا للعمل في مصر. فاحتلت مدينتي الدار البيضاء و"وجدة" ، ثم استولت على مدينة فاس سنة (1329هـ/1911م).

وفي سنة (1912م) أرغمت فرنسا السلطان عبد الحفيظ على توقيع معاهدة الحماية على البلاد. ولما احتجت أسبانيا على ذلك جرت مفاوضات بينها وبين فرنسا ، انتهت بتوقيع معاهدة تقسيم المغرب إلى منطقتين منفصلين: إحداهما لفرنسا ، والأخرى لأسبانيا ، بينما تظل طنجة منطقة دولية.

ثم عملت فرنسا على محو شخصية المغرب العربية الإسلامية بفضل جهود ممثلها في المغرب "الجنرال ليوتي" المقيم العام الذي جمع في يده السلطان السياسية والعسكرية والإدارية والمالية ، والذي سمح للمهاجرين الفرنسيين بالاستيطان في المغرب الأقصى. واندلعت حركت الجهاد والمقاومة الوطنية على إثر ذلك فقامت ثورة في فاس سنة (1912م) ما لبثت أن انتشرت في المناطق المجاورة ، فقمعتها فرنسا بوحشية وقسوة.

ثم قامت ثورة أخرى من قبل قبائل البربر وسكان الشاوية وضرب الثوار الحصار حول فاس ، لكن " ليوتي" استخدم المدفعية في ضرب الثوار وإفشال الحصار.

ثم تركزت المقاومة في منطقة الأطلس المتوسط ونجح الثوار في الاستيلاء على مراكش وأغادير سنة (1912م) ، لكن الفرنسيين قمعوا الثورة واستولوا على المدينتين وأمنوا المواصلات بين فاس ومكناس والرباط.

عندئذ اعتصم الثوار بالجبال وحققوا الاستقلال بها حتى عام (1934م).

أما عن المقاومة الوطنية في منطقة الريف فقد قادها عبد الكريم الخطابي سنة (1921م) وظلت مستقلة حتى سنة (1926م).

وقد انتصر الثوار في عدة معارك مثر "أبران" و "إغرين" على الأسبان وتمكنوا من هزيمتهم وقتل قائدهم في معركة "أنوال" الشهيرة التي هزم فيها الخطابي جيوش خمس دول أوربية من الفرنسيين والأسبان ومن عاونهم ، وقتل الآلاف منهم وأسر عشرة آلاف من الجنود فيهم زهاء 100جنرال و5 ماريشالات.

وبويع الخطابي من قبل الثوار ليكون "أمير الريف" فحكم الشريعة الإسلامية وأرسل الشرطة والقضاة والفقهاء يعلمون الناس دينهم في قراهم المتناثرة وسط الجبال. وأدركت

فرنسا خطر انتصارات الخطابي فتدخلت بمساعدة الأسبان ، ونجحت القوات الفرنسية بمساعدة البحرية الأسبانية في هزيمة الثوار ، وضرب الطيران الإسباني القرى والسكان بالغازات السامة !! وهُزم الخطابي ونفي إلى فرنسا ، ولكن أعوانه هربوا به في الطريق ، ولجأ إلى مصر حيث ظل فيها هذا الشيخ البطل إلى حين وفاته سنة (1963م) – رحمه الله رحمة واسعة – ومع ذلك استمرت المقاومة ضد الفرنسيين والأسبان. ففي عام (1934م) تشكل أول تنظيم سياسي في المغرب باسم "كتلة العمل الوطني المغربية " من أجل تحرير البلاد. ثم تأسس " الحزب الوطني " وازدادت الحركة الوطنية اشتعالا بتولي مُحَّمد بن يوسف الحكم وتأييده للثوار ومساعدتهم. كما تأسس " حزب الاستقلال " سنة (1358هـ/1940م) واندلعت حركة المقاومة في كل أرجاء المغرب ، وفي سنة (1947م) خطب السلطان مُحَّمد بن يوسف في طنجة خطبة حماسية طالب فيها بالحرية والسيادة ووحدة البلاد. الأمر الذي ألهب حماس الثوار الذين ظلوا يتعاونون مع السلطان حتى نال المغرب استقلاله ووحدته سنة (1956م).

ثم حكم المغرب بعد ذلك الملك الحسن الثاني بن مُحَّمد الخامس ، مدة طويلة ، وكان فرعونا ظالما وديكتاتورا طاغية ، فقتل كل من ناوأه من كل اتجاه ومشرب من الإسلاميين وحتى الشيوعيين وما بينهما من الأفكار. وملأ سجونه الشهيرة المرعبة بالسجناء الذين قضى الكثيرون منهم تحت سياط الجلادين وأجهزة التعذيب المستوردة من أوربا ! كما أحاط الملك نفسه بأجهزة أمنية كثيرة ومجرمة ، وسيَّج ملكه بطبقة كثيفة من علماء السلطان وفقهاء القصر من المغاربة الذين يركعون ويسجدون له بدعوى سجود الملائكة لآدم عليه السلام ! بل استورد الملك علماء السلطان من أصقاع الدنيا من بلاد العرب والعجم. واشتهرت المغرب في عهده بالفقر والبطالة والفساد وانتشار المخدرات والدعارة والمجون والانحلال الاجتماعي في كثير من طبقات الناس ، وكان الملك في طليعة الزناة المشاهير والفاسدين المعروفين حتى قيل أن الممثلة الفرنسية الشهيرة (بريجيت باردو) ذكرت خبر لياليها الحمراء معه في مذكراتها ! كما حاز الملك (الخنفوس) – كما كان يسميه

(الشيخ عبد الحميد كشك) رحمه الله – على عدة جوائز من دور الأزياء العالمية كملك للأناقة !! فيما يموت أكثر شعبه من الفاقة والعوز ، ويرمي شبابه بأنفسهم في براثن الموت في مراكب الهجرة غير الشرعية بحثا عن العمل في شواطئ أوربا !. ولكن صحوة إسلامية متعددة المشارب من الصوفية إلى السلفية إلى الجهادية ، إلى السياسية وقفت لذلك الفساد بالمرصاد ، ولاقت من الملك العنت والبطش والتضييق بحسب جدية مواجهتها له.

ثم هلك الملك سنة 2002 م، ليخلفه الملك الحالي (مُحَّد السادس) نسخة عفنة عن أبيه. حيث دخلت المغرب في فلك أمريكا أيضا كغيرها وصارت أجهزة أمنها كتيبة في الهجمة الأمريكية لحرب المسلمين فيما عرف بمكافحة الإرهاب. أسأل الله له ولأمثاله من فراعنة بلاد المسلمين دعوة سيدنا نوح عليه السلام :

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ﴾ (نوح: 27 / 26) .

(19) موريتانيا:

تقع جنوب المملكة المغربية الحالية وقد دخلها الإسلام بعد فتح العرب بلاد المغرب أواخر القرن الأول الهجري ، وأطلقوا على المنطقة اسم (شنقيط) وكانت هذه المنطقة تتبع الدول المغربية مثل دولة الموحدين ودولة الحفصيين ودولة السعديين والدولة العلوية.

تعرضت المنطقة لغارات البرتغاليين الذين أسسوا بها مراكز لتجارة الصمغ والذهب والرقيق ، ثم تلاهم الأسبان بعد قرنين ثم تلاهم الفرنسيون فالهولنديون.

وفي سنة (1901م) أرسلت فرنسا حملة لاحتلال البلاد أقنع قائدها الأمراء المحليين بطلب الحماية الفرنسية ، ولما احتلت فرنسا مراكش – المملكة المغربية حاليا – خضعت البلاد جميعها للاحتلال الفرنسي الذي أطلق عليها اسم (موريتانيا).

واتبع الفرنسيون سياسة التفرقة بين المسلمين البيض والزنوج وحاربوا اللغة العربية وحاولوا نشر الثقافة الفرنسية. لكن حركة الجهاد المقاومة للاحتلال تفجرت عام (1908م)، واستمرت حتى عام (1934م) مطالبة بالاستقلال.

ثم تشكل حزبان أساسيان تصديا للاستعمار الفرنسي هما ، (حزب الاتحاد الوطني) و (حزب منظمة الشباب) ثم اندمجا في حزب واحد سنة (1948م) هو (حزب التفاهم الموريتاني) ثم انشق على نفسه، وأخيرا تم الاتحاد سنة (1958م) تحت اسم (حزب التجمع الموريتاني) الذي تبنى قضية التحرير والاستقلال.

وفي عهد (ديجول) أصدر لهم دستورا قبلته موريتانيا مرغمة وأصبحت بمقتضاه عضوا في الجامعة الفرنسية. وفي سنة (1959م) فاز حزب التجمع الموريتاني في الانتخابات وشكل رئيسه المختار ولد داده الوزارة وأصبح الحزب الحاكم في البلاد.

ثم نشأ حزب جديد يدعو إلى الاستقلال التام والانضمام إلى المغرب هو (حزب النهضة). وفي سنة (1960م) أحرزت موريتانيا استقلالها وأصبحت عضوا في الأمم المتحدة كما قبلت عضوا في الجامعة العربية سنة (1973م).

وفي سنة (1978م) ، قام انقلاب في موريتانيا بزعامة مُحَمَّد السالك ولكنه لم يستمر في الحكم طويلا فقد أطاح انقلاب آخر به، ثم لحقته عدة انقلابات أدت إلى عدم استقرار أحوال البلاد خصوصا بعد تعرضها لمشكلات اقتصادية وسياسية مع جارتها (السنغال).

وآل الأمر أخيرا عبر انقلاب عسكري منذ نحو عشرين سنة إلى الرئيس الحالي (معاوية ولد سيدي أحمد الطايع). فحكم البلاد حكما عسكريا استخباراتيا ، وأوصلها لقعر الأزمات والفقر والفساد. ولكن القفزة الجديدة التي أحدثها هذا الطاغوت هي الانفتاح على أمريكا وإسرائيل ، حتى وصل الأمر به لإقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع تل أبيب، وافتتح سفارة للعدو الصهيوني في نواكشوط العاصمة!

وقد قامت عليه عدة انتفاضات شعبية وانقلابات عسكرية قمعها كلها بالحديد والنار، ومازال يجثم على صدور المسلمين في موريتانيا قبحه الله وأهلكه وأمثاله من فراعنة بلاد المسلمين.

(20) إريتريا:

ليس تحت يدي الآن ما يكفيني من المعلومات لكتابة ملخص واف عن هذا الإقليم المسلم ، ولكن الذي أذكره من معلوماتي العامة، أنها كانت تخضع للاحتلال الإثيوبي (الحبشة)، منذ زمن بعيد ، وقد ذاق المسلمون في عهد إمبراطورها (هيلا سي لاسي) صنوف العذاب ، وقامت فيها منذ عشرات السنين ثورات جهادية للتخلص من حكم الأحباش وتحصيل الاستقلال عنهم. ثم حصل انقلاب شيوعي في إثيوبيا ، ولكنإريترياباقيت تعاني نفس البلاء تحت حكمهم واستمرت الثورات الجهادية المسلحة.

ثم تسللت المنظمات التنصيرية إلى إثيوبيا وأنشأت أجهزة الإستخبارات المختلفة كيانات ثورية وسياسية تقوم على عقائد علمانية ويسارية ونصرانية ، تطالب أيضا باستقلال إثيوبيا ، وتقاتل الأحباش. وقد لاقى الثوار الإرتريون مختلف أشكال الدعم من البلاد والأنظمة العربية ، إلى أن تحقق استقلالها. ولكن الحكم آل فيها إلى المدعو (أسياسي أفورقي) فقلب ظهر المجن للعرب وتنكر لعروبةإريتريا بل ولإسلاميتها ، واتبع سياسة انفتاح على الغرب وعلى إسرائيل التي كثفت حضورها في البحر الأحمر مقابل سواحل الحرم المكي، وتحكمه بمضيق باب المندب ! وتابع المجاهدون المسلمون قتالهم ولكن ضد حكومة بلادهم هذه المرة ، وفيإريترياالیوم عدد من المنظمات الإسلامية المسلحة العاملة في ظروف صعبة من العزلة والعوز، حتى صارت قضية شبه منسية من العرب والمسلمين فيما تعيث المنظمات التنصيرية والموساد الإسرائيلي فيها فسادا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

21- الصومال وجيبوتي :

وتحتل موقعا استراتيجيا يعرف بالقرن الإفريقي في مقابلة سواحل اليمن وجزيرة العرب. وقد هاجرت إليها منذ أزمنة سحيقة قبائل العرب واختلطت بالأفارقة. وكانت على علاقة تجارية بالعرب منذ عصور ما قبل الإسلام. وبعد ظهور الإسلام ، واستمرت هذه العلاقات ، ثم وهاجرت قبائل عربية في القرن الرابع الهجري إلى شرقي إفريقية وأسست مدنا تجارية مثل مقديشو وبراوة ونقلت معها الإسلام والحضارة العربية، واختلط العرب بسكان السواحل من قبائل البانتو فامتزجت الدماء وتكون الشعب السواحلي الذي يتكلم اللغة الساحلية ، ثم خضعت المنطقة للاستعمار البرتغالي بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح سنة (1498م). ولما استقر العثمانيون في عدن أغاروا على البرتغاليين بمساعدة العناصر العربية ، ففي سنة (1586م) تمكنوا من إلحاق مقديشو بالدولة العثمانية.

ولما قامت (دولة اليعاربة) في عُمان أرسلت أسطولا بحريا إلى ساحل إفريقية الشرقي سنة (1698م) تمكن من بسط سيادة العمانيين على البلاد باستثناء مستعمرة موزنبيق.

وفي عهد دولة بوسعيد العمانية سقطت (ملبسة) في يد السلطان سعيد بن سلطان سنة (1837م) ، بل إنه نقل عاصمته من مسقط إلى زنجبار.

ونظرا لقيام الصراع بين أفراد أسرة البوسعيديين تدخلت بريطانيا في شؤون الصومال ، كما تدخلت فرنسا ، وبريطانيا و إثيوبيا وكينيا لدعم نفوذهم في البلاد.

ثم تمكنت فرنسا من وضع يدها على منطقة قريبة من مضيق باب المندب عرفت بالصومال الفرنسي ، وكذلك إنجلترا على منطقة أخرى عرفت بالصومال البريطاني وإيطاليا على ثالثة عرفت بالصومال الإيطالي.

ثم اندلعت الحركة الوطنية الصومالية أواخر القرن التاسع عشر وأرغمت بريطانيا على إخلاء المناطق الداخلية من الصومال البريطاني.

ثم تعاظمت حركة المقاومة ضد الفرنسيين والبريطانيين والإيطاليين مطالبة باستقلال الصومال وتحقيق وحدته.

وقد تحقق تحرير الصومال الإيطالي سنة (1960م) بعد صدور قرار هيئة الأمم المتحدة سنة (1959م) كما تحقق تحرير الصومال البريطاني في نفس العام ثم اتحد الإقليمان في جمهورية واحدة عرفت باسم (جمهورية الصومال) سنة (1960م) أما الصومال الفرنسي فلم يحرز الاستقلال إلا في عام (1977م) ، وتسمى باسم (جهورية جيبوتي).

والتحقت الدولتان بالجامعة العربية.

قد حكم الصومال لفترة طويلة طاغوت عنيد هو (مُحَمَّد سياد بري)، ولكنه لما هلك أواخر الثمانينيات، تفتت الصومال في صراع قبلي نظرا لتجذر الصراع القبلي فيها وتعقده وتشابكه. مما أتاح المجال مطلع التسعينيات للتدخل الأمريكي ، فرست البوارج الأمريكية على شواطئ الصومال ، ولكنها سرعان ما غاصت في رمالها وأوحالها ، وتصدت لها القبائل والمجاهدون ، وبدأت نذر فيتنام صومالية تلوح أمام الأمريكان ، ففروا على عجل لا يلوون على شيء ومل زال الصومال متفتتا في حالة استقرار حرج يندلع فيه القتال بين الفينة والأخرى.

ثانيا : أحوال بعض دول العالم الإسلامي:

1.تركيا:

حكم مصطفى كمال أتاتورك لتركيا (1924– 1938 م) :

يكاد المتتابع لتاريخ مصطفى كمال ، يجزم أن هذه الرجل حكم تركيا وحده حكما مطلقا لا ينازعه فيه أحد ، حكما دكتاتوريا يقوم على السحق والإبادة والدماء والأشلاء.

فقد أعلن الجمهورية بعد مؤامرة حاكها مع أصحابه وكان يرى وجوب اقتلاع سيطرة الدين من تركيا ، ثم ألغى الخلافة وأقر قانونا يقضي اعتبار كل معارضة للجمهورية وكل ميل إلى السلطان المخلوع خيانة يعاقب عليها بالموت.

وفي (3) مارس سنة (1924م) تقدم بمشروع إلغاء الخلافة وطرد الخليفة ، وفصل الدين عن الدولة وإلغاء المحاكم الدينية العتيقة وقوانينها ليحل محلها محاكم وقوانين عصرية ، وإلغاء المدارس الدينية ليحل مكانها مدارس حكومية علمانية.

وفي اليوم الثاني أصدر أمرا بطرد الخليفة وجميع الأمراء والأميرات من تركيا ورحِّلوا خارج البلاد.

بعد أن تخلص من خصومه واصل تدميره للإسلام والبلاد . ففرض القبعة – التي كانت رمز الكفر في نظر الأتراك – فعارضها الأتراك ، فنصب لهم المشانق في ميادين المدن.

ثم استورد القوانين الوضعية الأوروبية ، فاستدعى الخبراء ليضعوا القوانين الجنائية والمدنية والتجارية المأخوذة من القوانين الإيطالية والسويسرية والألمانية.

ثم ألغى الحروف العربية التي يكتب بها الأتراك والتي كتب بها التراث الإسلامي كله من فقه وحديث وتفسير وتاريخ. وأرغمهم على الكتابة بالأحرف اللاتينية حتى يفصلهم نهائيا عن دينهم وتراثهم. وحددوا يوما ليعاقب بعده كل من لم يتقن الحروف اللاتينية من حرمان وظيفة ، وتجريد جنسية وطرد من البلاد وسجن.

ثم منع تعدد الزوجات ، وقرر المساواة بين الرجال والنساء في جميع الحقوق والواجبات والمواريث ..، وأنشأ مدارس الفنون للشباب والشابات ، ومدارس لتعليم الرقص الشرقي والغربي ، ومنع الحجاب وأخرج المرأة من بيتها وأدخلها في مناصب الدولة ، وأنشأ المسارح المختلطة ، وشجع الحفلات الراقصة ...

حول المسجدين العظيمين – أيا صوفيا ، ومسجد الفاتح – إلى متحفين. ونصب تماثيله في كل مكان.

ألزم الناس الأذان باللغة التركية ، وألزمهم تلاوة القرآن الكريم باللغة التركية لا بالعربية ، وسمع مرة أذان الفجر من مسجد مجاور فأمر بهدم المئذنة.

أدخل التقويم الجريجوري الغربي محل التقويم الهجري. وألغى عيد الفطر والأضحى. وجعل يوم الأحد العطلة الأسبوعية بدل الجمعة. منع الحج ، ومن الحجاب.

وخلاصة القول لقد كان يحكم وكأنه ليس في تركيا أحد.

كان يقول: أنا تركيا وتركيا هي أنا ، أنا رئتها التي تتنفس بها ، فكل محاولة لتدميري هي محاولة لتدمير تركيا.

وهكذا استمر يدمر تركيا ويمسح عن وجهها هذا الدين – الذي رفعها – لتحكم خمسة قرون متتالية أراض لا تغيب عنها الشمس ، وواصل تدميره لكل الأعمدة التي أقيم عليها صرح هذه الدولة المسلمة الشامخ إلى أن أصبحت تركيا في ذيل قافلة الرقيق في كل مناحي الحياة.

وقد قامت ضد أتاتورك عدة ثورات أهمها ثورة الصوفية النقشبندية سنة 1924م. ثم سنة 1930م ولكنه قمعهم بقسوة. كما قاومه الصوفيون من الطريقة التيجانية ، وحركة سعيد النور سي بالطرق السلمية والدعوة، فقمعهم أيضا. ثم تفرد في الحكم.

ثم أصيب أتاتورك بمرض الكبد بسبب الخمر وضعفت ذاكرته وأصيب بالأمراض الجنسية المختلفة.

وفي أثناء مرض الموت استدعى أتاتورك السفير البريطاني (لورين) ليوصي له برئاسة الجمهورية التركية كما سبق !!!.

ويحدث الأتراك عن العذاب الذي كان يعاني منه أثناء مرضه العجب. وكان يصيح صياحا يخترق شرفات القصر الذي يقيم فيه (دولة باغجة) في القسطنطينية.

وأصبح جلدا على عظم ، وسقطت أسنانه ، وأوصى أن لا يصلى عليه صلاة الجنازة ، وفي نوفمبر سنة (1938م) رحل أتاتورك من الدنيا ملعونا في السماء والأرض.

بعد أن دمر تركيا الإسلام ، ومزق الأسرة ، وحطم الأخلاق ، وداس القيم ، وانتهك الشعائر وحول المساجد إلى مخازن للحبوب..

يقول عرفان أوركا: (إن أتاتورك قد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجه إلى الدين وكان يعتقد من صغره أن لا حاجة إلى الله ، وكان يقول: إن قوة العقل والإرادة تتغلبان على قوة الإله ، وكان في آخر عهده يرفع قبضته ويشير إلى السماء ساخرا مهددا)[10].

تركيا بعد أتاتورك (1938– 2004م)

1. مات أتاتورك بعد أن خلف تركيا فقرا بلقعا ، وكانت أعماله محط أنظار الغرب. فعض على إنجازاته التدميرية بالنواجذ وجيء بنائبه عصمت إينونو ليصبح رئيسا للجمهورية. فاعترف بإسرائيل سنة (1948م) ، وبدأت أمريكا بزرع القواعد العسكرية فيها.
2. ثم أراد الغرب أن يسبر غور التجربة الكمالية في الشعب التركي. فأجبروا عصمت إينونو على إنشاء الأحزاب السياسية، فاختار إينونو (جلال بايار) وكلفه بتشكيل الحزب المعارض والحزب الديمقراطي ، وكان يساعد جلال بيار عدنان مندريس فأصبح عدنان قطب الرحى في الحزب.
3. ثم دخلت تركيا حلف شمال الأطلسي سنة 1950م وانتشرت فيها القواعد الأمريكية ، وصارت تحت النفوذ الأمريكي واليهودي.
4. ويشاء الله أن تحصل في هذه الفترة حادثة عجيبة لعدنان مندريس فبينما كان ذات مرة يركب طائرة توقف أحد محركاتها وأعلن الربان حالة الخطر ، فعاهد مندريس ربه لإن أنجيتني لأعيدن الإسلام إلى تركيا. واحترقت الطائرة وكان الشخص الوحيد الذي نجا منها هو مندريس.

---

[10] عن كتاب الذخائر (ص740-744)

5. دخل الحزب الديمقراطي سنة (1950م) الإنتخابات ببرنامج عجيب توقعت له كل الدراسات الأمريكية الفشل المطلق.

كان البرنامج لا يتضمن أكثر من عودة الأذان باللغة العربية ، والسماح للأتراك بالحج، وإعادة إنشاء وتدريس الدين بالمدارس ، وإلغاء تدخل الدولة في لباس المرأة.

وقد بنى دعايته الانتخابية على أساس العودة التدريجية إلى الإسلام كمصدر أساسي لقوة الشعب التركي المتدين.

كانت النتيجة مذهلة ، سقط حزب أتاتورك إلى اثنين وثلاثين نائبا، وفاز الحزب الديمقراطي بثلاثمائة وثمانية عشر مقعدا ، وكانت دهشة اليهودية العالمية الماسونية عظيمة حين اكتسح مندريس خليفة أتاتورك ، ويومها صاح إينونو قائلا: لقد انتصر عدنان مندريس بدعايته الدينية.

وتسلم عدنان مندريس مقاليد الحكم رئيسا للوزراء. وجلال بايار رئيسا للجمهورية ، وشرع لتوه ينفذ وعوده التي بذلها للشعب أثناء عملية الإنتخابات.

واستجاب مندريس لمطالب الشعب فعقد أول جلسة بمجلس الوزراء في غرة رمضان ، وقدم للشعب هدية الشهر الكريم: (الأذان بالعربية وحرية اللبس وحرية التدريس الدين وبدأ بتعمير المساجد).

وجاءت انتخابات عام (1954م) وهبط نواب حزب أتاتورك إلى (24) نائبا ، وسمح بتعليم اللغة العربية ، وقراءة القرآن وتدريسه في جميع المدارس حتى الثانوية وإنشاء عشرة آلاف مسجد ، وأنشأ اثنين وعشرين معهدا في الأناضول لتخريج الوعاظ والخطباء وأساتذة الدين، وسمح بإصدار مجلات وكتب تدعو إلى التمسك بالإسلام والسير على هديه ، وأخلى المساجد التي كانت الحكومة السابقة تستعملها مخازن للحبوب وأعادها أماكن للعبادة.

وتقارب مندريس مع العرب ضد إسرائيل ، وفرض الرقابة على الأدوية والبضائع التي تصنع في إسرائيل وطرد السفير الإسرائيلي سنة (1956م) ، وفتح (25) ألف مدرسة لتحفيظ القرآن.

تحركت اليهودية العالمية ضد مندريس ، وحركت أمريكا والدول الغربية الماسونية في الجيش ، فقام الجنرال الماسوني (جمال جو رسل) سنة (1960م) بانقلاب وشنق عدنان مندريس وفطين زورلو ، وحسن بلكثاني.

وكتب الصحفي اليهودي سامي كوهين: لقد كان السبب المباشر الذي قاد مندريس إلى حبل المشنقة سياسته القاضية بالتقارب مع العالم الإسلامي والجفاء والفتور التدريجي في علاقتنا مع إسرائيل، ثم ضرب حزب العدالة.

1- في سنة (1965م) أجريت انتخابات مرة أخرى ربح فيها حزب العدالة بأغلبية ساحقة ، وكان رئيسه سليمان ديميريل ، وقال إينونو: أنا لم يهزمني ديميريل ... بل هزمتني جماعة النور الإسلامية الصوفية. أتباع الشيخ سعيد نورسي.

وحصل حزب العدالة على (263) مقعدا من (450) مقعدا وضاعف ديميريل مدارس الأئمة إلى (72) ومدارس تحفيظ القرآن إلى اثنتي عشر ألف مدرسة وتقرب للعرب وفترت علاقاته مع إسرائيل. واشترك بالمظاهرة الإسلامية ضد إسرائيل في الرباط فتحركت أمريكا ومن ورائها اليهودية العالمية وحركت الجيش وجاء الإنقلاب العسكري الذي نحي فيه ديميريل عن الحكم ، ولكن لم يعدم بسبب أنه ماسوني.

2- و تزداد الديون على تركيا يوما بعد يوم ، بالأضعاف إلى أن نسبة التضخم بلغت (42% - 60%) سنة (1970م) والبطالة (20%) والديون كانت سنة (1970م) (21) مليار دولار ، وفي سنة (1979م) أصبحت (17) مليار).

واستسلمت الحكومة للبنك الدولي وخفضت قيمة الليرة التركية إلى (8) مرات وفي سنة (1980م) ارتفعت نسبة الربا إلى (30%) أعلى نسبه في العالم.

3- ظهر حزب السلامة الوطني الإسلامي سنة (1972م) الذي كان يقوده الدكتور (نجم الدين أربكان) الحاصل على دكتوراه من جامعة ألمانية ، والتف كثير من الشباب التركي حول هذا الحزب، ووقف الحزب ضد الغرب الصليبي بزعامة أمريكا ، فطالب بالخروج من حلف الأطلسي وتحرير تركيا من القواعد الأمريكية ، ووقف ضد إسرائيل ، واليهود وعارض انضمام تركيا إلى السوق الأوروبية المشتركة ، وطالب بإرسال كتائب من الجيش التركي لمساعدة المجاهدين الأفغان ، كما أرسلت الحكومة جيشا يحارب مع أمريكا في كوريا.

4- وفي سنة (1972م) دخل المعركة الإنتخابية وفاز باثنين وأربعين مقعدا ، وشارك في الحكم مع حزب الشعب الذي يرأسه أجاويد، وشرط أربكان أن يكون هو النائب لرئيس الوزراء وأن يكون له ثمانية من الوزراء في الحكومة التركية.

5- وفي هذه السنة غزت تركيا قبرص لحماية المسلمين الأتراك من فتك القبارصة اليونانيين النصارى ، ولعب أربكان دورا مهما في قرار التدخل.

6- وبدأ الحزب يحاول إعادة تربية الأتراك على الإسلام ، ففتح أبوب الحج للشعب فبلغ عدد الحجاج (150) ألف سنويا ، وهذا رقم خيالي بالنسبة لما سبق. رغم أن عدد السكان كان زهاء خمسين مليون نسمة ! وافتتح الحزب (3000) مركز للتعليم في القرى و (3000) مدرسة لإعداد الأئمة والخطباء ، ووضع خطة لإنشاء جامعة إسلامية ، والتحق بمدارس الأئمة والخطباء ما يقرب من مائتي ألف طالب، وطالب الحزب بجعل العطلة الرسمية يوم الجمعة بدل الأحد ، وإجراء عقود الزواج حسب الشريعة وبتعليم القرآن واللغة العربية في المدارس. وسيطر الحزب على الاتحاد العام لطلبة تركيا.

وفي (1980/9/7م) عمل الحزب مظاهرة تحت شعار يوم إنقاذ القدس ، وحرق العلم الإسرائيلي وطالب بإقامة دولة إسلامية وحكم الشريعة الإسلامية. وهنا حركت

أمريكــا الجــيش التركــي وأقــام كنعــان إيفــرين بالإنقــلاب الأمريكــي في (1980/9/12م).

كما صرح بعض المسؤولين الأمريكيين ، أن هناك مخاوف متزايدة من حكم إسلامي وبصورة تتعـارض مـع خـط الـزعيم التركي (أتاتـورك) الـذي أرسى دعـائم الدولـة العلمانية في تركيا، فالانقلاب التركي أنقذ تركيا من أن تتحول من دولة علمانية إلى دولة تحكمها التقاليد الدينية الإسلامية ، ومدح و اينبرغر إفرين وزمرته وأعطوا تركيا سبعمائة وثلاثة مليون دولار.

واعتقل إفرين أربكان ورجال حزب السلامة وافتتح عهده بوضع إكليل من الزهور على قبر أتاتورك، واعتبر إيفرين وحكومته عام (1981م) هو عام أتاتورك.

منع إفـرين الملتحـين مـن البقـاء في الجامعـات خاصـة أكاديميـة (سـكا ريا) ومنـع الحجاب.

7- في (24) أبريل سنة (1981م) مثل نجم الدين أربكان زعيم حزب السلامة الوطني هو وثلاثون من أعضاء الحزب أمام محكمة عرفية عسكرية ، وقد قرأ المدعي العام العسكري لائحة الإتهام ، أما الجرائم التي جاءت في لائحة الإتهام فهي:

أ. العمل على استبدال مبادئ الدولة القانونية والاجتماعية والإقتصادية والسياسية بمبادئ تقوم على أساس الإسلام.

ب. قيام عدد من المنظمات الشبابية والطلابية والعمالية والمهنية والمرخصة والمرتبطة سرا بالحزب والتي تعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية في تركيا.

ج. اجتماعات الحزب وهتافات تكشف أهدافه ، ومن هذه الهتافات (محمد قائدنا) ، (سنحطم الأصنام ونقيم دولة الإسلامية) ، ومن لافتاته. ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة:44) .

د. ترديدهم لذكر الله في اجتماعاتهم وتذكيرهم الأمة بأنها حاربت خلال تاريخها من أجل الإسلام لا من أجل أشخاص أو أبطال.

هـ . إصرار أربكان على افتتاح مدارس تعليم القرآن في كل قرية وإصراره على فتح مسجد أيا صوفيا.

و. هاجم معاهدة لوزان وتغيير الحروف العربية واستبدال القوانين ، وختم حديثه بأن تركيا اليوم جمهورية ملحدة.

ز. طالب الحزب بأن تكون الجمعة يوم العطلة الرسمية وأن يكون الزواج شرعيا.

وقد طلبت النيابة العامة بسجن أربكان وإخوانه (14- 36) عاما.

تركيا بعد حكم الانقلاب العسكري :

في مطلع التسعينات قبل العسكر بإعادة الديمقراطية وانتخب تورغوت أوزال لرئاسة الوزراء. ثم نجح في انتخابات رئاسة الجمهورية وحقق إصلاحات إقتصادية مشهودة.

وفي 1996م خاض حزب السلامة الإنتخابات تحت اسم (حزب الرفاه) ، وحاز على أعلى الأصوات إذ حصل لوحده نسبة 22 % من الأصوات ، فقامت الدنيا ، واستلم أربكان رئاسة الوزراء. وتعرض لضغوط دولية اضطر تحتها لتوقيع عدد من المعاهدات مع إسرائيل ، ولم يرض العسكر والعلمانيون عنه مع ذلك ، وحكمت عليه المحكمة الدستورية بحل الحزب ومنعه وكبار وعاونيه من مزاولة السياسة وحل حزب الرفاه.

وفي سنة 2003 م عاد بعض الإسلاميين من بقايا الرفاه وغيرهم لتشكيل حزب يتبنى خطا علمانيا إسلاميا معتدلا جدا جدا في نظر الغرب بقيادة ، (رجب طيب أردوغان) الذي كان من تلاميذ أربكان وكان واليا لبلدية استانبول ، وكان رجلا ذائع الصيت مشتهرا بنزاهته وخدماته. وفاز الحزب الذي حمل اسم (حزب العدالة والتنمية) بـ (36%) من الأصوات بالانتخابات !! ، فرضخ العلمانيون للنتيجة واعترفت أوربا بنزاهتها. وشكلوا حكومة ما تزال تتعرض للضغط والابتزاز من أمريكا والغرب ، وتقوم بتنازلات شرعية ومبدئية كثيرة. ولكن يشهد لها أنها استعصت على الأمريكان ولم تقدم كل الخدمات

العسكرية المطلوبة منها ، ولم تسمح للأمريكان بالمرور برا إلى شمال العراق من تركيا ، وكان موقفا مشرفا (نسبيا) قياسا بما فعله خونة الحكام العرب أثناء وبعد احتلال العراق. وتشهد تركيا تجاذبا اجتماعيا وسياسيا كبيرا بين الإسلامية المتأصلة والعلمانية المتفشية. ويجب أن نذكر هنا أن الحكومة الحالية تقدم لأمريكا خدمات كبيرة في مجالات مكافحة الإرهاب ومطاردة الجهاديين من أتراك وغيرهم مما جعل تركيا هدفا لعمليات بعض التنظيمات الجهادية.

2. باكستان :

تقع باكستان في شبه القارة الهندية ويبلغ تعداد سكانها اليوم زهاء 140 مليون نسمة. وقد دخل الإسلام في الهند إبان عصر الخلافة الأموية ، واستطاع العباسيون استرداد النفوذ الإسلامي بالهند خلال العصر العباسي الأول بعد ثورة الهندوس ضد المسلمين. كما شهدت الهند قيام دول إسلامية متتالية مثل الدولة الغزنوية التي استطاع مؤسسها محمود الغزنوي أن يتوسع في شبه القارة الهندية على حساب الهندوس، وبذل جهودا جبارة تابعتها بعد ذلك الدولة الغورية من أجل نشر الإسلام ، كما تلتها دول أخرى مثل دولة المغول التي أحرزت شهرة كبيرة في الفن والعمارة الإسلامية والتجارة. وعمّ الإسلام وحكم ثلثي القارة الهندية.

وفي أواخر عهد الدولة المغولية تعرضت البلاد للغزو الأجنبي من قبل البرتغاليين والفرنسيين والإنجليز.

وأسس الإنجليز شركة الهند الشرقية البريطانية منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي سنة (1009هـ). فناهضت النفوذ البرتغالي في الهند وفتحت المجال أمام احتلال الإنجليز لبعض أقاليم الهند.

اتبع الإنجليز سياسة إثارة الهندوس ضد المسلمين ، وتمثل رد الفعل في ظهور حركات إسلامية تناهض بريطانيا ، لكن الإنجليز قمعوا الثوار بوحشية وقسوة ، وأعلنوا أن (الهند

مستعمرة بريطانية) على إثر ذلك اندلعت حركات الجهاد الإسلامية والمقاومة الوطنية. ثم بدأ التيار الإسلامي ينشط على يد بعض العلماء والمفكرين من أمثال مُحَّد إقبال ومن السياسيين مثل مُحَّد على جناح اللذين وطالبوا بتحرير المسلمين في الهند ، وفي سنة (1324هـ) تأسس (حزب الرابطة الإسلامية) الذي أنشأ جامعة إسلامية في (دكا).

وخلال الحرب العالمية الأولى قام (غاندي) بمناهضة الاحتلال البريطاني سلميا ، كما قام مُحَّد علي جناح بدعوة إسلامية تدعو إلى العنف من أجل تحرير البلاد بدلا من سياسة غاندي المسالمة.

وفي سنة (1347هـ) قرر زعماء المسلمين بقيادة مُحَّد علي جناح المطالبة بنظام اتحادي يمنح المسلمين في الهند حكما ذاتيا ، فرفضه حزب المؤتمر الهندي بزعامة غاندي.

وفي سنة (1349هـ) طالبت (الرابطة إسلامية) بقيادة مُحَّد إقبال بتأسيس دولة إسلامية في الهند برئاسة مُحَّد علي جناح.

وفي سنة (1356هـ) أعلن مُحَّد علي جناح تمسكه بتأسيس دولة إسلامية منفصلة في الهند أطلق عليها لأول مرة اسم (باكستان).

تلت ذلك فترة صراعات دموية بين المسلمين والهندوس ، صمد المسلمون خلالها وظلوا متمسكين بمطالبهم حتى وافقت بريطانيا على استقلال الهند سنة (1366هـ) (1947م) واعترفت بدولة باكستان في نفس العام.

ويعتقد أن جناح كان عميلا لبريطانيا. وهو من أصل إسماعيلي باطني ، وما لبثت زوجته وأسرته أن تنصرت وقد أقام الباكستان على أصول إنكليزية دستوريا وسياسيا.

انضمت باكستان إلى هيئة الأمم المتحدة في منتصف شوال سنة (1366هـ) وكان مُحَّد علي جناح أول رئيس لها. وبعد وفاته سنة (1367هـ) خلفه (الخوجا) نظام الدين الذي أعلن تطبيق الشريعة الإسلامية ، ولكن ذلك لم يطبق.

وفي سنة (1376هـ) وضع أول دستور لباكستان على أسس التشريعات الإنكليزية المتناقضة جملة وتفصيلا مع الشريعة الإسلامية. وبمقتضاه أصبحت (جمهورية دستورية) ،

وكانت عاصمتها مدينة (كراتشي) ، وتولى (إسكندر ميرزا) رئاسة الجمهورية ثم تنازل عنها للقائد العسكري (محمد أيوب خان).

وفي سنة (1385هـ) وقعت الحرب بين الهند وباكستان حول إقليم كشمير ذي الغالبية المسلمة .وهزمت الأخيرة فتنازل أيوب خان عن رئاسة الجمهورية لقائد الجيش (الجنرال يحي خان) سنة (1389هـ).

وفي سنة (1390هـ - 1971م) أجريت الانتخابات وفاز فيها (حزب عوامي) برئاسة (مجيب الرحمن) الذي عارض (حزب الشعب) بقيادة (ذو الفقار علي بوتو) وعبر هذا الصراع عن صراع أعنف بين (باكستان الشرقية) و (باكستان الغربية) وفي سنة (1391هـ 1972م) أعلنت باكستان الشرقية استقلالها فقامت الحرب الأهلية التي انتهت بإعلان رئيس حزب الشعب ذو الفقار علي بوتو رئيسا لجمهورية باكستان الغربية ، بعد انفصال باكستان الشرقية التي تكونت بها دولة (بنغلاديش).

وفي سنة (1397ه) قام انقلاب عسكري بقيادة (الجنرال ضياء الحق) على حكم ذو الفقار علي بوتو الذي أعدم فيما بعد.

وعمل ضياء الحق على تحكيم الشريعة تدريجيا، وقدم خدمات كبيرة للمجاهدين الأفغان ، وخضعت باكستان في عهده للنفوذ الأمريكي ، ولكن المطالب الأمريكية وتدخلها في شؤون الباكستان والأفغان كانت كبيرة ، ولم ينفذها ضياء الحق كليا ، فقد كان الرجل تحت تأثير قناعاته القومية وعاطفته الإسلامية. فاغتالته أمريكا وتولت أسرة بوتو (ابنته بنظير بوتو ، وابنه مرتضى بوتو) تنفيذ العملية. بإشراف السفارة الأمريكية ثم عاد الحكم إلى حزب الشعب الذي تترأسه (بنظير بوتو) رئيسة وزراء باكستان. ثم خسرت الانتخابات أمام حزب جديد نشأ باسم (الرابطة الإسلامية) وتزعمه (نواز شريف). ورغم أن الباكستان خضعت كليا للسياسات الأمريكية في عهد بنظير وشريف ، إلا أن أمريكا كانت تحتاج لحاكم عسكري عميل وقوي ينفذ سياساتها في باكستان وأفغانستان بشكل ديكتاتوري. فرتبت لانقلاب عسكري على نواز شريف ، أوصل الجنرال (برويز

مشرف) للسلطة سنة 1997م. ومنذ ذلك الوقت تحكم أمريكا باكستان حكما شبه مباشر.

وفي سنة 2001م قام مشرف بالمهمة الرئيسية التي جاء من أجلها، واعتمدت أمريكا عليه بشكل كلي في إسقاط نظام طالبان. وتصفية المجاهدين العرب ، والباكستانيين ، ومجاهدي وسط آسيا في مذبحة مروعة (راجع التفاصيل في كتاب – باكستان مشرف – المشكلة والحل والفريضة المتعينة).

ثم أجرى مشرف انتخابات صورية مزورة عين بها نفسه رئيسا دستوريا ! ثم أجرى مسرحية أخرى جاء بها ببعض الأحزاب للبرلمان، واشترك الإسلاميون في هذه المسرحية !!

يتابع مشرف اليوم خدماته الجليلة لأمريكا في اجتثاث الإسلام من باكستان ، وسط ذهول وعجز من تيارات العلماء والإسلاميين الذين ضرب غالبيتهم فالج القعود أو عمى البصيرة ، رغم قوتهم وكثرتهم. فقد أعلن مشرف يوم توليه السلطة أن قدوته هو أتاتورك محطم الخلافة في تركيا وماسح الإسلام منها. وما تزال باكستان تعيش تبعات هذا المخطط، والله المستعان.

3. إيران :

إيران كلمة مشتقة من اسم الشعوب الآرية التي هاجرت إلى الإقليم الواقع شرق العراق وحتى الحدود الغربية لبلاد التركستان في العصور القديمة.

وقد أطلقت كلمة " بلاد فارس" على هذا الإقليم في العصر الإسلامي. وقد أقام المغول " دولة الإيليخانين" في إيران التي ظلت تحكم معظم أقاليمها حتى قيام الدولة الصفوية الشيعية سنة (906هـ) التي يعد قيامها بداية لتاريخ إيران الحديث.

وكان مؤسس هذه الدولة هو الشاه إسماعيل الصفوي الذي استطاع أن يوحد البلاد ويقيم دولة على المذهب الشيعي الاثني عشري.

وقد دخلت الدولة الصفوية في صراع مع الدولة العثمانية السنية، وانتهى الأمر بهزيمة الصفويين في معركة "جالديران" سنة (930هـ).

ومن أشهر حكام الدولة الصفوية طهماسب ابن الشاه إسماعيل الذي رفض الاعتراف بالتبعية للعثمانيين. فحاربوه ودخلوا بغداد ثم تبريز عاصمة الصفويين سنة (941هـ).

وبعد موته خلفه ابنه الشاه عباس الكبير الذي شهد حكمه تدخل بريطانيا في شؤون إيران ونجح في استرداد بغداد و تبريز من العثمانيين. كما أسس مدينة عرفت باسمه هي " بندر عباس" صارت قاعدة تجارية هامة.

ولما ضعفت الدولة الصفوية ارتقى عرش إيران قائد من قوادهم هو "نادر شاه" سنة (1149هـ) الذي انتصر على العثمانيين ، وطرد الروس من بعض المدن إيران التي استولوا عليها من قبل. كما توسع شرقا حتى بخارى وأفغانستان وهاجم دولة المغول في الهند وخرب عاصمتهم "دهلي".

وبعد مقتله سنة (1163هـ) استقلت الكثير من الأقاليم عن إيران كبلاد الأفغان وجورجيا وسيطرت روسيا على تركستان وحلت الفوضى والقلاقل بإيران. وظل الحال كذلك حتى قيام الدولة القاجارية سنة (1193هـ). ومؤسس هذه الدولة في إيران هو " أقا مُحَمَّد خان" الذي استطاع القضاء على الفتن وأعاد وحدة إيران.

وفي عهد خلفه " فتح شاه" صارت إيران ميدانا للصراع الدولي بين فرنسا وروسيا وبريطانيا ، إذا استولى الروس على بعض الأقاليم الشمالية من إيران ، كما حصلت بريطانيا على امتيازات تجارية ، كما استولت على بعض الأراضي في شرق إيران وضمتها إلى الهند.

وفي عهد "ناصر شاه" جرى اقتباس بعض مظاهر الحضارة الأوروبية، واتبع خلفه الشاه مظهر الدين الذي تولى سنة (1314هـ) سياسة الأخذ بالحضارة الأوروبية. وبفعل ضغط المعارضة الوطنية أصدر دستورا للبلاد سنة (1324هـ).

ولما قامت الحرب العالمية الأولى أصبحت إيران ميدانا للصراع الدولي بين ألمانيا وتركيا من جهة وروسيا وإنجلترا من جهة ثانية. وبعد انتهاء الحرب عقدت معاهدة بين إيران وبريطانيا اعترفت فيها الأخيرة باستقلال إيران.

وفي سنة (1340هـ / 1922م) قام أحد الضباط وهو " رضا بهلوي" بانقلاب عسكري ، وتحررت إيران من الروس والبريطانيين.

وسار رضا بهلوي على نهج كما أتاتورك في تركيا ، فاتجه إلى سياسة " التغريب " فأدخل النظم الغربية الحديثة كما ألغى الامتيازات الأجنبية، وأسس جامعة طهران سنة (1354هـ).

ولما قامت الحرب العالمية الثانية إلتزم رضا بهلوي موقف الحياد. لكن تآمر الحلفاء أدى إلى هجوم روسي إنجليزي تؤيده الولايات المتحدة على إيران ، وتم خلع رضا بهلوي سنة (1363هـ / 1945م) وخلفه مُحَمَّد رضا بهلوي.

أعلن مُحَمَّد رضا بهلوي الحرب على دول المحور ، وقدم الحلفاء مقابل ذلك مساعدات اقتصادية وعسكرية إلى إيران. ثم دخلت إيران في النفوذ الأمريكي والبريطاني تماما. وصار الشاه شرطيهم في منطقة الخليج.

وبعد الحرب تعاون الروس مع "حزب توده" الشيوعي لإحداث المتاعب في وجه الشاه. لكن في سنة (1365هـ) تحسنت العلاقات مع روسيا وتم توقيع معاهدة سنة (1365هـ) انسحب الروس بمقتضاها من شمال إيران.

أما بريطانيا فقد حصلت على امتيازات التنقيب عن البترول في إيران ، كما حصلت على امتيازات تجارية للإيرانيين وفق اتفاقية عقدت سنة (1367هـ). ورفع (مُحَمَّد مصدق) لواء المعارضة ضد الشاه والإنجليز ، وأقر المجلس النيابي تأميم صناعة النفط. واستعان الشاه بالجنرال زاهدي وأسند إليه رئاسة الوزراء ، ونجح في إخماد الحركة الوطنية ، وقبض على مُحَمَّد مصدق وحكم عليه بالإعدام.

حمل " حزب توده " الشيوعي لواء المعارضة ، ونجح الشاه في قمعه، كما قمع حركة فدائيان إسلام" ذات التوجه السياسي الإسلامي الشيعي ، وولدت أحزاب معارضة عديدة. وفي سنة (1375هـ) انضمت إيران إلى " حلف بغداد" الموالي للغرب وخصوصا الولايات المتحدة ، فأثار ذلك الاتحاد السوفيتي.

حاول الشاه تحت هذه الظروف القيام بالإصلاحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فألغى الإقطاع ، وأصدر قانون الإنتخابات، وعمل على استرضاء العمال عن طريق مشاركتهم في الأرباح ، ونشر الثقافة الغربية في البلاد.

ومع ذلك ازدادت المعارضة الوطنية والإسلامية التي استطاع (الخميني) أحد رجال الدين الشيعة تزعمها وهكذا أطاحت الثورة الإسلامية الشيعية سنة (1398هـ / 1979م) بزعامة "الخميني" بالنظام الملكي وأعلنت قيام الجمهورية الإسلامية في إيران. وما تزال تحكم إيران إلى اليوم.

4. أفغانستان :

وتقع في قلب وسط آسيا ، وعاصمتها "كابول" وتحيط بها باكستان شرقا وجنوبا، وتحدها إيران غربا وبلاد تركستان الغربية شمالا.

وكان لهذا الإقليم الذي اعتنق سكانه الإسلام في العصر الأموي، دور هام في التاريخ والحضارة الإسلامية. وقد عرب بتعدد عناصر سكانه من عرب وترك وفرس ومغول ، كما تعددت لغاته من عربية وتركية وفارسية فضلا عن "لغة البشتو" الأفغانية.

وقد تأسس بها عدة دول إسلامية في العصر العباسي منها الدولة السامانية والطاهرية والصفارية. كما قامت الدولة الغزنوية بهذا الإقليم ونجحت في نشر الإسلام في كثير من أقاليم بلاد الهند.

ثم تعرضت أفغانستان للغزو المغولي ، ووقعت تحت حكم " التيموريين" وقد شهدت في عهدهم ازدهارا حضاريا وعمرانيا وفكريا. ثم اجتاحتها الدولة الصفوية ، لكن أحد القادة الأفغان وهو "أحمد خان" استطاع أن ينفصل عنها ويؤسس حكما مستقلا سنة (1153هـ). وقد عرفت هذه الدولة لأول مرة في التاريخ باسم "الدولة الأفغانية" التي كانت "قندهار" عاصمة لها.

وفي عهد ابنه "تيمور شاه" نقلت العاصمة إلى "كابول" وامتد نفوذ دولته إلى الهند بعد الانتصار على " المهراتا " في معركة " باني بت ".

بوفاة تيمور شاه ضعفت الدولة الأفغانية ، ونجح السيخ في الهند في انتزاع الكثير من ولاياتها الهندية.

وفي عهد " زمان شاه " الذي خلف والده تيمور شاه سنة (1207هـ) شب الصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة ، وحاول استرداد أمجاد دولته بعد أن صفا الجو له ، فاصطدم بالإنجليز في الهند لذلك تآمروا عليه وأيدوا أخاه محمود شاه الذي تولى الحكم بدلا منه. وفي عهده شب الصراع بين أفراد الأسرة الحاكم حتى ظفر" دوست مُحَّد " بالحكم ولقب نفسه بلقب " أمير كابول " دون أن يلقب بالشاه أو الملك لا هو ولا أحد من خلفائه.

ثم تنافست بريطانيا وروسيا للاستيلاء على أفغانستان ونجحت بريطانيا في احتلالها سنة (1255هـ). لكن عودة " دوست مُحَّد " إلى الحكم أتاحت له طرد الإنجليز سنة (1257هـ) وأرغمهم على الاعتراف بسيادته على بلاده.

وفي سنة (1280هـ) توفي دوست مُحَّد وخلفه ابنه " شير علي " وفي عهده حاولت بريطانيا بسط نفوذها على بلاد الأفغان " فاستعان بالروس ، وقامت الحرب الأفغانية الثانية سنة (1295هـ) بين شير علي وبريطانيا التي انتهت بهزيمته ووقوع بلاده فريسة الاحتلال البريطاني.

لكن حركات الجهاد ومقاومة القبائل الأفغانية اندلعت ضد الإنجليز في عهد عبد الرحمن حفيد دوست مُحَّد ، وتدخلت روسيا في الصراع الذي انتهى بعقد معاهدة

بطرسبورج سنة (1325هـ) التي كان من أهم شروطها الاعتراف باستقلال أفغانستان واحترام سيادتها.

وفي عهد خلفه " أمان الله خان " عاد النفوذ البريطاني إلى أفغانستان مرة أخرى ، فاندلعت الحرب الأفغانية الثالثة بين الطرفين سنة (1339هـ - 1921م) وتمكن الأفغان من هزيمة الإنجليز هزيمة منكرة واضطروهم إلى الاعتراف باستقلالهم مرة أخرى.

وفي عهد أمان الله خان. جرت محاولة الاتجاه نحو العلمنة والأخذ بالنظم الغربية على طريقة مصطفى كما أتاتورك . فاندلعت الثورة الشعبية الإسلامية بقيادة العلماء. وتنازل أمان الله خان عن الحكم لأخيه عناية الله عام (1348هـ) ، ونجح أحد قطاع الطرق ويسمى "باجه السقا " في الاستيلاء على كابول وأعلن نفسه ملكا على بلاد الأفغان باسم " حبيب الله غازي".

وعاد القائد (مُحَمَّد نادر شاه) ابن عم الملك المخلوع إلى البلاد واستولى على السلطة وأعلن نفسه ملكا على أفغانستان. وفي عهده تأسس الحزب الديمقراطي ذي الميول الشيوعية سنة (1351هـ).

وبعد وفاته تولى ابنه الملك " مُحَمَّد ظاهر شاه " فنهض بالجيش ، وحاول إنشاء نظام دستوري ونشر التعليم ، ووثق علاقاته بالدول الإسلامية واتبع سياسات الانفتاح على الغرب وكان كثير التردد على إيطاليا ودول أوربا.

وبدأ التنافس الروسي الأمريكي في أفغانستان ، وتعاظم الخطر الروسي ، وحاول الشيوعيون قلب نظام الحكم متعاونين مع السردار (مُحَمَّد داوود) ابن عم الملك ونجحوا في القيام بانقلاب سنة (1393هـ) ألغى الملكية وأعلن قيام الجمهورية. وحكم البلاد بطريقة دموية بالغة القسوة فقتل آلاف الناس!.

ثم نجح الشيوعيون في إحداث انقلاب عسكري جديد سنة (1398هـ / 1980م) بزعامة " مُحَمَّد نور تراقي". فقتل آلاف الناس خلال أيام! وأعدم 29 ولدا من أبناء داوود

أمام عينيه ، ثم ختم به وأعدمه رميا بالرصاص !!! فذاق داوود ما أذاق الناس من القهر والقتل! ثم نهج تراقي نهج الشيوعية الحمراء.

فاندلعت المقاومة وحركات الجهاد التي اتخذت طابع الجهاد الإسلامي ضد الحكومة الشيوعية ، وتدخل الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة في " المسألة الأفغانية " ، فقام السوفيت بإعداد انقلاب آخر بزعامة " بابراك كارمل" المؤزر بالقوات السوفييتية التي تدخلت مباشرة في عملية غزو مكشوفة سنة 1979م.

وانطلقت أحزاب المجاهدين تواجه روسيا وتلقت دعما إسلاميا وعالميا. مما أدى لهزيمة الروس هزيمة منكرة فانسحب الروس سنة 1989م. وكانت هزيمتهم في أفغانستان إيذانا بانهيار الاتحاد السوفييتي وتفككه وتفكك حلف وارسو العالمي.

ثم تمكن المجاهدون من إسقاط الحكم الشيوعي خصوصا بعد انهيار الاتحاد السوفييتي سنة 1990م وسقوط الشيوعية العالمية وزوالها.

لكن فتنة الصراع بين الفصائل المختلفة من المجاهدين أوقع البلاد في حروب أهلية مابين (1992-1996م) ، بتدبير من أمريكا وبعض الدول الأوربية ، والإسلامية وعلى رأسها باكستان والسعودية. وراح ضحية هذه الحرب زهاء 40 ألف مسلم فيهم خيرة المجاهدين.

ثم ولدت حركة طالبان في قندهار أواخر سنة 1993م. بزعامة الملا مُحَّد عمر ، وتمكنت من إقامة إمارة إسلامية أعلنت الحكم بالشريعة الإسلامية بعد دخولها كابل سنة 1996م. وصارت أفغانستان ملجأ للحركات الجهادية العربية والإسلامية. ودخل طالبان في صراع مرير مع تحالف أحزاب الشمال من الأوزبك والفرسوان والهزارة الشيعة ، وتدخلت القوى الدولية والإقليمية مرة أخرى ..

إلى أن غزت أمريكا أفغانستان بمعاونة باكستان والسعودية ودول الخليج وبعض الدول الأوربية وإيران ! بعد أحداث سبتمبر الشهيرة ، وأسقطت إمارة طالبان في ديسمبر

2001م وما تزال القوى الإسلامية المتعددة ، والطالبان يخوضون غمار الجهاد من جديد ضد القوات الأمريكية وحلفائها إلى الآن.

(راجع كتاب (طالبان وأفغانستان ومعركة الإسلام اليوم – 1) للمؤلف) ، وستأتي تفاصيل لاحقة متعلقة بهذا الموضوع في الفصول القادمة إن شاء الله.

5. دول وسط آسيا (تركستان):

تقع تركستان (بلاد الأتراك) في أسيا الوسطى وتحدها من الشرق الصين ومنغوليا، ومن الغرب قزوين ونهر أورال، ومن الجنوب التبت وكشمير وباكستان وأفغانستان وإيران، ومن الشمال منغوليا وسيبيريا. وكان يتقاسمها بالاحتلال كل من الاتحاد السوفيتي السابق والصين الشعبية، بموجب معاهدات عديدة بدأت بمعاهدة " برشينك" في أغسطس 1689م. وانتهت بمعاهدة "سانت بتروسبورغ" في فبراير 1981م.

ويعرف الجزء الغربي الذي كان يحتله الاتحاد السوفييتي بتركستان الغربية ويتألف من خمس دول تبلغ مساحتها مجتمعة زهاء 5 مليون كم مربع ! أما الجزء الشرقي الذي احتلته الصين الشعبية فيعرف بتركستان الشرقية (سيانغ يانغ) كما أسماه الصينيون بعد احتلاله. وتبلغ مساحته زهاء (750 734 .1) كم مربع.

الغزو الروسي لبلاد آسيا الوسطى الإسلامية ومراحله :

- كان الروس أمة وثنية ثم دخلوا النصرانية سنة 378هـ أي 988م.
- بعد فتح القسطنطينية من قبل العثمانيين سنة (857 هـ / 1452م) فر قساوستها إلى روسيا وصار الروس يمثلون الكنيسة الشرقية ويحملون لواء الصليبية في آسيا.
- ظهر إيفان الثالث سنة 885هـ / 1480 ميلادية. وبدأ حروبه ضد التتار المسلمين وأبعدهم عن موسكو.

- خلفه حفيده (إيفان الرهيب) الذي اكتسح بلاد التتار المسلمين واستولى على حوض نهر الفولغا وفرض النصرانية على التتار فيها أو الهجرة.
- فرض إيفان النصرانية على بلاد المسلمين البشكير. فاستخفى أهلها بالإسلام نحو 300 سنة وأعلن أحفادهم الإسلام عام 1905م على عهد القيصر الذي أعطى الحريات الدينية.
- انتزع إيفان سيبيريا من المسلمين عام 988هـ /1580م. ثم احتل بلاد القفقاس التي كانت تابعة للعثمانيين مستفيداً من نزاعهم مع الشيعة الصفويين في إيران.
- اعترف شاه إيران (نادر شاه) للروس بالسيطرة على بلاد القفقاس عام 1813م وأعلن أهل القفقاس الجهاد ضد الروس بقيادة شعب الداغستان وذلك 1722-1859م. فحاربوا الروس 137 سنة حتى خضعت القفقاس. ثم انطلق الروس إلى وسط آسيا بعد أن رأوا صعوبة الانتشار في أوربا. فقرر اسكندر الثاني قيصر روسيا عام 1273هـ/1856م أن وسط آسيا هو مجال التوسع الروسي واتجهت القوات القيصرية إلى وسط آسيا اعتباراً من 1276هـ / 1859م.
- احتل الروس **طشقند عام 1282هـ/1865م**، وتوالى بعد ذلك سقوط المدن والخانيات وهي (الإمارات الصغيرة).
- فسقطت **سمرقند 1868م**. ثم **بخارى 1873م**. ثم **خوارزم 1874م**. وواجه الروس مقاومة شديدة في **خوقند** ، فدكوا المدينة وأحدثوا بها مذبحة رهيبة سنة **1876م**. ثم سقطت **مرو وبلاد التركمان** بعد مقاومة عنيفة من **1873م إلى 1874م**. **وأتم الروس السيطرة على بلاد التركستان سنة 1900م** ، وأصبحت حاضنة للإدارة العسكرية الروسية التي اتبعت فيها سياسة الستار الحديدي وحاولوا تنصير المسلمين.
- كان تحرك الروس وسقوط المسلمين سريعاً ، وذلك رغم المقاومة الباسلة نتيجة عوامل عديدة أهمها النزاع القومي والفرقة العرقية بين أكثر من مئة عرق وجنس قومي يكونون نسيج المنطقة الإثني!. وكذلك التخلف وتدني مستوى التعليم والتسليح بين المسلمين.

وكذلك ضعف الدولة العثمانية في استنابول وترهلها وعدم قدرتها على نجدة للمسلمين كما مر في تاريخها تلك الفترة.

- فرض الروس القياصرة سياسة البطش وفرضوا التخلف والجهل على البلاد ليسهل احتلالها.
- دبت الفوضى في دولة القياصرة مدة ربع قرن من (1905- 1928م) واتسعت حركات التمرد السياسية التي أسفرت عن الثورة البلشفية بعد هزيمة القياصرة أمام اليابان وانهيار هيبتهم سنة 1904م ونتيجة كثرة الفساد الإداري والاقتصادي وسوء الإدارة في الأقاليم.
- بدأت الثورة البلشفية بحركة عمالية في مدينة بتروغراد في آذار سنة 1917م وعاد لينين (اليهودي) من سويسرا يحمل مبادئ الشيوعية التي نادى بها ماركس (اليهودي) أيضا. وتسلم السلطة ونادى الأقليات في الاتحاد السوفيتي لمساعدته مقابل إنصاف الأعراق والأديان بوعود كاذبة جذابة خص المسلمين بقدر كبير منها واستحثهم حتى انضم كثير من المسلمين إلى ثورة البلشفيك سعياً منهم للثأر من طغيان القياصرة.
- ورغم بوادر خيانة الروس البلشفيك للمسلمين سيطرت حالة التشرذم والتفكك عليهم **وسعى كثير من رجال الدين المسلمين والعلماء في الوقوف مع البلشفيك والسلطات الروسية وجروا وراءهم عوام المسلمين إلى الكفر والضلال والاحتلال!.**
- استمر لينين في سياسة الخداع ووجه نداءات استعطاف وتعاضد مع المسلمين وانزل وثائق وبيانات استحثت المسلمين العثمانيين والإيرانيين ضد القياصرة وأرفق ذلك ببعض السياسات المنفتحة مع المسلمين مثل تسليم بعض الأوقاف والآثار الإسلامية لإدارتهم الدينية .
- مع ذلك لم يكن انخداع المسلمين بلينين كاملاً. فقد لاقت قواته مقاومة شرسة ولاسيما في بلاد التركستان وأوزبكستان ووادي فرغانة.

- حصلت ثورة أهلية إسلامية عارمة في منطقة الأورال وسيبيريا فهزموا الجيش الأحمر واستقرت تلك الثورة في وادي فرغانة وحاول العثمانيون مساعدتهم واستمرت تلك المقاومة من 1918- 1928م.
- **بعد انهيار المقاومة دبت الفرقة والفساد في أوساط كثير من المسلمين التركستان والأوزبك وانضم كثير منهم للأحزاب والجمعيات والمؤسسة الشيوعية والاشتراكية وحاول كثير من رجال الدين المسلمين التوفيق بين الشيوعية والإسلام والماركسية ولم يحل هذا دون حصول سياسة تصفية المسلمين على عهد لينين ثم ستالين حتى قضوا على من ناصرهم من المسلمين.**
- خلف ستالين لينين واستمرت سياسة البطش الذي صار معلناً لاسيما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التي أبلى بها المسلمون الرازحون تحت احتلال الاتحاد السوفيتي بلاءً عظيماً. ووقفت كثير من قيادات المسلمين الدينية بصلابة مع الاتحاد السوفيتي وموسكو وستالين ضد الألمان في الحرب الثانية !!.
- استطاع ستالين أن يخدع كثير من القيادات الدينية الإسلامية المنافقة من أعلى ممثلي الإفتاء ووصولا إلى كثير من عوام المسلمين. وبعد انتهاء الحرب العالمية شن ستالين حرب إبادة على المسلمين في القفقاس وجمهوريات وسط آسيا وبلغ ضحاياه أكثر من 20 مليون مسلم. نقل الملايين منهم ليموتوا في صحراء سيبيريا الجليدية حتى أكلوا جثث موتاهم ! ثم استمرت هذه السياسة بعده في عهود خروتشوف ثم خلفه بريجينيف ومن تلاهم ، حتى تفكك الاتحاد السوفيتي بفضل الله ثم بفضل الجهاد الأفغاني ووقوف الأمة الإسلامية وطليعتها المجاهدة وقفة الدين والشرف في أفغانستان وذلك بهزيمتهم وانتهاء دولتهم سنة 1990م ولله الحمد.
- وصل غورباتشوف إلى الحكم بعد حركة الإصلاح (البروسترويكا). وتفكك الاتحاد السوفيتي وزالت الشيوعية واستقلت شكلياً جمهوريات وسط آسيا. وربطتها روسيا معها

بإدارة عسكرية وتواجد عسكري فعلي لاسيما على الحدود وخصوصاً في طاجيكستان وأوزبكستان وتركمانستان.

- ثم أنشئ بإشراف أمريكي رابطة دول وسط آسيا لمقاومة الإسلام الزاحف من أفغانستان.
- وعلى جبهة القفقاس ذاق الروس هزيمة منكرة على يد الشيشان ما بين 1994 و1997م. وأعقب ذلك استقلال الشيشان ثم احتلالها مرة أخرى وتهجير أكثر أهلها، وما يزال الجهاد فيها جاريا إلى الآن. وتلوح بوادر انتقال الثورة إلى الداغستان ثم سائر القفقاس لتلتقي مع أوار النار المضطرمة تحت الرماد أيضاً في منطقة ما وراء النهر ووسط آسيا قريبا إن شاء الله.

واقع جمهوريات آسيا الوسطى والمسلمون بعد تفكك الاتحاد السوفيتي :

تكون الاتحاد السوفيتي البائد قبل تفككه من خمسة عشر جمهورية اتحادية رئيسية وبلغ عدد سكانه مجتمعاً نحو 286 مليون نسمة ، وشغل مساحة إجمالية قدرها 22 مليون كم^2، وكانت نسبة عدد السكان المسلمين فيه نحو 75 مليون نسمة.

والمطلع على نسبة المسلمين في تلك الجمهوريات في آسيا الوسطى يندهش من الاكتشاف أن أكثر من نصف مساحته قائمة أصلاً على الجمهوريات الإسلامية الأصل ، وأن معظم عواصمه الرئيسية كانت حواضر إسلامية قبل مائة سنة فقط ، وأن ذلك امتد لأكثر من ألف سنة ، فسبحان الله، ولعل الإحصائيات الرسمية التالية تبرز هذا وهي إحصائيات ذات دلالات سياسية وعسكرية مستقبلية بعيدة المدى.

فجمهوريات الاتحاد السوفيتي البائد حسب أهميتها ونسبة المسلمين فيها هي على الشكل التالي [1]:

---

[1] (أخذت الإحصائيات من رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية المنورة عن أحوال المسلمين في وسط آسيا) .

أولاً : جمهورية روسيا الاتحادية: عاصمتها موسكو ، مساحتها نحو 10 مليون كم ^{2}. عدد سكانها نحو 143 مليون نسمة ونسبة المسلمين فيها تتراوح ما بين 10- 25 % من السكان .

ويتبع جمهورية روسيا الاتحادية عدة جمهوريات تقع في حوض الفولغا وهي:

1- **جمهورية بشكيريا:** عاصمتها (أوفا) ، عدد سكانها 4.5 مليون نسمة ، نسبة المسلمين فيها 56 %.

2- " **تتارستان**" عاصمتها (قازان) سكانها 4.5 مليون نسمة ، نسبه المسلمين فيها 50 %.

3- "**مورد يفيا**: " (شار نسك) 1.15 مليون. نسبة المسلمين 55 %.

4- "**ماري**": (يوشكارا اولا) 1.15 مليون نسبة المسلمين 52 %.

5- "**أورنبرغ**": (ألوينبرغ شكالوف) 250 ألف نسمة نسبة المسلمين 50 %.

6- "**أدمورت**": (أجنسيك) 1.850 مليون نسمة نسبة المسلمين 52 %.

ويتبع جمهورية روسيا الاتحادية خمس جمهوريات ذات حكم ذاتي تقع شمال القفقاس وهي:

1- **داغستان:** عاصمتها (محج قلعة) وعدد سكانها 2.35 مليون. نسبة المسلمين 60 %.

2- **كبا رداي بلكار:** عاصمتها (نالجيك 760 ألف نسمة ، نسبة المسلمين 55 %.

3- **جمهورية قار شاي شركس:** عاصمتها شركس . 450 ألف نسمة ، المسلمين 60 %.

4- **أوستينيا الشمالية:** عاصمتها (اردجونيكرزي) مليون نسمة ، المسلمين 55 %.

5- **الشيشان أنجوش:** عاصمتها (جروزني) سكانها 1.73 مليون المسلمين 66 %.

6- **جمهورية الأديجا:** عاصمتها (ماي كوب) 540 ألف نسمة ، المسلمين 50 %.

7- **جمهورية سيبيريا** : عاصمتها (أو مسك) 25 مليون نسمة ، نسبة المسلمين 25 %.

هذا عن جمهورية روسيا الاتحادية ذاتها، ثم نأتي إلى الجمهوريات التي استقلت :

ثانياً: جمهورية روسيا البيضاء: عاصمتها (مسنك) مليون نسمة نسبة المسلمين غير محددة.

ثالثاُ: جمهورية أوكرانيا : عاصمتها (كييف) وعدد سكانها 51 مليون نسمة بما في ذلك سكان ولاية القرم (وعددهم 7 مليون) ونسبة المسلمين فيها 71 % !!!

رابعاً: جهورية لا تفيا: عاصمتها (ميلنوس) وسكانها 2.5 مليون نسبة المسلمين غير معروفة .

خامساً: جمهورية استونيا: عاصمتها (نازلين) سكانها 1.15 مليون نسمة ، نسبة المسلمين غير معروفة.

سادساً: جمهورية مولدا فيا: عاصمتها (كشينوف) عدد سكانها 4 مليون نسمة نسبة المسلمين 5 %.

سابعاً: جمهورية ليتوانيا: عاصمتها (ريجا) سكانها 3.5 مليون نسمة ، وفيها 18000 مسلم.

ثامناً : جمهورية أرمينيا : عاصمتها (باريفان) وسكانها 3.3 مليون نسمة نسبة المسلمين فيها 17 %.

ويتبعها **جمهورية نخجيفان** بحكم ذاتي وسكانها 300 ألف نسمة عاصمتها ناجوان ونسبة المسلمين 95 %.

تاسعاً: جمهورية جورجيا: وعاصمتها (تفليس) وسكانها 3.5 مليون نسمة نسبة المسلمين فيها 19 % وتتبع جورجيا كل من:

جمهورية أبجازيا: عاصمتها (سوقوم) وسكانها 750 ألف نسمة ، نسبة المسلمين فيها 19 % .

جمهورية أجاريا : عاصمتها (باطوم) وسكانها 450 ألف نسمة ، نسبة المسلمين فيها 40 %.

عاشراً: جمهورية أذربيجان : عاصمتها باكو وعدد سكانها 7.27 مليون نسمة ، نسبة المسلمين فيها 82 % أكثرهم من الشيعة.

ثم جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية وهي:

أحد عشر: جمهورية أوزبكستان : مساحتها 447.400 كم^2. عاصمتها (طشقند) عدد سكانها 25 مليون نسمة ، نسبة المسلمين فيها 88 % من السكان.

إثنى عشر: جمهورية طاجيكستان : عاصمتها (دوشنبيه). وسكانها 5.5 مليون نسمة ، نسبة المسلمين فيها 80 % .

ثلاث عشر: جمهورية قيرغيزستان : وعاصمتها (بتشكيك) وسكانها 5 مليون نسمة ، نسبة المسلمين 73 %.

أربعة عشر: جمهورية تركمانستان : عاصمتها عشق أباد ، سكانها 4 مليون. نسبة الإسلام فيهم 86 %.

خمسة عشر: جمهورية كازاخستان : وعاصمتها(المآتا) ، وسكانها 17 مليون نسبة المسلمين 52 %.

وقد استقلت الجمهوريات الأربعة عشر عن الاتحاد السوفيتي الذي لم يبقى منه إلا روسيا الاتحادية.

وخلاصة أحوال المسلمين في آسيا الوسطى بعد رحيل السيطرة الروسية:

1- استمرار العلاقات الأمنية والعسكرية مع الجيش والأمن الروسي لاسيما على الحدود مع أفغانستان.

2- ارتباط الدول الخمسة بإشراف روسي أمريكي في حلف دول وسط آسيا وهو حلف أمني عسكري لمواجهة مد الجهاد والإسلام القادم من أفغانستان.

3- حلول الاحتلال والنفوذ الأمريكي اليهودي الغربي وما يتبع ذلك من سيطرة اقتصادية وثقافية وحركات تبشير وتنصير مكان النفوذ الروسي الشيوعي السابق.

4- تحول الكوادر والأحزاب والشخصيات الشيوعية الأساسية إلى العمالة للأمريكان تحت مسميات جديدة قومية ووطنية وديمقراطية.

5- استمرار سياسة العداء للإسلام وبشكل سافر على يد المرتدين والشيوعيين من أبناء المسلمين في البلد بعد أن كانت هذه المهمة موكلة للاستعمار الصليبي الروسي. وبذلك شنت هذه الحكومات حرباً مكشوفة على الحركات والدعوة والنشاطات الإسلامية المختلفة كالمدارس ودور التحفيظ ومظاهر الالتزام. فطاردت بشكل خاص التوجهات الجهادية كما في عموم بلاد الإسلام تحت مسمى مكافحة الإرهاب.

6- في طاجيكستان وصلت المواجهة مع الإسلاميين لحد الصدام المسلح وتمكنت الحكومة من تدجين الحركة الإسلامية الأساسية فيها وهي حركة النهضة فيما تستمر أجزاء من الحركة ذات التوجه الجهادي مسيطرة على مناطق وأجزاء من طاجيكستان.

7- في أوزبكستان ومع ميلاد بوادر جهادية وصلت لحد التخطيط لقتل رئيس الدولة وتنفيذ بعض الأعمال الجهادية العسكرية حصلت موجة من الاعتقالات تلتها محاكم صدرت فيها أحكام ظالمة بالإعدام على بعض المجاهدين وبالسجن على عشرات آخرين. وأثبتت هذه المواجهة الدعم والتعاون الأمني الإقليمي على مستوى الدول الخمسة والدولي بإشراف أمريكي حيث اعتقل العديد من هؤلاء المتهمين من دول

متعددة وسلموا لحكومة أوزبكستان فوراً وذلك بفعل التعاون المباشر بين دول المنطقة وروسيا والأمريكان والنظام الدولي ، خوفا من قفزة يحققها جهاد المسلمين إلى آسيا الوسطى بعد الانتصار الزاهر الذي حققوه في أفغانستان وأدى لقيام نواه حقيقية لدولة الإسلام المرتقبة ونهضة المسلمين العائدة المنشودة إن شاء الله.

8- قيرغيزستان: جرت المناورات العسكرية ضد الإرهاب والخوف من الهجوم المفترض لطالبان! رغم تشتت طالبان واختفائها وذلك أواسط سنة 2004م.

9- تركمانستان: منعت بناء المساجد الجديدة وطباعة القرآن. ومنعت اللحى والحجاب ، وأمرت الحكومة بكتابة هلوسات رئيس تركمانستان – في كتاب كتبه – على جدران المساجد إلى جانب القرآن أو عوضا عنه!

تركستان الشرقية المحتلة من قبل الصين [1] :

فتحت تركستان الشرقية أول مرة على يد القائد المجاهد قتيبة بن مسلم حيث دخل إلى "كاشغر " وذلك في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك عام (96 هـ / 715م).

وفي نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي الأول في القرن الثالث للهجرة أسلم الخاقان سلطان الترك " ستوق بوغراخان " وسمى نفسه عبد الكريم ، وتبعه في الإسلام أبناؤه وكبار رجال دولته، ومنذ ذلك اليوم أصبح الإسلام دينا رسميا للدولة، وبقيت تركستان دولة إسلامية مستقلة حوالي تسعة قرون، ومنذ ذلك الحين جميع أهلها مسلمون.

الاحتلال الصيني لتركستان الشرقية:

[1] (هذه التفصيلات كتبها الشهيد الأمير حسن أبو محمد التركستاني في كابل سنة 2000 لتلحق برسالة – **المسلمون في آسيا الوسطى ومعركة الإسلام القادمة** - للمؤلف).

في القرون الثامن عشر الميلادي وقعت أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي فريسة للاستعمار الأوروبي والآسيوي. ففي أسيا اتفق المستعمران الروسي والصيني على تقسيم أرض المسلمين الأتراك من خلال عدة معاهدات. وسقط هذا الجزء المسلم في يد الصين بعد أن لقي (000. 200. 1) تركستاني مسلم حتفهم ، ونفي (22000) عائلة تركية إلى داخل الصين ليذوبوا في شعوب الصين !.

الاستقلال التركستاني:

ثار المسلمون في تركستان الشرقية ضد الاستعمار الصيني والاضطهاد البوذي سبعة ثورة كبيرة عارمة. أثمر آخرها عام 1863م عن تحرير تركستان الشرقية من الحكم الصيني وتكوين مملكة مستقلة في القرن التاسع عشر الميلادي، تشكلت حكومات محلية في خمس مناطق، وانضوت جميعها تحت حكم " أتاليق غازي يعقوب بك " الذي منحه السلطان العثماني لقب أمير المسلمين ، وكان أتاليق رجلا جيدا أنشأ المساجد والمدارس الإسلامية، ومازال عدد منها موجودا حتى الآن، ولكن الأطماع الاستعمارية لروسيا والصين تجددت. وبالفعل استولت القوات الصينية على تركستان الشرقية في عام 1878م. وصدر مرسوم في 18 نوفمبر 1884م بجعل تركستان الشرقية مقاطعة. وتسميتها " سنكيانج " أي المستعمرة الجديدة وجعل "أورومتشي" عاصمة لها.

الاستقلال الثاني لتركستان الشرقية:

استمرت ثورات التركستانيين ضد الاستعمار الصيني، وقتل الكثير من المسلمين في سبيل خلاصهم وخلاص بلادهم من الحكم الصيني البوذي، وكانت الحكومة الصينية تقمع تلك الانتفاضات بكل وحشية وقسوة. وكلما زادت في اضطهادهم وعنفها تجد في أهلها الإصرار، حتى تمكن أحد أصحاب الاتجاهات الدينية وهو " ثابت داموللا " من تحرير البلاد وتشكيل جمهورية تركستان الشرقية في كاشغر في نوفمبر 1933م.

ولكن الوالي الصيني (شنغ شي تساي) قضى على الثوار وجمهوريتهم في شهر يوليو 1934م بمساعدة روسيا الخائفة من وجود هذه الدولة الفتية المسلمة في جوارها.

الحكم الصيني الشيوعي في تركستان الشرقية:

في عام 1949م أعلن قائد الجيش الصيني في تركستان الشرقية استسلام البلاد وخضوعها لرأس الكفر والإلحاد في الصين " ماوتسي تونغ " زعيم الحزب الشيوعي الصيني، ودخلت القوات الصينية الشيوعية تركستان الشرقية في أكتوبر 1949م. وبذلك بدأ عهد جديد من الإرهاب والظلم في تاريخ تركستان الشرقية المسلمة.

مرحلة ما بعد ماوتسي تونغ :

تتميز هذه الفترة بتحول الشيوعيين من تطبيق سياسة الإرهاب المكشوف إلى ممارسة سياسة تطبيق الشيوعية العلمية و (التصيين) الثقافي. ومن أبرز هذه الممارسات:

أولا: التضييق في ممارسة الشعائر الدينية والحيلولة دون انتشار تعاليم الإسلام وذلك لقطع صلة الأجيال الجديدة بهويتهم الإسلامية.

ثانيا: منع أفراد الشعب التركستاني من ممارسة حقوقهم الإنسانية المشروعة كالتعليم وحرية التعبير إلى جانب الاعتداء بالمطاردة والاعتقال بل والقتل.

ثالثا: مصادرة ثروات تركستان الشرقية وحرمان أهلها الأصليين من خيرات بلادهم، وفرض حياة الفقر والعوز عليهم وإهمال التنمية الاقتصادية في البلاد.

رابعا: خداع العالم بإقامة حكم ذاتي صوري لتركستان الشرقية يديره الصينيون من وراء الستار، وينفذه الموظفون التركستانيون العملاء التابعون لهم.

خامسا: إغراق تركستان الشرقية بالمهاجرين الصينيين وإحلالهم في أماكن سكن وعمل أهل البلد الأصليين.

سادسا: القيام بتنفيذ التفجيرات النووية في الأراضي التركستانية مما نتج عنه إفساد البيئة بالسموم ونشر الأمراض بين أفراد الشعب التركستاني.

سابعا: إجبار أفراد الشعب التركستاني المسلم على تنفيذ سياسة تحديد النسل، وممارسة أقصى العقوبات مع المخالفين لهذه السياسة.

ثامنا: تشجيع الزواج بين التركستانيين والصينيين.

وما يزال المسلمون إلى اليوم يرزحون تحت هذا الحيف والجور والظلم، مما جعل بعضهم يحملون السلاح ضد الحكومة الصينية التي تطاردهم بضراوة ، وقد لجأ بعضهم سنة 1997م إلى طالبان ، وأعادوا إنشاء الحزب الإسلامي التركستاني. وقد قتل الكثير منهم إبان الغزو الأمريكي لأفغانستان مدافعين عن الإمارة الإسلامية سنة 2001م. ثم قتل الجيش الباكستاني في مناطق سرحد الحدودية أميرهم (حسن أبو محمد التركستاني) مع رهط من رفاقه في شهر 11/ 2003م. رحمهم الله تعالى وتقبلهم في الغرباء الفرارين بدينهم ، وجمعنا بهم في عليين.

6. أندونيسيا :

وهي أكبر الدول الإسلامية في تعداد السكان ، إذ يبلغ عدد سكانها ما يزيد على 200 مليون نسمة ، ويعتنق الإسلام منهم حوالي (92 %) من عدد السكان ، وقد انتشر الإسلام فيها عن طريق التجارة وحل محل الوثنية والبوذية. وتضم أندونيسيا مجموعة من الجزر الواقعية في جنوب شرق آسيا وأكبرها سومطرة ، وجاوة ، وبورنيو، وسيليبس ، وتيمور، وجزائر الملوك ، وغينيا الجديدة ، وشبه جزيرة الملايو.

ونظرا لأهمية موقعها الإستراتيجي تعرضت للتنافس الاستعماري البرتغالي والهولندي والإنجليزي والأسباني والأمريكي ، وكانت البرتغال سباقة إلى احتلال أندونيسيا ، وقد اتبع

البرتغاليون سياسة التبشير التي حولت بعض إلى المسيحية ، ثم آلت أندونيسيا لحكم الأسبان الذين ورثو إمبراطورية البرتغال.

ثم استولى الهولنديون على البلاد سنة (1005هـ) وأقاموا شركة الهند الشرقية الهولندية سنة (1011هـ) التي اتخذت من (جاكرتا) مقرا لها.

وفي سنة (1226هـ) ، استولت بريطانيا على البلاد ثم تقاسمت حكمها مع هولندا بموجب اتفاق بينهما عقد سنة (1229هـ).

اندلعت مقاومة سكان أندونيسيا ضد الاستعمار بزعامة الأمير عبد الفتاح الذي شكل جيشا من الفدائيين وبنى أسطولا قويا أثار المتاعب في وجه الهولنديين.

وفي القرن الثالث عشر لم تتوقف المقاومة فاندلعت حرب طويلة كبدت الهولنديين خسائر فادحة.

تأسست عدة أحزاب إندونيسية بعد الحرب العالمية الأولى مثل (الجمعية المحمدية) وحزب (شركت إسلام) و (الجمعية العائشية) الخاصة بالسيدات، و(حزب جاوة الفتاة) و(جمعية اتحاد علماء المسلمين) وغيرها ومعظمها ذات طابع إسلامي جهادي ، ثم تبلورت هذه الجمعيات والأحزاب في حزبين رئيسين هما (حزب القمصان الخضراء) وحزب (القمصان الحمراء) ، كان الحزب الأول يلجأ إلى أسلوب المفاوضات لتحقيق الاستقلال أما الحزب الآخر فقد اتخذ أسلوب الجهاد المسلح وتحول إلى (حزب شيوعي) وخلال الفترة ما بين الحربين تأسس (حزب أندونيسيا العظمى) و (الحزب الوطني) بزعامة سوكارنو اللذان نجحا في إرغام هولندا على تخفيف سياسة العنف والابتزاز الاقتصادي.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية استولت اليابان على أندونيسيا سنة (1361هـ) فاندلعت حركة المقاومة الوطنية برئاسة أحمد سوكارنو ومُحَّد حتا ، كما تأسس حزب إسلامي يسمى (حزب الله) واشترك الجميع في مواجهة الاحتلال الياباني.

ولما انتهت الحرب أعلنت اليابان استقلال أندونيسيا سنة (1364هـ) وبعد انسحاب اليابان اشتركت إنجلترا وهولندا في حملة على أندونيسيا تمكنت من الاستيلاء على بعض

الجهات والمدن الهامة في سومطرة وجاوة، ومع استمرار النضال أرغمتها على الاعتراف باستقلال أندونيسيا وفق اتفاقية عقدت سنة (1366هـ) لكن هولندا لجأت مرة أخرى إلى غزو البلاد سنة (1368هـ) وألغت اتفاقية سنة (1366هـ) ، ونتيجة للضغط الدولي جرى عقد مؤتمر لاهاي سنة (1369هـ) الذي أسفرت عن إنهاء الاستعمار الهولندي.

ثم حدث صراع بين الأحزاب ذات الميول الشيوعية والأخرى الإسلامية وأسفر الصراع عن انقسام أندونيسيا إلى حكومتين إحداهما سوفيتية ومركزها (ماديون) والأخرى وطنية ومركزها (جاكرتا) ، ثم اتحدت الدولتان سنة (1369هـ) تحت اسم (جمهورية أندونيسيا) برئاسة أحمد سوكارنو.

قام انقلاب شيوعي سنة (1385هـ) ، لكن وزير الدفاع كلف الجنرال (سوهارتو) بمواجهة الانقلاب الذي أيده أحمد سوكارنو.

وتحت ضغط القوى الوطنية الإسلامية أرغم سوكارنو على التنازل عن الحكم سنة (1386هـ - 1968م) وتولى الجنرال سوهارتو رئاسة الجمهورية.

ثم تدهورت أحوال البلاد بسبب فساد سوهارتو وأسرته .. وحصلت اضطرابات كثيرة. وأدت إلى اعتماد الإصلاحات السياسية والانتخابات التي تنازعنها أحزاب علمانية وشخصيات مدنية وعسكرية ، وما تزال هذه أحوالها إلى اليوم. حيث آلت رئاسة الجمهورية في الإنتخابات الأخيرة 2004م إلى جنرال عسكري تعهد في خطاب فوزه بمكافحة الإرهاب بالتعاون مع أمريكا وأستراليا.!!

تعرضت البلاد وما تزال لحركة تنصير قوية منذ مئات السنين ، وقد اشتدت خلال القرن الأخير ، وقد قرأت في بعض التقارير الإحصائية لبعض المؤسسات الإسلامية السعودية سنة 1992م أن عدد الذين تنصروا في أندونسيا يبلغ زهاء 30 مليون نسمة!.

ونظرا لكبر البلاد وتطورها الصناعي وانتشار الصحوة الإسلامية القوية فيها ، تتعرض أندونيسيا لمؤامرات لتقسيمها ، وقد نجحت الدول الأوربية بدعم حركات النصارى الذين نصروهم عبر سنين الإحتلال ثم الإستقلال ، بفصل تيمور الشرقية عن أندونيسيا ، وتشهد

جزر الملوك أعمال قتال بين المسلمين والنصارى الذين قاموا بأعمال وحشية ، فأحرقوا البيوت ، وصوروا بعضهم وهم يأكلون لحوم القتلى من المسلمين نيئة ومشوية ! وقد انتعشت مؤخرا في أندونيسيا وماليزيا وتايلاند وما جاورها من دول شرق آسيا صحوة إسلامية قوية تحولت للجهاد والمواجهة للمصالح الأمريكية والغربية والأسترالية ، مما جعل تلك البلاد هدفا للحملات الأمريكية المسعورة تحت دعاوى مكافحة الإرهاب. أمّن الله إخواننا ونصرهم.

7. ماليزيا :

مملكة إسلامية معاصرة تضم شبه جزيرة من الملا يو وشمال جزيرة بورنيو وتتألف من ثلاثة عشرة ولاية. وقد انتشر الإسلام في ماليزيا عن طريق التجارة ، ففي عام (675هـ) أسلم ملكها باسم (سلطان مُحَّد شاه) وتبعه رعاياه وكانت البلاد من قبل قد تعرضت للاستعمار البرتغالي عام (918هـ) ثم حل محله الاستعمار الهولندي سنة (1051هـ).

وفي سنة (1201هـ) وقعت البلاد تحت الحكم البريطاني وفي سنة (1360هـ - 1940م) اجتاحت اليابان البلاد ، ثم انسحبت منها بعد الحرب العالمية الأولى وعاد الاستعمار البريطاني الذي أقام اتحادا بين المحميات البريطانية في الملايو.

وفي سنة (1375هـ) صدر الدستور وتألفت جبهة ائتلاف برئاسة (تنكو عبد الرحمن) استطاعت أن تحصل على الاستقلال سنة (1376هـ).

وفي عام (1383هـ) تأسس اتحاد يضم الملايو وسنغافورة وشمال بورنيو عرف باسم (اتحاد ماليزيا) وفي عام (1385هـ) خرجت سنغافورة عن دولة الاتحاد.

قامت نهضة معاصرة في ماليزيا متأثرة بالنموذج الياباني ، فتحولت إلى دولة صناعية مزدهرة. وتشهد ماليزيا صحوة إسلامية وجهادية واعدة هذه الأيام فتح الله عليهم.

ونكتفي بهذه النماذج من الدول العربية والإسلامية ، فالقصة متكررة، وبسيطة، وخلاصتها :

احتلال الدول الأوربية وغيرها لبلاد المسلمين بالتدريج منذ القرن السابع عشر .. وتصاعد ذلك بعد انهيار الدولة العثمانية. ثم قيام حركات مقاومة وجهاد لذلك الاحتلال، ثم نشوء أحزاب علمانية وقوميو ويسارية .. استولت على جهود الجهاد، ورتب المستعمرون لهم استلام الحكم بعد الإستقلال، فحاربوا الإسلام ونهبوا البلاد وأذلوا العباد لصالح أسيادهم. ثم ورث الروس والأمريكان النفوذ الاستعماري ، واستمرت المأساة وازدادت ضراوة.

ثم لما انفردت أمريكا بالسيطرة على العالم منذ **1990**م ، سيطرت على أولئك الحكام وأخضعتهم ، وبعد أحداث سبتمبر **2001**م، ازدادت الكارثة، وتحولت لكابوس على المسلمين جراء تحالف أولئك الحكام المرتدين مع أمريكا ضد شعوبهم عامة والمسلمين الملتزمين خاصة، تحت دعوى مكافحة الإرهاب. حيث أعلنت أمريكا بقيادة جورج بوش الحملات الصليبية اليهودية الجديدة مفتتحة ذلك باحتلال أفغانستان ثم العراق. حيث تستعد للمراحل التالية فيما يجاورها.

الفهرس

بيت المقدس